قطوف الريحان

في

خطب شهر رمضان

أعده

د. حسين عامر

الأستاذ المساعد بجامعة مينيسوتا

للدراسات الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل رمضان شهر الخير والبركة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي كان يُبشّر أصحابه بقدوم هذا الشهر العظيم، ويحثّهم على اغتنامه بالصيام والقيام وسائر الطاعات.

أيها الخطباء والدعاة الكرام، بين أيديكم كتاب :

"قطوف الريحان في *خطب شهر رمضان*"

الذي أُعدّ خصيصًا ليكون زادًا لكم في هذا الشهر الفضيل، ويعينكم على أداء رسالتكم السامية في توجيه الناس وتذكيرهم بما يرضي الله عز وجل.

فهذا الشهر الكريم محطة إيمانية عظيمة، تستوجب منا جميعًا أن نستنفر الجهود، ونعد العدة لتقديم خطاب دعوي يواكب عظمة المناسبة، ويستجيب لحاجات القلوب والنفوس التي تتوق إلى الخير.

وهذا الكتاب يرتكز على منهجية مدروسة تلبي احتياجات الدعاة والخطباء، حيث يتدرج في عرض الموضوعات من التهيئة الروحية لشهر رمضان إلى كيفية اغتنامه على مدار أيامه ولياليه.

ويجمع بين التأصيل الشرعي، والربط الواقعي، والأسلوب السهل الذي يجعل الخطاب الدعوي قريبًا من قلوب الناس.

فرمضان ليس فقط موسمًا للعبادة الفردية، بل هو فرصة لتغيير المجتمعات وإصلاح النفوس؛ ومن هنا، فإن مسؤوليتكم عظيمة في توجيه الناس نحو استثمار هذا الشهر على النحو الذي يرضي الله تعالى.

فاجعلوا من منابركم وسيلة لبثّ روح الإيجابية، والتحفيز على الطاعات، والتنبيه إلى خطر التفريط في هذه النفحات الربانية.

نسأل الله أن يوفقكم في إيصال رسالتكم الدعوية، وأن يجعل هذا الكتاب معينًا لكم في أداء هذه الأمانة، وأن ينفع به المسلمين في كل مكان.

ولنجعل من شهر رمضان محطة للتغيير الحقيقي في حياتنا، وليكن خطابنا الدعوي زادًا للقلوب، وسببًا في تقريب الناس إلى خالقهم.

والله نسأل أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يكتب لنا ولكم الأجر والثواب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه /د. حسين عامر

الأستاذ المساعد بجامعة مينيسوتا

للدراسات الإسلامية

الخطبة الأولى

تهيئة القلوب لاستقبال رمضان

عناصر الخطبة:

أولا/ لماذا يغفل الناس في شعبان؟

ثانيا/ شعبان شهر تهيئة القلب لرمضان

ثالثا/ كيف نهيأ قلوبنا لاستقبال رمضان؟

الخطبة الأولى

تهيئة القلوب لاستقبال رمضان

ها نحن نقترب من أيام نسائم الخير والبركة ونعد الساعات عدا لاستقبال شهر رمضان المبارك الشهر الذي يأتي هذا العام على شوق كبير، ونحتاج إلى أن نهيئ القلوب لاستقبال رمضان لأن الطريق إلى الله لا يقطع بالأقدام ؛ إنما هو طريق يقطع بالقلوب وعلى قوة الإيمان في القلب يكون السير ويكون العزم فكلما كان الإيمان قويا كان العزم قويا وكانت الهمة عالية.

وقد علمنا النبي- صلى الله عليه وسلم- (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)

لماذا؟ لأن أي حركة للجوارح هي أثر لما في القلب ؛ فصلاح القلب سبب لصلاح العمل وبالتالي سبب لصلاح عمل الجوارح فكان الاهتمام بالقلب لأنه محل نظر الرب.

عناصر الخطبة:

أولا/ لماذا يغفل الناس في شعبان؟

ثانيا/ شعبان شهر تهيئة القلب لرمضان

ثالثا/ كيف نهيأ قلوبنا لاستقبال رمضان؟

أولا/ لماذا يغفل الناس في شعبان؟

شعبان فرصة للتهيئة الإيمانية حتى إذا بلغنا رمضان كنا في أرقى وأفضل الحالات الإيمانية التي نستمر بها طوال الشهر، والنبي- صلى الله عليه وسلم- لما سأله أسامة بن زيد عن سبب إكثاره من الصيام في شعبان قال: **(ذاك شهرا يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله وأحب أن يرفع عملي إلى الله وأنا صائم)**

فالناس قبل الإسلام كانوا يعظمون شهر رجب لأنه شهر من الأشهر الحرم ، وشهر رمضان بطبيعة الحال الناس يعظمونه لما فيه من الصيام والقيام فالنبي قال: إن الناس تغفل عن شهر شعبان لأنه بين رجب ورمضان فيقول أحدنا: إن شاء الله نصوم في رمضان ... إن شاء الله نصلي التراويح في رمضان... إن شاء الله نقرأ قرآنا في رمضان؛ فعندنا تسويف وتأجيل.

لكن الرسول- صلى الله عليه وسلم- ينبهنا على أن هذا الشهر له أهمية كبرى لأنه شهر فيه ختام أعمال السنة الإيمانية، والتي تختم في شهر شعبان ويرفع العرض السنوي على الله بأعمال العباد جميعا، نسأل الله أن يقبل صالح أعمالنا وأن يغفر لنا سيئاتنا.

ثانيا/ شعبان شهر تهيئة القلب لرمضان

في عالم الرياضة عندما تكون هناك مباراة مهمة يقومون بعمل معسكر مغلق للاعبين ، لماذا؟ حتى يقومون بالتمارين اللازمة للياقة ، ويستعدون للمباراة بما يضمن الفوز!!

نفس الحال بالنسبة لرمضان أنا سنة كاملة لم أصم لما ابدأ الصيام اثنين وخميس أصوم وأفطر فأتعود على الصيام حينا بعد حين إذا دخل رمضان لا أجد صعوبة في أول أيام رمضان لا صداع ولا تعب ولا خمول.
ولو بدأت الورد القرآني بعد الكسل الذي كنت فيه طوال العام فاستعيد الهمة مع القرآن وتلاوته والتعبد لله بتدبره.

كذلك أطهر قلبي من أي مشاحنات أو أي مشاكل أو أي خصومات، وأجهزه ليستعد لاستقبال رمضان، ولذلك سنجد النبي علمنا أن نبدأ من نصف شعبان فتطهر قلبك من أي خصومات أو غل أو حقد أو حسد قال: **(إن الله يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن)** فالشحناء والخصومات والقطيعة والعداوة هذه الأمور كلها تجعل القلب مشغولا بغير الله ومشغول بردات الفعل وماذا قلت؟ وماذا قالوا؟ فالحياة قصيرة والعمر أقصر؛ فماذا إذا قضينا هذه الحياة في مشاحنات وخصومات وقطيعة ومؤامرات ماذا بعد؟ بماذا فزت أصلا؟ لقد أهدرت وقتك في مهاترات ومشاحنات!! فالدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة فلا تضيع عمرك في خصومات، ثم حرمان من رضوان الله تعالى وحرمان من عفو الله ومغفرته وضعف في الإقبال على الله ، لأن القلب المغلول الحسود الذي فيه غيرة وفيه حقد هل سيقبل على الله؟ هل سيخشع في صلاة؟ هل سيجد همة وعزما أنه يفتح المصحف ويقرأ؟ أو يذكر الله؟

كلا فهو دائما على باله كيف ينتقم؟ على باله ماذا قالوا عنه؟ ماذا سيرد عليهم؟ ماذا سيفعل؟ فهو يعمل من أجل حظ النفس !!

ولذلك دائما يتعلم المسلم أن يتجاوز ويعلو على هذه الأمور فلا يستهلك

صحته ووقته وجهده في كل هذه الأشياء التي تضيع العمر وتمرض القلب.

ثالثا/ كيف نهيأ قلوبنا لاستقبال رمضان؟

هناك ثلاث عبادات تقوي القلب:

1- الورد القرآني:

ابدأ من الآن بالورد القرآني الثابت؛ فالقرآن حياة للقلب القرآن هو الروح التي يحيا بها القلب، عندنا الروح التي يحيا بها الجسد، والروح التي يحيا بها القلب، فروح القلب كلام الله قال تعالى: **(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا)[الشورى :52]**

القلب البعيد عن الله قلب ميت قلب لا يؤدي وظيفته كشخص يده شلاء فإذا قلت له ناولني كذا يقول لك: أنا يدي مشلولة... أنا لا أستطيع!!

فصاحب القلب الميت إذا قلت له: الإيمان بالله فهو لا يفهم ما معنى الإيمان بالله ... إذا قلت : العمل الصالح يتساءل مستنكرا ماذا تقصد بالعمل الصالح ؟! فهو قلب ميت.

أما القلب الحي فهو الذي يستقبل هدايات الله ويستقبل وحي الله القرآن، **قال تعالى: (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)** [الأنعام:122]

فوصف الله القلب قبل دخول نور الإسلام فيه بأنه قلب ميت فأحياه الله تعالى بأن جعل له نورا هو نور الوحي والهداية فيمشي به في الناس...هل يستوي هذا كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟

فتعالوا بنا نعيد الوصال بالقرآن؛ لأن اتصال القلب بالوحي سبب للهداية وسبب لحياة القلوب.

2- الذكر:

ثم نروي القلوب، وري القلوب بذكر الله؛ لأن القلوب يصيبها العطش كما يعطش الزرع تماما!!! نعم والله قلوبنا ظمأى أحد عشر شهرا قلوبنا ظمأى متعبة مستنزفة مستهلكة نحتاج إلى مداواتها بذكر الله: بالاستغفار بالتسبيح حتى نعيد لها الري والنضارة والطهارة، فإذا جاء رمضان جاءنا ونحن على

خير، وقد أصقلت القلوب بعد الصدأ، اللهم طهر قلوبنا.

فالذكر ري للقلوب... الذكر تطمئن به القلوب.... الذكر يعيد إلى القلوب النضارة، ويعيد إليها البهجة، ويعيد إليها السعادة، قال تعالى: **(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله)[الزمر:22]**

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله الذين لا يخطر ذكر الله ببالهم ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله -نسأل الله عافيته- فهؤلاء الذين نسوا الله، نسوا أن الله هو الخالق وهو الرازق، وأن مردنا جميعا إلى الله؛ فبغفلتهم عن الله صاروا في هذا التيه، وهذا النسيان الذي وقعوا فيه -نسأل الله عافيته-

3- نية المرء أبلغ من عمله:

وهذا ليس بحديث، لكن من كلام العلماء والمعنى صحيح بمعنى أنا الآن بيني وبين رمضان ثلاثة أسابيع جدد النية لله.

لما تسأل شخصا ماذا ستفعل في رمضان؟

يقول: والله سأصوم مثل الناس، يا أخي هذا هو الفرض التنافس فيما زاد على الفرض لأنه واجب لن يختلف فيه اثنان.

ما الجديد؟ إذا قلت لك أنت كمسلم ماذا تفعل؟

تقول أنا والله نطقت الشهادتين هذا هو شرط الإسلام ... هذا أمر وجب على الجميع استوى فيه الجميع بعد الشهادتين فماذا ستفعل في رمضان سأصوم- إن شاء الله- هذا أمر لا مجال للنقاش فيه يعني هذا فرض ماذا بعد الصيام؟

ما هي أوجه الربح والفوز الذي ستتعرض له في رمضان؟

إذا كان رمضان عبارة عن صيام وتصلي العشاء على السرير وتنام!!!فما الفرق بين رمضان وسائر الشهور؟

ثلاثون يوما وليلة سنتعرض فيها لرحمات الله لفضل الله، والنبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: **(ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة)** كل ليلة فيها فوز، كل ليلة فيها سعادة، كل ليلة فيها رضوان.

ما قولكم في رجل مر بثلاثين يوما وليلة يتعرض فيها لمغفرة وعتق من النار وفوز بالجنة ولا يربح شيئا من ذلك؟ هذا من الخاسرين والعياذ بالله!!

وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في بيان خُسْران من أدرك رمضان ولم

يُغَفر له كثيرة، منها:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :)رغِمَ أَنفُ)خاب وخسِر (رجلٍ ذُكِرتُ عندَهُ فلم يصلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجلٍ دخل عليه رمضانُ ثمَّ انسلخَ قبل أن يُغفَرَ له، ورغمَ أنفُ رجلٍ أدرَكَ عندَه أبواهُ الكِبَر فلم يُدْخِلاهُ الجنةَ)رواه الترمذي وصححه الألباني.

2- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (ارْتَقى النبيُّ صلى الله عليه وسلم على المنبر درجةً فقال :آمين، ثم ارتقى الثانيةَ فقال :آمين، ثم ارتقى الثالثةَ فقال :آمين، ثم استوى فجلس، فقال أصحابُه: على ما أمَّنْتَ؟ قال :أتاني جبريلُ فقال: رَغِمَ أنفُ امرئٍ ذُكِرْتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك، فقلتُ آمين، فقال: رَغِمَ أنفُ امرئٍ أدرك أبوَيه فلم يَدخُلِ الجنةَ، فقلتُ: آمين، فقال: رَغِمَ أنفُ امرئٍ أدرك رمضانَ فلم يُغْفَرْ له، فقلتُ، آمِين) رواه البزار وصححه الألباني.

3- وعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أتاني جبريل فقال: يا مُحمَّد !من أدركَ أحدَ والديْهِ فماتَ فدخلَ النَّارَ فأبعدَه الله، قُل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: يا محمَّد، مَن أدرك شهرَ رمضانَ فماتَ فلم يُغْفَرْ لهُ فأُدْخِلَ النَّارَ فأبعدَه الله، قُل: آمين، فقلتُ: آمين، قال: ومن ذُكِرْتَ عندَه فلم يُصَلِّ عليكَ فماتَ فدخلَ النَّارَ فأبعدَه الله، قُل: آمينَ، فقلتُ: آمين (رواه الطبراني وصححه الألباني.

فنجدد النية لله من الآن ، ونتنافس في هذا الشهر الفضيل على الخيرات ومرضات الله تعالى؛ فإذا حصل عارض أو كان هناك مانع -عافاكم الله –من مرض أو سفر ولم يستطع أحدنا الصلاة بالمسجد؛ نقول له : أبشر سيكتب لك الأجر كاملا من فضل الله تعالى.

فأروا الله تعالى من أنفسكم خيرا ، فقد بدأ العد التنازلي لشهر رمضان ولنهيئ قلوبنا ونهيئ أنفسنا لاستقبال الضيف الكريم .

أسأل الله العظيم الكريم جل وعلا أن يجعلنا هداة مهتدين.
لا ضالين ولا مضلين.

****

الخطبة الثانية

هل السنة

الرؤية البصرية أم الأخذ

بالحساب الفلكي؟

عناصر الخطبة:

أولا/ هل يجوز الأخذ بالحساب الفلكي لهلال رمضان أو شوال؟

ثانيا/ مواقيت الصلاة بالحساب الفلكي

ثالثا/ توجيه حديث : إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب

الخطبة الثانية

هل السنة الرؤية البصرية أم الأخذ بالحساب الفلكي؟

أوجب الله- سبحانه وتعالى- على عباده الصيام وجعل لدخول الشهر علامة هذه العلامة هي رؤية الهلال، فلا يجب الصيام إلا إذا دخل الشهر ولا نعرف دخول الشهر من عدمه إلا إذا تأكدنا أننا رأينا الهلال أم لا؟

إن رأيناه تحقق الصيام أو الإفطار، وإذا لم نره فإننا كما علمنا النبي نتم العدة عدة شعبان، أو عدة رمضان ثلاثين يوما، والسؤال الآن هل يجب التحقق بالرؤية البصرية أم يجوز الأخذ بالحساب الفلكي؟ وهذا هو موضوع خطبتنا.

عناصر الخطبة:

أولا/ هل يجوز الأخذ بالحساب الفلكي لهلال رمضان أو شوال؟

ثانيا/ مواقيت الصلاة بالحساب الفلكي.

ثالثا/ توجيه حديث : إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب.

رابعا/ يوم العيد يوم إجازة مدفوعة بكندا للمسلمين .

خامسا/ صلاة عيد مجمعة .

سادسا/ قلق دائم متى ينتهي؟

أولا/ هل يجوز الأخذ بالحساب الفلكي لهلال رمضان أو شوال؟

في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم- كانوا يستطلعون الهلال وكان الأمر سهلا يسيرا فالسماء صافية، والبصر حديد -ما شاء الله- يرون الهلال بكل سهولة ويسر في السماء، لا يوجد انبعاث كربون، ولا عوادم سيارات، ولا عوادم مصانع، ولا تلوث ، ولا دخان، ولا أضواء كهرباء، ولا هذه الأشياء

كلها فكانت رؤية الهلال بمنتهى السهولة، فكانوا إذا رأوا الهلال صاموا وإلا أفطروا .

الآن ضعف النظر فصرنا لا ندرك الهلال بالعين المجردة، سأستعمل ميكروسكوب (مجهر باللغة العربية) وأرى هل الهلال موجود أم لا؟ فأنا بذلك أيضا أحقق المعنى الشرعي بالمجهر.

وحتى أصل لمرحلة من مراحل الدقة عندي الحساب الفلكي يحدد لي وقت ومكان ولادة الهلال، ومن الممكن أن يقول العلم لي: لا يوجد هلال في السماء أو يقول: إنه موجود لمدة كذا في المكان الفلاني، وأي واحد فيكم يدخل على موقع مركز الفلك الدولي سيجد أنه في كل الشهور العربية يعرض فيها بيان مكان الهلال في المنطقة الفلانية، ويستحيل رؤية الهلال في المنطقة الفلانية ، قد يمكن رؤيته بالتلسكوبات في المنطقة الفلانية ، كلا يمكن رؤيته بالعين المجردة وهكذا.

إذن فالوسيلة تتغير لكن الهدف واحد هو: هل يوجد هلال أم لا؟ والله- سبحانه وتعالى- قال: **(الشمس والقمر بحسبان)[الرحمن:5]** بحسبان أي بحساب وتقدير من العزيز العليم، وذلك من آيات الله ونعمه، لأنهم يعرفون به الشهور والسنين والأيام، وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحا في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿**هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾ **[يونس: 5]**.

أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب، والحسبان كناية عن انتظام سيرهما انتظاما مطردا لا يختل حساب الناس له والتوقيت به.
فالحسابات الفلكية ليست رجما بالغيب؛ بل الحسابات الفلكية مبنية على قواعد واضحة وثابتة ونسبة الخطأ فيها كما قالوا نسبة واحد في المليون.

ثانيا/ مواقيت الصلاة بالحساب الفلكي

وتعجب ممن ينكرون الأخذ بالحساب الفلكي للشهور الهجرية، وكلهم يأخذون بالحسابات الفلكية يوميا من خلال مواقيت الصلاة (فجر ظهر عصر مغرب عشاء) هل يوجد مؤذن في العالم كله الآن يطلع يتحرى الفجر في السماء أو يطلع يتحرى زوال الشمس عن وسط السماء وبداية الظهر أو أن ظل الشيء صار مثله في وقت العصر؟!!

فنحن المسلمين قد افترض الله علينا خمس صلوات تتكرر يوميا نتبع فيها الحساب الفلكي يعني 150 صلاة في الشهر1825صلاة في السنة ، فلماذا نأخذ بالحساب في الصلوات الخمس ثم نقول: عن هلال رمضان أو شوال لا نأخذ بالحساب الفلكي؟ والشريعة لا تفرق بين متماثلين، فما الفرق بينهما؟

الحساب الفلكي الذي سيضبط لك وجود الهلال هو نفسه الذي يضبط لك مواقيت الصلاة لا فرق.

الإشكالية وهذه مسألة مهمة جدا أن عددا من البلاد العربية وصلوا لمرحلة أنهم يتراءون الهلال وهو غير موجود، والأعجب من هذا أن هناك من يشهد أنه رأى الهلال وهو هلال يستحيل علميا أن يوجد ويصوم الناس ويفطرون على خطأ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هناك مقطع على اليوتيوب لباحث فلكي سعودي اسمه (عدنان القاضي) جمع الموضوع في دراسة وهي منشورة أيضا على الإنترنت ، عمل دراسة فلكية بصفته رجل متخصص في المجال لآخر خمسين سنة لغاية سنة 2010م

قال: إن نسبة أخطاء السعودية في تحري الهلال 78%

وأقل الدول العربية: الأردن 35%

المغرب :لا أخطاء على المستوى المحلي لأن المغرب عندها الرؤية المحلية الخاصة بها وليس عالميا.

فلك أن تتخيل أن دولا تصوم على غير هلال أو تفطر على غير هلال!!!

إن عدم إيقاع العبادة على وجه صحيح سيؤدي إلى أننا لم نطبق الأمر الإلهي **(كتب عليكم الصيام)** على وجه صحيح.

تحقيق الأمر الإلهي بأن أصلي بعد دخول الوقت وليس قبل دخول الوقت ولا بعد خروجه ، كذلك أصوم عندما يتحقق رؤية هلال رمضان وأفطر عندما يتحقق رؤية هلال شوال.

وأقرب مثال لهذا الذي حدث عام 1443هـ الفلكيون قالوا إنه لا يوجد هلال في المنطقة العربية كلها آسيا وأفريقيا ما فيها هلال نهائي لأن الهلال سيغرب قبل غروب الشمس يعني ما في هلال.

وفوجئنا بالسعودية ومصر وغيرهما أعلنوا رسميا إن غدا رمضان!!!

الحسابات الفلكية قالوا إن الهلال ممكن رؤيته بالرؤية البصرية والتلسكوبات في الأميركتين الشمالية والجنوبية.

طيب يا جماعة أنتم عندكم مراصد وعلماء شرع وعلماء فلك ثم تعلنون رؤية هلال لا وجود له في السماء عندكم؟؟

طيب أعلنوا أنكم ستأخذون بالحسابات الفلكية لنصدقكم إنما تعلنون أن غدا رمضان ولا يوجد هلال في منطقتكم كلها؟ فهذا يا للأسف تخبط.

في لفتة جميلة للدكتور خالد حنفي- بارك الله في عمره- [1]قال: إن من إشكاليات هذا الخطأ كأننا نبين للناس أن الدين عاجز عن مسايرة الحياة وهذا هو التنظير الذي يقوده العلمانيون أن يقول لك أحدهم: إن الدين كان زمان، الشريعة كانت زمان ، القرآن غير مناسب لكل زمان ومكان، وأدل دليل: هذا الأمر وهذا طبعا عبث وغير صحيح، فالإسلام دين يواكب العلم وواقع الحياة فهو دين واقعي؛ دين فيه توازن؛ فيه شمولية؛ فيه ربانية ...إلى آخر ذلك.

فلما يقول بعضهم إن هناك فصل بين الدين والعلم، نقول لهم: هذا الفصل صنعه البشر لكن الدين لا يصطدم مع العلم أبدا.

ثالثا/ توجيه حديث : إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب

ومن الغريب الاستدلال بحديث النبي: **(إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب)** وهذا الحديث توصيف لواقع المجتمع الذي بعث فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وليس إخبارا عن قدر أن تظل الأمة طوال عمرها أمة أمية مستحيل أن تكون الأمية شيء مستحسن في الدين أو مطلب ديني أن تبقى الأمة أمية... من زعم هذا؟

لو قلت إن في مصر مثلا نسبة الأمية 20% هل معنى ذلك أن هذا قدر أن تبقى نسبة الأمية بمصر20% ونحافظ عليها؟!

---

[1] الدكتور خالد حنفي عميد الكلية الأوربية للعلوم الإنسانية بألمانيا، ورئيس لجنة الفتوى بألمانيا، ونائب رئيس المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث.

لو قلت إن بالمغرب المرض الفلاني نسبة الإصابة به 30% هل هذا قدر أن يبقى المغرب مع هذا المرض بدون علاج؟ هذا كلام عبث.

فالرسول- صلى الله عليه وسلم- يشخص حالة الأمة في وقت بعثته أنها أمة أمية ، وقال تعالى : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا)** [الجمعة :2] فالعرب أمة أمية لا يقرأون ولا يكتبون هذا توصيف لواقع لكن الرسول- صلى الله عليه وسلم- هو الذي أمر الصحابة بالتعلم والعلم وعندنا قصة زيد بن ثابت لما أمره أن يتعلم العبرية وقال إني لا آمن أحدا على كتب (رسائل) تأتيني من اليهود.

وأيضا الأسرى في غزوة بدر كانوا من يعجز منهم عن دفع الفدية يعلّم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

فهذا إخبار عن واقع وليس إخبار عن قدر محتوم أن تظل الأمة أمية وتكون أمة متخلفة لا معرفة لها بأدوات العلم ولا أدوات العصر.

رابعا/ يوم العيد يوم إجازة مدفوعة بكندا للمسلمين

ونحن نحلم كمسلمين في كندا ونحن جزء من هذا المجتمع أن نصل إلى موائمة على المستوى العام أن نصوم في يوم واحد ونفطر في يوم واحد إذا تحقق هذا سنصل إلى إلزام أصحاب القرار أن يكون يوم العيد يوم إجازة مدفوعة الأجر وإجازة من المدارس لأبنائنا، وإجازة من الأعمال هذا مطلب مشروع.

وهذا مطلب مهم لكل مسلم عنده عيدك ويريد أن يحتفل به؛ فلا يعقل أن نقول للسياسيين أو أعضاء مجلس النواب (البرلمان)أو مجالس البلدية - إن شاء الله- على الساعة 9 أو 10 في الليل سنعرف إذا كان غدا عيد أو لا؟

وفي بعض الأماكن تتيح للعاملين أخذ إجازة يوم عيده، فإذا سأله مديره متى عيدكم؟ يقول له والله المسألة فيها قولان إما الثلاثاء وإما الأربعاء!!!

فالمقصود تحديد غدا العيد أو بعد غد العيد يوفر الأجواء لطلب إجازة ولو بشكل فردي، فتقدم ورقة عندك بالعمل لمديرك غدا عندي عيد، وكذلك أولادك تكتب رسالة للمدرسة إن أولادي سيغيبون في هذا اليوم.

خامسا/ صلاة عيد مجمعة:

من ضمن الأمور المهمة أيضا حلمنا كمسلمين بعمل صلاة عيد مجمعة لجميع المسلمين، ونحن ما شاء الله لا قوة إلا بالله كثير، والعدد سيشمل رجال ونساء وأطفال، ونحن نعاني لأن مساجدنا في صلاة العيد لا تتسع للمصلين جميعا، فلماذا لا نستأجر ملعب كرة قدم يتسع لعشرين ألف مصل ما المانع؟

أول مانع من الموانع متى نحجز الملعب؟ يوم الإثنين ولا يوم الأحد؟

أحد الإخوة حكى لي أنهم في تورنتو حجزوا إستادا بثلاثة وعشرين ألف دولار وبعدها في مجلس الأئمة عندهم قالوا: رمضان 30 يوم!!

وللأسف راحت عليهم الفلوس23 ألف دولار ما السبب؟ هو عدم الأخذ بالحساب الفلكي.

نحن هنا في بعض السنوات اضطررنا أن نحجز القاعة ليومين لو رمضان ناقص أو رمضان كامل!!

من يدفع هذه الفلوس؟ إنها تدفع من جيوب المسلمين وأموال المسلمين؟

23ألف اندفعت في تورنتو أليست تضييع لفلوس المسلمين؟

وكيف احجز قاعة وأقول لهم: نريدها ليومين لأن صلاة العيد عندنا فيها قولان.

سادسا/ قلق دائم متى ينتهي؟

من عدة سنوات قالوا إن فيه رؤية ممكنة في الأميركتين، لكن في العالم العربي ما في هلال.

مجلس الأئمة وقتها كان يأخذ برأي وسط وهو : لو بلغتنا رؤية مسبقة في أي دولة من دول العالم الإسلامي، والحساب الفلكي يقول بإثباتها نأخذ بها ، وإذا لم تأتنا رؤية ننتظر؛ فلو بلغتنا رؤية من أي مكان قريب حتى إلى صلاة العشاء كان وقتها العشاء الساعة 10:50 انتظرنا حتى الساعة العاشرة والنصف ولم يأتنا أي إفادة فأعلنا أن غدا 30 شعبان، وكان في جمعية كبيرة هنا بمونتريال أعلنت الأخذ بالحساب الفلكي وأن غدا 1 رمضان، وحدثت فتنة كبيرة وجلبة وضجة ، المهم أعلنا والناس قالوا نحن مع مجلس الأئمة .

الساعة 11:30 بسبب فروق التوقيت (الدكتور صلاح الصاوي) أمين مجمع فقهاء الشريعة خرج في بث مباشر على الفيسبوك، وقال إن الهلال ثبتت رؤيته في ولاية كاليفورنيا!!!! ونشر الصورة التي صورها أحد المسلمين هناك.

طيب يا جماعة كيف نوقظ الناس الذين ناموا لنخبرهم أن غدا 1 رمضان؟ لقد وقعنا في أشكال شرعي كبير وليس سهلا!!!

ونفس المشكلة حصلت في خروج الشهر اجتمعنا أربع ساعات خمس ساعات وما شاء الله الأئمة كلهم متكلمين اتفقنا على ألا نتفق على شيء، يا جماعة اتقوا الله في الجالية، يا جماعة اتقوا الله ونأخذ بالحساب الفلكي سيسهل علينا.

نحن في مونتريال لا عندنا مراصد ولا فلك ولا علماء ولا أي مقدرة على رصد الهلال والسماء مغيمة أغلب الوقت في غيم وفي سحاب وفي أمطار بحكم طبيعة جزيرة مونتريال فالأرفق والألطف والأحسن والأرحم للمسلمين الحسابات الفلكية.

قالوا لا هذا الاجتماع لا يكفي نعمل اجتماع آخر، المهم في الأخير انقسمنا على قولين!!! واتفقنا ألا نتفق!!! ومن يومها لم نجتمع!!

فهذه الإشكاليات أذاقتنا الويلات تخبط وحيرة وتردد

ولهذه الأسباب أقول: إن الرؤية البصرية ليست مقصودة لذاتها إنما هي وسيلة لمعرفة وجود الهلال من عدمه، والأخذ بالحسابات الفلكية الدقيقة سيرفع حرجا بالغا عن المسلمين في الغرب، والله المستعان.

وأختم بقوله تعالى **:(قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [الزمر 46]**

****

الخطبة الثالثة
بادروا بالأعمال الصالحة
(الاستعداد لرمضان)

عناصر الخطبة:

أولا/ احذروا تحقير الأعمال.

ثانيا/ من هم أهل الأعراف ؟

ثالثا / (ولا تنس نصيبك من الدنيا)

رابعا/ رمضان سباق نحو الجنة.

الخطبة الثالثة

بادروا بالأعمال الصالحة(الاستعداد لرمضان)

ها هو شهر رمضان قد حل علينا بأنفاسه العطرة وذكرياته الغالية ، ودائما ما نجد التجار عند اقتراب موسم من مواسم التجارة يبادرون بعرض بضائعهم وعرض أسعارها لجذب أنظار الناس وترغيبهم في شرائها ، وتحقيق أعلى قدر من المكسب والربح.

فشهر رمضان شهر البركات والخيرات ، وشهر النفحات والهبات ، والنفس والمؤمنة تستقبل هذا الشهر بفرح وسرور لما فيه من صيام وقيام واستغفار وعبادات وطاعات ، والمسلم يضاعف طاعاته في هذا الشهر لينافس الصالحين، ويندرج تحت زمرة المتقين ، ويفوز مع الفائزين .

عناصر الخطبة:

أولا/ احذروا تحقير الأعمال.

ثانيا/ من هم أهل الأعراف ؟

ثالثا / (ولا تنس نصيبك من الدنيا)

رابعا/ رمضان سباق نحو الجنة.

أولا/ احذروا تحقير الأعمال

أيها الأحباب ألا أدلكم على تجارة لا تبور (لا تكسد ولا تخسر) إنها التجارة مع الله ؛ فهذا الشهر الكريم فرصة عظيمة للتجارة مع الله ، شهر رمضان سباق إلى الجنة وتنافس على رضوان الله ، قال تعالى : **(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الحديد:21]** فالمسارعة والمسابقة بدون كسل ولا تباطؤ ولنحذر من تحقير الأعمال ، **يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروا ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله ، وسنة نبيه) صححه الألباني**

ومعنى الحديث أن الشيطان لما رأى ما في الصحابة من تمسك بالدين الصحيح والعقيدة الصافية ،يئس أن يعبد في جزيرة العرب؛ ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك والمقصود أن يزهد الواحد منا في الطاعة فيكسل عنها أو يتركها ، فيزهده في كلمة طيبة أو في صلاة الجماعة بالمسجد ، أو في صدقة تطوع ، أو صلة رحم ، تحت دعوى التعب ، الإرهاق ، الكسل ، أنا أحسن من غيري ، أنا مشغول .... الخ.

أو ما نحقر من الذنوب التي يفعلها الإنسان ويراها صغيرة ، وقد حذرنا النبي –عليه الصلاة والسلام- بقوله : **(إياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجتمع على العبد حتى تهلكه)** وضرب المثل بالقوم الذين نزلوا منزلاً ليصنعوا طعامهم فيأتي هذا بعود، وهذا بعود، فيوقدون ناراً ويصنعون الطعام على هذه الأشياء الحقيرة.

ومن هذا الباب : التساهل في الغيبة ، والخوض في الأعراض ، وتحقير الغير ، واعتياد ترك صلاة الفجر، أو يقطع الرحم ، أو يتساهل في أكل الحرام ، فالمقصود أن المحقرات هي التي يراها الإنسان حقيرة ويتساهل بها .

ثانيا/ من هم أهل الأعراف ؟

الأعراف جمع عرف ، وهو المكان المرتفع، وهو سور عال بين الجنة والنار عليه أهل الأعراف، وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

قال حذيفة وابن عباس: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته.

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٤٧﴾﴾

[الأعراف: 46-47] فهؤلاء القوم كان الواحد منهم لا أقول يحتاج حسنة بل كان يكفيه أن يهم بحسنة أو أن يترك سيئة لله!!!

وأعجب العجب أن قوما يأتون يوم القيامة وقد غلبت سيئاتهم حسناتهم ؛ على الرغم من أن الحسنة تتضاعف إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى

ما شاء الله، وأما السيئات فإن السيئة تكتب بواحدة وهي قابلة للتكفير بالمرض أو بأن تتبعها بحسنة، أو للتوبة فيبدل الله السيئات حسنات ، أو للعفو من الله ، وعلى الرغم من ذلك سيأتون يوم القيامة وقد غلبت سيئاتهم حسناتهم.

سباق السلحفاة والأرنب:

وهذا السباق بين الحسنة والسيئة يذكرنا بالقصة الرمزية التي قرأناها ونحن صغار عن السباق بين السلحفاة والأرنب!! فيحكى أن أرنباً مغرورا كان يفتخر دائماً بأنه الأسرع وفي يوم من الأيام شاهد السلحفاة تمشي ببطء شديد فراح يستهزأ بها ويقول لها إنك بطيئة جدا!!!
فقالت له السلحفاة: ما رأيك أن نتسابق أنا وأنت وسوف نرى من سيفوز؟!!
فوافق الأرنب ، وبدأ السباق والأرنب المغرور يقول :لن تغلبني هذه البطيئة !!
فما كان منه إلا أن نام وهو يقول لنفسه سأغلب السلحفاة البطيئة بعد أن أرتاح قليلا ....وتابعت السلحفاة المشي ولم تتوقف حتى وصلت لخط النهاية ، واستيقظ الأرنب متأخرا وأخذ يقفز بسرعة ليسبق السلحفاة، لكن قد فات الأوان، وفازت السلحفاة لأنها لم تتوقف عن المسير.

فسباق الحسنات والسيئات تماما كالسباق بين السلحفاة والأرنب ، وسيأتي يوم القيامة أناس غلبت سيئاتهم حسناتهم!!

ثالثا / (ولا تنس نصيبك من الدنيا) [القصص: 77]

وبعض الناس إذا كلمته في ذلك يقول لك: **(ولا تنس نصيبك من الدنيا) [القصص: 77]**، ويقصد أن الإنسان يلهو ويلعب ، ويفرح بأيامه ولو كان في معصية الله ، ولفهم الآية فهما صحيحا لا بد من قراءتها من أولها ، قال تعالى -حكاية عن صالحي بني إسرائيل حينما كلموا قارون أن يخرج زكاة ماله- **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) [القصص: 77]** فالمعنى هنا أن المسلم ينبغي أن يجعل الآخرة هي محل الاهتمام ، والدنيا هي محل النسيان، وأوضح ذلك بمثال: رجل يعمل في القاهرة وهو يذهب لعمله يوميا فهذا (محل الاهتمام) طلبت منه أن يشتري شيئا من مكان فيها فهذا (محل النسيان) فأنا أقول له: احرص على الوصول إلى عملك في القاهرة ولا تنس أن تشتري لي كذا وكذا من المكان الفلاني ، فمحل اهتمامه العمل، ومحل نسيانه أن يشتري شيئا ما.

إذن فالمسلم عنده الآخرة محل الاهتمام ، والدنيا محل النسيان وقد كان هذا واضحا جليا في موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذَبَحَ أهلُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شاةً، وتَصَدَّقُوا بِلَحْمِها على الفقراءِ، وأبقَوْا كَتِفَها لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، لأنّه كان يُحِبُّ لَحْمَ الكَتِف.

ولمّا عادَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى مَنْزِلِه، سأل عائشة عن الشاة فقالت ذهبت كلها إلا الكتف فقالَ لها الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :**بل قولي بقيَت كلُّها إلا الكتف)**؛ فالذي وزَّعُوه على الفقراء هو الباقي عند الله لأنه صدقة سيجزيهم الله عليها، والذي أبَقْوه لِيأكلُوه هو الفاني الذي ذَهَبَ.

وهذه عائشة – رضي الله عنها- تفعل مثلما فعل النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقد قسمت في يوم مئة وثمانين ألف درهما بين الناس فلما أمست قالت: يا جارية علي فطوري فجاءتها الجارية بخبز وزيت!!! ثم قالت الجارية: أما استطعت فيما قسمتي أن نشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟؟
فقالت لها عائشة لو ذكرتيني لفعلت!!!

رابعا/ رمضان سباق نحو الجنة

نستقبل بعد أيام ضيفا كريما ، طالما انتظرته القلوب المؤمنة، وتشوقت لبلوغه النفوس الزاكية، وتأهبت له الهمم العالية، وقد جعله الله موسما عظيما لفعل الخيرات، والمسابقة بين المؤمنين في مجال الباقيات الصالحات، فإن أنت عرفت قدره، وأحسنت استقباله، واستثمرته فيما يقربك إلى الله تعالى ويرفع درجاتك عنده كنت من الفائزين.

إنه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، إنه سيد الشهور وأفضلها على الدوام، إنه شهر القرآن والصيام والقيام، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا ، شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتصفد فيه الشياطين ومردة الجان. شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار، شهر الصبر والمواساة، شهر التكافل والتراحم، شهر التناصر والتعاون والمساواة، شهر ترفع فيه الدرجات، وتضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات، شهر فيه ليلة واحدة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فهو المحروم.

فهنيئا لنا برمضان، ويا بشرى من تعرض فيه لنفحات الله، وجاهد نفسه في طاعة الله ، **قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت: 69]**

ولقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يبشر أصحابه بقدوم هذا الشهر

المبارك، ويبين لهم فضائله، حتى يتهيئوا له ويغتنموه.

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه- قال: (كان النبي – صلى الله عليه وسلم- يبشر أصحابه، يقول :"قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم) رواه الإمام أحمد ، وحسنه الألباني.

وروى البخاري ومسلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال :(إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين) وزاد في رواية للترمذي وابن ماجه وغيرهما: (وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة).

فدلت هذه الأحاديث وما في معناها على بعض خصائص هذا الشهر وفضائله ومنها ما يأتي:

أولاً :أنه تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وذلك لكثرة ما يعمل فيه من الخير والأعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة، ولقلة ما يقع فيه من المعاصي والمنكرات التي هي سبب لدخول النار، وتفتح أبواب الجنة أيضاً ترغيباً للعاملين في استباق الخيرات، والمسابقة إلى الباقيات الصالحات ، فهذا أوان الجد والاجتهاد، وهذا هو وقت العمل والجهاد، وأن يري المسلم ربه من نفسه خيراً، والموفق من وفقه الله، والمحروم من حرمه الله.
وتغلق أبواب الجحيم، ترغيباً للعاصين المفرطين في جنب الله، أن يتوبوا ويعودوا إلى الله، وأن يتبعوا السيئات بالحسنات، التي تزيل آثار الذنوب من القلوب، وتمحوها من ديوان الحفظة، فإن الحسنات يذهبن السيئات، والخير يرفع الشر، والنور يزيل الظلمة، والمرض يعالج بضده.

ثانياً :أنه تصفد فيه الشياطين، أي تغل وتوثق، وتقيد بالسلاسل والأصفاد، فلا يصلون فيه إلى ما يصلون إليه في غيره، ولا يتمكنون من إغواء عباد الله وإضلالهم كما يتمكنون منهم في غيره.

أسأل الله تعالى أن يبلغنا رمضان ، وأن يعيننا على صيامه وقيامه، ويجعلنا من السابقين إلى الخيرات، الفائزين بأعلى الدرجات، وأن يغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين والمسلمات.

****

الخطبة الرابعة

عشر نصائح

لاستقبال رمضان ؟

عناصر الخطبة:

أولا / اللهم بلغنا رمضان.

ثانيا / الفرحة ببلوغ رمضان.

ثالثا / نية المرء أبلغ من عمله.

رابعا / التوبة النصوح قبل رمضان

خامسا / طهارة القلب قبل رمضان

سادسا/ رمضان تجارة رابحة.

سابعا / تعلم أحكام رمضان.

ثامنا/ قلل ساعات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي

تاسعا/ اختر صديقا ناصحا

عاشرا/ كن للخير إماما

الخطبة الرابعة

عشر نصائح لاستقبال رمضان

تستقبل الأمة الإسلامية في الأيام القليلة القادمة ضيفاً عزيزا تتشوّف القلوب إلى مجيئه وتتطلع النفوس إلى قدومه ؛ وكلهم يرجو أن يبلُغَ هذا الضيف وأن يُحَصِّل ما فيه من خير وبركة؛ ألا وهو شهر رمضان المبارك ، ذلكم الشهر الذي خصه الله جلّ وعلا بميزات كريمة وخصائص عظيمة ومناقب جمّة تميزه عن سائر الشهور، وإليكم عشر نصائح قبل رمضان نحب أن نشاركها معا استعدادا للشهر الكريم.

عناصر الخطبة:

أولا / اللهم بلغنا رمضان.

ثانيا / الفرحة ببلوغ رمضان.

ثالثا / نية المرء أبلغ من عمله.

رابعا / التوبة النصوح قبل رمضان

خامسا / طهارة القلب قبل رمضان

سادسا/ رمضان تجارة رابحة.

سابعا / تعلم أحكام رمضان.

ثامنا/ قلل ساعات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي

تاسعا/ اختر صديقا ناصحا

عاشرا/ كن للخير إماما

أولا / اللهم بلغنا رمضان

إذا دخل رمضان على المسلم وهو حي يرزق، فتلك منحة كبيرة وخير وفير، فإذا وفق العبد لصيامه وقيامه وطاعة الله فيه كما ينبغي، فتلك نعمة عظيمة وهبة كريمة تستحق الشكر والثناء، وتستوجب الاعتراف بكرم الله وفضله، لذلك، يتعين على المؤمن أن يحمد الله على مد عمره لبلوغ هذا الشهر الكريم،

وشرح صدره لاغتنام هذا الفضل العظيم، فندعو الله أن يعيننا على أن نحسن استقبال الشهر وأن نحسن العمل فيه.
يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: إذا دعوت الله أن يبلغك رمضان فلا تنس أن تدعوه أن يبارك لك فيه، فليس الشأن في بلوغه! وإنما الشأن ماذا ستعمل فيه؟!!!

لأنك إذا وفقت فيه لعمل صالح فإنك ستسبق الجميع إلى الجنة حتى الشهيد.
فعن أبي هريرة قال: كان رجلان من بلي من قضاعة أسلما مع النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيد الله: فأريت الجنة فرأيت فيها المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجبت لذلك!! فأصبحت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال: أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة؟!! رواه أحمد بسند حسن.

فمع أنهما أسلما في يوم واحد، ومات الأول شهيدا، إلا أن تأخير موت الآخر سنة جعله سابقا للشهيد إلى الجنة، لأنه أدرك شهرا من رمضان زيادة على صاحبه وبارك الله له فيه.

ثانيا / الفرحة ببلوغ رمضان
رمضان هو شهر الخيرات وموسم الرحمات، فيه يزداد الأجر وتضاعف الحسنات، لذلك يفرح المسلم لإطلالة هذا الشهر العظيم، ويبتهج لمقدم هذه المناسبة العطرة، مصداقا لقوله تعالى: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس:58]** فالمسلم الحقيقي هو الذي يفرح بطاعة الله ويبتهج بعبادته، ويسعد بفضل الله عليه أن مَدَّ في عمره وبلَّغَه هذا الشهر الكريم.

وكان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بمقدم هذا الشهر فيقول : (جاءكم شهر رمضان شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب الجحيم ...) أخرجه أحمد

(شهر مبارك) لأن فيه خيرات وبركات كثيرة... بركة في الدعاء، بركة في الرزق، بركة في الصلاة، بركة في الإنفاق، بركة في قراءة القرآن، بركة في الوقت، بركة في الليل، بركة في النهار، بركة في الطعام، وغيرها من البركات.

وقد صور رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هذه الفرحة بقوله : (لِلصَّائِمِ

فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (متفق عليه).

وعمر بن الخطاب هو أول من فكر في إنارة المساجد في ليالي رمضان حتى يستطيع المسلمون أداء صلاة التراويح وإحياء ليالي رمضان، وروي أن علي بن أبي طالب كان يمر ذات ليلة من ليالي رمضان فرأى المساجد تتلألأ بالأنوار في منظر مفرح بهيج، فقال: (نوَّر الله على عمر بن الخطاب في قبره كما نوَّر علينا مساجدنا)

ثالثا / نية المرء أبلغ من عمله

وهذا ليس بحديث ولكن أثر معناه صحيح والمعنى من نوى الخير، وعمل منه مقدوره، وعجز عن اكماله، كان له أجر العامل. كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: **(إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا، الا كانوا معكم ، قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: (وهم بالمدينة، حبسهم العذر).**

فجدد يا أخي العزم والنية على صيام رمضان وقيام جميع لياليه وخطط لنفسك ماذا تنوي من ختم القرآن وصلة الرحم والصدقة والذكر والدعاء وسائر الأعمال الصالحة ، فلو قدر الله وحال دون ما عزمت حائل من سفر أو مرض أو نحو ذلك كتب لك أجر ما نويت كما في الصحيحين عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: **(اذا مرض العبد او سافر، كتب له من العمل ما كان يعمله وهو صحيح مقيم)**

فمن صدق الله صدقه وأعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال الله عز وجل : **{ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ } [محمد : 21}** فعلى المسلم تبييت النية الصالحة على أن تكون في رمضان على حال يرضاها الله تعالى.

والنية أساس العمل ونية المؤمن أبلغ من عمله ، وكان الإمام أحمد رحمه الله يوصي ولده ويقول: (يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير)

فما الذي نويت أن تكون عليه في رمضان من الآن؟!

ما الذي تحدث نفسك به؟ وما الذي تتصوره لنهارك وليلك؟

ما الذي يراه الله في قلبك الآن؟ عزم على أن تكون أكثر قرباً منه؟

عزم على أن تختم القرآن كذا وكذا مرة؟

عزم على ألا تفوت صلاة الجماعة ولا مرة واحدة خلال رمضان؟

عزم على ألا تضيع صلاة التراويح ؟

أم أن الله ينظر إلى قلبك الآن فيرى غفلة وضياعاً أو يرى تبييتاً لمتابعة

المسلسل الفلاني والبرنامج الهابط الفلاني وغير ذلك مما يعده قطاع الطرق ولصوص رمضان من شياطين الإنس من البرامج والمسلسلات الساقطة التي تقطعك عن الله في رمضان وتحول بينك وبين روحانية الصيام ولذته وحلاوته.

والله ما رأيت آية أصدق في وصف هؤلاء وما يعدونه في رمضان من قول الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا**﴾ **[النساء: 27]**

والكثيرون منا يخططون تخطيطاً دقيقاً لأمور الدنيا ، ولكن قليلون هم الذين يخططون لأمور الآخرة ، وهذا ناتج عن عدم الإدراك لمهمة المؤمن في هذه الحياة، ونسيان أو تناسى أن للمسلم فرصاً كثيرة مع الله ومواعيد مهمة لتربية نفسه حتى تثبت على هذا الأمر، ومن أمثلة هذا التخطيط للآخرة ، التخطيط لاستغلال رمضان في الطاعات والعبادات ، فيضع المسلم له برنامجاً عملياً لاغتنام أيام وليالي رمضان في طاعة الله تعالى.

رابعا / التوبة النصوح قبل رمضان

من أعظم نعم الله على عباده أن فتح لهم باب التوبة والإنابة، فيرجع العبد إلى ربه معترفا بذنبه، مؤملا في ربه، نادما على فعله، ليجد في قربه من ربه ما يزيل عنه وحشة الذنب، وينير له ظلام القلب، وتتحول حياته من شقاء المعصية وشؤمها، إلى نور الطاعة وبركتها.

ولذا خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه، فقال سبحانه: **{وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون} (النور:31)،**

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم.**

وإذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول: **(يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مئة مرة) رواه مسلم،** فكيف بغيره من المذنبين والمقصرين.

والمسلم ليس معصومًا عن الخطأ، فهو عرضة للوقوع في الذنوب والآثام، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، وبيّن أنه من طبع البشر، وبيّن علاجه فقال صلى الله عليه وسلم: **(كلُّ بني آدَمَ خطّاء، وخيرُ الخطّائين**

التوّابون) وقال : (والذي نفسِي بيَدِه، لو لم تُذنِبوا لذَهَب الله بكم، ولجاءَ بقومٍ يذنِبون فيستغفِرون اللهَ، فيغفِر لهم)

وشهر رمضان هو شهر مغفرة الذنوب، وشهر القبول ومضاعفة الحسنات، وشهر العتق من النار، هو الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين ؛ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة، هو الشهر الذي «**ينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغيَ الشرّ أقصِر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**» (كما في السنن وعند أحمد من حديث أبي هريرة أيضًا).

قال الإمام ابن القيم : (فمما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولا بد، وأن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ؟)

فحريٌّ بالمؤمن الصادق الذي مدّ الله في عمره حتى أدرك هذا الشهر أن يغتنمه بتوبة صادقة، وانطلاقة جادة بعزيمة أكيدة، فيجدد العهد مع الله بأن يلتزم بطاعته، وأن يأتمر بأوامره، وينتهي عن مناهيه، ويستقيم على دينه حتى يلقاه؛ فإن العبرة بالخواتيم.

التوبة الصادقة:

ورمضان من أعظم مواسم التوبة والمغفرة وتكفير السيئات، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)**، كيف وقد جعل الله صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر على وجه الخصوص إيمانا واحتسابا مكفرا لما تقدم من الذنوب؟!

والعبد يجد فيه من العون ما لا يجده في غيره، ففرص الطاعة متوفرة، والقلوب على ربها مقبلة، وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النار مغلقة، ودواعي الشر مضيقة، والشياطين مصفدة، وكل ذلك مما يعين المرء على التوبة والرجوع إلى الله.

خامسا / طهارة القلب قبل رمضان

شهر رمضان شهر خير وبركة وإحسان، وهو فرصة عظيمة لتطهير القلوب من أدران الحسد والبغضاء، والكراهية والشحناء.

وهو فرصة لوصل أرحام قطعت، وزيارة إخوان هجروا.

إنه مناسبة جليلة لإزالة أسباب الخلاف والنزاع بين المتخاصمين، ووضع حد للمتهاجرين والمتقاطعين، إنه فرصة لأن تسمو فيه النفوس على حظوظها، وتتطهر فيه القلوب من أدرانها وغلوائها، فتمتد فيه الأيدي بالمصافحة بعد سنوات الانقباض، وتطرق فيه الأبواب للزيارة بعد طول الجفاء والهجران، وتجتمع فيه الأرحام بعد التفرق والانقطاع.

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصيام سبب لإزالة ما في القلوب من الغش والدغل، فتكون النفوس أقرب ما تكون إلى الصفح والعفو والمسامحة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صوم شهر الصبر ، وثلاثة أيام من كل شهر ، يذهبن وحر الصدر) قال الألباني في صحيح الترغيب: حسن صحيح.

سادسا/ رمضان تجارة رابحة

أوقات رمضان كلها غالية فاشغلها كلها بالطاعة ، ورمضان ميدان للعمل الصالح فسيح، وسوق للآخرة كبير، وأرباحه مضمونة، والأعمال فيه محفوظة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين» رواه الشيخان.**

وإنما تفتح في رمضان أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، بسبب ما يقوم به العباد من أعمال صالحة ترضي الله تعالى، فيرضى سبحانه عن أعمال الصالحين فيه.

ورمضان ميدان لجملة كبيرة من الأعمال الصالحة؛ فصيامه فريضة، والصوم من أجل الأعمال؛ وفيه الصدقة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم: **(أجود ما يكون في رمضان).**

ومن الصدقة: إطعام الطعام، وسقي الماء، ومن فطر صائما كان له مثل أجره كما جاء في الحديث.

وهو شهر القرآن بنص القرآن ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ [البقرة:185] وكان جبريل عليه السلام يدارس فيه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل ليلة، مما يدل على خصوصية قراءة القرآن فيه على غيره.

وفي ليله تمتلأ مساجد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالقرآن، يصلون التراويح.

ولقيام رمضان ميزة على سائر ليالي العام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) رواه الشيخان.**

وفي رمضان ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر، من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه كما جاء في الحديث.

والعمرة في رمضان ليست كالعمرة في غيره؛ إذ تعدل العمرة فيه حجة مع النبي صلى الله عليه وسلم.

فكل هذه الأعمال الكبيرة بأجورها العظيمة لتدل على أن رمضان ميدان للعمل الصالح، وموسم من مواسم الله تعالى يفيض فيه على عباده من فضله ورحمته وعفوه ومغفرته، فلا يضيعه إلا ضائع، ولا يفرط فيه إلا جاهل، فاستقبلوه خير استقبال، وأروا الله تعالى فيه من أنفسكم خيرا، واعمروه بالطاعات، واجتنبوا مجالس اللهو والغفلة؛ فإنها تسرق أوقات الناس وأعمالهم، وتأكل حسناتهم كما تأكل النار الحطب.

سابعا / تعلم أحكام رمضان

شرَع الله – سبحانه – لنا صيام رمضان، وجعَلَه أحدَ أركان الإسلام، فكان لزامًا على كل مسلم أن يتعلَّم من الأحكام ما يتعلَّق بالصيام؛ حتى يعبدَ الله – تعالى – على بصيرة، وليؤدِي الواجب عليه عن عِلمٍ ومعرفة، وفَرْقٌ بين مَن يعبد الله – تعالى – على علْمٍ وإدراك، فيتَّبع النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم – أحسنَ اتِّباع، ومَن يبني عبادته على مشاهدة الناس، وما يتناقله العوام أو يدعونه.

وقد قرَّر أهل العلم أنه يجب على المكلَّف تعلُّم ما تَصِحُّ به عبادته، ومَن يُرِد الله به خيرًا، يُفَقِّهه في الدين، فيجب على كل صائم تعلم أحكام صومه، وهي سهلة ميسرة، ونحن اليوم في عصر تتوفر فيه المعلومة بشكل كبير، فيمكن مطالعة كتيب في أحكام الصوم، أو مشاهدة برنامج أو دورة في أحكام الصيام كما يمكن حضور إحدى الدورات الفقهية في أحكام الصيام، والتي تعقد قبيل شهر رمضان في المساجد والمراكز الثقافية؛ فلا يجوز لك أخي الصائم، الإهمال في تعلم أحكام ركن من أركان الإسلام في زمن وجوبه.

ثامنا/ قلل ساعات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي

رمضان أياما معدودات شهر ... ثلاثين يوما وليلة، ينفض بعدها الموسم ليربح فيه من ربح ويخسر فيه من خسر، فليس أهم من تدبر وقتك في رمضان، وأكثر ما يستنفذ الوقت في وقتنا الحالي هو الإنترنت خاصة بعد انتشار الهواتف الذكية؛ وبخاصة مع إدمان مواقع التواصل الاجتماعي ، ومتابعة الأخبار مع كثرتها وتشعب تفصيلاتها.

والوقت هو أنفس ما يملك فهو في الواقع رأس المال الحقيقي للإنسان وفي مثل هذا يقول الحسن البصري يا ابن آدم، إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

ولعلي لا أخالف الصواب إذا قلت : إن هؤلاء المضيعين لأوقاتهم على الانترنت بلا فائدة يضيعون أعمارهم هدرا ، وقد كان السلف رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على أوقاتهم ، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها . وكان السلف يقولون:(من علامة المقت(غضب الله) إضاعة الوقت).

ويقول الحسن البصري : أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم.

تاسعا/ اختر صديقا ناصحا

فالمرء على دين خليله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأغلبنا يدخل رمضان متحمسا فيحافظ على صلواته وأوراده في الأيام الأولى، ثم لا يلبث أن ينسى ويتراخى، فاتخذ أخا في الله يعينك ويأخذ بيدك ، والرفيق الصالح خير معين، اتفق مع أحد أصدقائك على أن تصطحبا بعضكما يوميا إلى صلاة القيام، وانتق إماما حسن الصوت تطرب لتلاوته نفسك ويخشع لها قلبك.

عاشرا/ كن للخير إماما

شهر رمضان أرض خصبة لنشر الدعوة ، ذلكم أن القلوب في رمضان تخشع لذكر الله، وتستعد لقبول المواعظ الحسنة، وتقوى بها إرادة التوبة، وهداية رجل واحد خير من الدنيا ، فخذ بيد من حولك نحو هذا الخير ودلهم عليه وأبشر بالأجر الجزيل من الله .

****

الخطبة الخامسة
الأعداء الثلاثة
للمؤمن قبل رمضان

عناصر الخطبة:

أولا/ شيطان الجن.

ثانيا/ شيطان الإنس.

.ثالثا/ نفسك التي بين جنبيك

رابعا/ رمضان أكبر فرصة للتزكية

خامسا/ احذر الفيلة في رمضان

سادسا/ احذروا لصوص شهر رمضان

الخطبة الخامسة

الأعداء الثلاثة

للمؤمن قبل رمضان

المؤمن في هذه الحياة يواجه في سيره إلى الله أعداء ثلاثة يتربصون به، ويعوقون سيره إلى الله، وأول سبيل للمواجهة هو معرفة عدوك، وأن تعرف ما هي إمكانياته وقدراته ؟ وتعرف كيف تحصن نفسك لتقدر على المواجهة؟

عناصر الخطبة:

أولا/ شيطان الجن.

ثانيا/ شيطان الإنس.

ثالثا/ نفسك التي بين جنبيك.

رابعا/ رمضان أكبر فرصة للتزكية

خامسا/ احذر الفيلة في رمضان

سادسا/ احذروا لصوص شهر رمضان

أولا/ شيطان الجن.

أخبرنا الله تعالى في غير آية من القرآن ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ **[فاطر: 6]**

والشيطان قال: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ **[ص: 82]**

فهو يأتيك من كل جهة ويحاصرك، ليس له هدف إلا أن يدخلك النار، يتربص بك الدوائر ليل نهار، ولا يفتُر عنك طرفة عين.

وقد وجهنا الله إلى العياذ به والالتجاء إليه من هذا الشر الخفي (الشيطان) الذي لا قبل لنا بدفعه إلا بعون منه سبحانه فقال: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**

مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: 1-6]

وحكمة الاستعاذة من شيطان الجن، الذي نعلم بوجوده ولا نراه، أن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، فهو لا يقبل رشوة أو هدية، ولا يؤثر فيه جميل أو معروف، بل هو شرير بالطبيعة، ولا يكفه عن الإنسان إلا الذي خلقه.

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟

قال: أجاهده ؛ قال: فإن عاد؟

قال: أجاهده؛ قال: فإن عاد؟

قال: أجاهده؛ قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟ قال أكابده وأرده جهدي.

قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك.

ووسوسة الشيطان نحن لا ندري كيف تتم ، ولكنا نجد آثارها في واقع النفوس، ونعرف أن المعركة بين آدم وإبليس قديمة ؛ وأن الشيطان قد أعلنها حرباً! وأنه قد استصدر بها من الله إذناً ، فأذن فيها سبحانه لحكمة يراها! ولم يترك الإنسان فيها مجرداً بل جعل له من الاستعاذة سلاحاً ،ومن الذكر حصنا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وإذا غفل وسوس)

وهذا العدو اللدود كفانا الله في رمضان مؤونته ، كما في الحديث (**إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفِّدَت الشياطين**) حتى لا يتحجج أحد أن إبليس سبب في ضلاله فها هو إبليس وجنده قد صفدوا في رمضان.

ثانيا/ شيطان الإنس

كما أن هناك شيطان جني، فهناك شيطان إنسي، قال تعالى:**{ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}5،6 سورة الناس.**

وأخبر الله تعالى بأن من الإنس شياطين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: 112]

وجاء في مسند الإمام أحمد عن أبي ذر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر: «تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن» فقلت أوَ للإنس شياطين؟ قال نعم) صححه الشيخ أحمد شاكر

حتى قال بعض أهل العلم: بأن الشيطان الإنسي أخطر من الشيطان الجني، وأكثر ضرراً، وأشد فتكاً.

وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً.

فمن هو شيطان الإنس ؟

كل من تعاون مع إبليس، في إغواء الناس، وتحبيب المنكر وتبغيض المعروف، وكل من كانت له جهود في صد الناس عن سبيل الله.

وكل من دعا إلى الباطل بأي أسلوب، وتحت أي شعار، أو مذهب.

وها نحن نرى هؤلاء الشياطين في هذا الزمان يسمون الفساد إصلاحاً، ويسمون ارتكاب الفواحش مدنية، ويسمون ارتكاب المعاصي حرية ، وهكذا مما تلوكه ألسنتهم ، وتسطره أيديهم في وسائل الإعلام المختلفة.

وشيطان الإنس قد يكون من أقرب الناس إليك: صديق ، زميل ، جار ، قريب.

وشيطان الجن تتعوذ بالله منه فيذهب ،أما شيطان الإنس فهو معك لا يتركك تراه بعينك ،ويدلك على سبيل المعصية ويقربها لك ، ويذلل لك الطريق ويهيئ فيك القدرة على الفعل حتى تلين وتستجيب لفعل المعصية.

بعض الناس يقتنع لمجرد أن يرى وجه المتكلم، وانفعالاته، وفي المشافهة والمخاطبة إقناع؛ فشيطان الإنس أخطر، ولذلك احذره ألف مرة.

وأخص بالتحذير شياطين الإنس الذين يستعدون قبل رمضان بأشهر حتى يصدوا عباد الله عن دينهم وعن عبادة ربهم ،فقد أجلبوا بخيلهم ورجلهم.

ثالثا/ نفسك التي بين جنبيك

ثم احذر نفسك التي بين جنبيك، ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٥٣﴾** ﴾ **[يوسف: 53]**

استعداد النفس البشرية للخير والشر:

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴿١٠﴾**﴾ **[الشمس: 7-10]**

والمعنى : أن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد، فهو بطبيعة تكوينه (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء.

(قد أفلح من زكاها) قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله ، وطهرها من الرذائل والأخلاق الدنيئة.

(وقد خاب من دساها) التدسيس هو الإخفاء أي دسسها وأخملها ووضع منها بخذلانه إيّاها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل.

ولقد خلق الله النفس الأمارة بالسوء ليختبر مدى صدق عبوديتنا له، وجعل من أهم صفاتها الجهل والظلم والشح؛ فهي تميل إلى الشر وتفر من الخير ، تحب الكسل ، والنوم ،والراحة ،ولا تحب المشقة وتكره التكليف، فعلاج النفس الأمارة بالسوء هو: التزكية ، وهي الاستجابة الكاملة لأمر الله ورسوله، والتخلص من اتباع الشيطان وهوى النفس ، وكلما تخلص العبد من رق الشيطان والنفس كان أزكى نفسا وأنقى دينا وأطوع لربه.

فإذا عامل الإنسان نفسه على هذا النحو ملكها واستطاع توجيهها نحو الخير، فإذا دعاها إلى عبادة انقادت لـه واستسلمت، وإن دعيت إلى شر وجدت تأبياً ونفوراً عنه، أما الذي لا يعالج نفسه هذا العلاج ولا يجتهد في مجاهدتها عما تهوى وتحب، فإنه إذا دعاها إلى العبادة نفرت، وإذا رأت أنه سيحملها على طاعة من الطاعات شردت.

ولقد أمرنا الله عز وجل بجهاد أنفسنا لنفوز برضاه والجنة يقول تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝**﴾ **[النازعات: 40-41]**

وكان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها) رواه مسلم

وهذا الدعاء فيه سؤال العبد ربه أن يعطيه تقوى النفس التي تمنعها من متابعة الهوى، وارتكاب المعاصي، وترقيتها إيمانيا ، لأن تزكية النفس شاملة لأمرين:

أ – تطهيرها من الصفات السيئة.

ب – تنميتها بزيادتها بالأوصاف الحميدة.

وفي وصية أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما (أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك)

-و كان عمر رضي الله عنه يقول (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم و تزينوا للعرض الأكبر.

رابعا/ رمضان أكبر فرصة للتزكية

صيام بالنهار وقيام بالليل دعوات وصلوات تخلية بالصيام في النهار وتحلية بالقيام في الليل ،نصوم عن الحلال الطيب(الطعام والشراب) حتى نستطيع تقوية الإرادة بالامتناع عن الحرام الخبيث.

فرمضان فرصة لتطهير النفس وتزكيتها ورقيها في رحاب الطاعة في جو مشحون بالإيمان ،والأخوة ،ونيل فضل الله وعفوه كل ليلة.

كما في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة .) رواه الترمذي وصححه الألباني رحمه الله

خامسا/ احذر الفيلة في رمضان

جلس الإمام مالك في المسجد النبوي كعادته يروي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم... والطلاب حوله يستمعون... فصاح صائح : جاء للمدينة

فيل عظيم... (ولم يكن أهل المدينة قد رأوا فيلا قبل ذلك... فالمدينة ليست موطنا للفيلة) فهرع الطلبة كلهم ليروْا الفيل وتركوا مالكا...إلَّا يحيى بن يحيى الليثي...فقال له الإمام مالك : لِمَ لَمْ تخرج معهم؟ هل رأيت الفيل من قبل ؟

قال يحيى : إنَّما قدمت المدينة لأرى مالكاً لا لأرى الفيل.

لو تأمَّلنا هذه القصة .. لوجدنا أنَّ واحداً فقط من الحضور هو من عَلِمَ لماذا أتى ؟ وما هو هدفه ؟

لذا لم يتشتت... ولم يبدد طاقاته يمنة ويسرة... أما الآخرون فخرجوا يتفرجون .. فانظر لعِظَمْ الفرق بينهم...

فكانت رواية الإمام يحيى بن يحيى الليثي عن مالك هي المعتمد للموطأ...

أمَّا غيره من الطلبة المتفرجين فلم يذكرهم لنا التاريخ...

وفي زماننا هذا يتكرر الفيل .. ولكن بصور مختلفة... وطرائق شتَّى... وخصوصاً في رمضان...

فالناس في رمضان صنفان : صنف قد حدَّد هدفه .. فهو يعلم ماذا يريد من رمضان... وما هي الثمرة التي يرجو تحصيلها...

وصنف آخر غافل لها مفرِّط... تستهويه أنواع الفيلة المختلفة...

فالقنوات الفضائية والمسلسلات والأفلام والأغاني وأنواع المحرمات فيلة هذا الزمان...

فاحذر الفِيَلة وبريقها...فإنها ستسلب منك أفضل أوقات العام.

سادسا/ احذروا لصوص شهر رمضان

- اللص الاول: التلفزيون، لص خطير يفسد صيام الناس وينقص الأجر بسبب المسلسلات والبرامج التافهة والسهرات الماجنة، وهذه القنوات التي حملت على عاتقها حرب الفضيلة قد جعلت من شهر رمضان سوقا لبضاعتهم الكاسدة تتنافس فيما خططت له عاما كاملا لتعرضه على المسلمين على مائدة الإفطار وفي وقت صلاة التراويح وفي ساعات السحر لتصد عن سبيل الله.
- اللص الثاني: الأسواق، لص متخصص في هدر المال والوقت بلا حساب للتغلب عليه حدد هدفك قبل الذهاب.
- اللص الثالث: السهر، سارق أغلى الاوقات يحرمك من التهجد والاستغفار في الثلث الاخير.

- اللص الرابع :المطبخ، وخاصة النساء تقضي وقتا طويلا لتحضير أطباق كثيرة لا تكاد تختلف عن بعضها إلا لحظة مرورها بالفم وقد يلقى الكثير منها في القمامة.
- اللص الخامس: الهاتف، طول المكالمات وما يترتب عليها من ذنوب، غيب، نميمة، قيل وقال وإفشاء الأسرار.
- اللص السادس : البخل، يحرمك أجر وثواب الصدقة التي تقي من النار وخاصة صدقة شهر رمضان.
- اللص السابع، المجالس الخالية من ذكر الله : والتي تكون حسرة على أصحابها يوم القيامة.
- وأخيرا كبير اللصوص، وسائل التواصل الاجتماعي : إن لم تستغل فيما يرضي الله.

فهلا وقفة صدق ومحاسبة مع النفس، لنفوز برمضان ونغتنم أوقاته الغالية.

اللهم إنا نسألك أن تُبلغنا رمضان
وأن توفقنا للصيام والقيام وسائر العبادات
وأن تتقبلها منا وأن تبلغنا ليلة القدر
اللهم آمين.

****

الخطبة السادسة
هل تسلسل كل الشياطين في رمضان؟

عناصر الخطبة:

أولا/ ما ورد في تصفيد الشياطين في رمضان.

ثانيا/ لماذا تستمر المعاصي في رمضان؟

ثالثا/ الحكمة من تصفيد الشياطين في رمضان

الخطبة السادسة

هل تسلسل كل الشياطين في رمضان؟

عناصر الخطبة:

أولا/ ما ورد في تصفيد الشياطين في رمضان.

ثانيا/ لماذا تستمر المعاصي في رمضان؟

ثالثا/ الحكمة من تصفيد الشياطين في رمضان.

أولا/ ما ورد في تصفيد الشياطين في رمضان

مما امتاز به شهر رمضان المعظم عن غيره من الشهور الأخرى ما أكدته السنة النبوية المطهرة من أنه إذا دخل هذا الشهر المعظم صفدت الشياطين، وقد تواردت نصوص السنة المشرفة على ذلك، وأهمها:

1- **ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» رواه مسلم.**

2- **وما ثبت أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين» رواه الشيخان، واللفظ للبخاري.**

3- **وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة» رواه الترمذي، وابن ماجه في "السنن"، والحاكم في "المستدرك".**

ما المراد بالتصفيد؟

المصفد هو المغلول العنق إلى اليد.

والتصفيد إما حقيقة أو مجازا ؟

أما الحقيقة فمعناه على أقوال:

1- الذين يصفدون هم: مسترقو السمع منهم خاصة.

2- المصفد هم بعض الشياطين، وهم المردة منهم خاصة، وأما من ليس من المردة فقد لا يصفد؛ **لما أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة بلفظ: (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن) وأخرجه النسائي من طريق أبي قلابة عن أبي هريرة بلفظ: (وتغل فيه مردة الشياطين)**

3- أن تصفيدهم يكون عن أشياء دون أشياء.. ولناس دون ناس، ذكر ذلك النووي عن القاضي عياض في شرحه لمسلم، فهي تصفد حقيقة، والتصفيد لا يمنع من وسوسة الشيطان فإن الشياطين قد توسوس وهي مصفدة؛ لكنها لا تقدر على بعض الأفعال التي لا تطيقها إلا مع الانطلاق، وليس في ذلك دليل على امتناع تصرفها جملة، يؤيده ما **رواه البخاري في صحيحه عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: إن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكما، إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا. انتهى.**

وأما المجاز فتفسيره على أقوال:

1- أن هذا الشهر لبركته وثواب الأعمال فيه وغفران الذنوب تكون الشياطين فيه كالمصفدة، لأن سعيها لا يؤثر، وإغواءها لا يضر.

بدليل كثرة الخير والإنابة إلى الله تعالى في رمضان، فيكون المراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر.

ويؤيد هذا الاحتمال الثاني قوله في رواية يونس عن ابن شهاب عند مسلم: **(فتحت أبواب الرحمة)** قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات، وذلك أسباب لدخول الجنة وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات.

2- أن الشيطان يضعف مع الصيام، ولا يستطيع أن يحصل على ما كان يحصل عليه في غير الصيام وخاصة في رمضان، وقد سبق الحديث : **(إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم)** متفق عليه.

وقد زاد بعضهم **(فضيقوا مجاريه بالجوع)** وهذه زيادة قال الشيخ الألباني رحمه الله : لا أصل لها من شيء من كتب السنة التي وقفت عليها وإنما هي في كتاب الإحياء للغزالي.

ثانيا/ لماذا تستمر المعاصي في رمضان؟

إذا كانت الشياطين تسلسل في رمضان؛ فما سبب بقاء الوسواس والشرور والمعاصي في رمضان؟

والجواب من عدة أوجه:

1- إنما تغل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه ، وروعيت آدابه.

2- أن المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، كما تقدم في بعض الروايات.

3- أو المقصود تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره.

4- لا يلزم من تصفيد جميعهم ألا يقع شر، ولا معصية، لأن لذلك أسبابا غير الشياطين منها:

أ- العادات القبيحة:

فالذين اعتادوا المعاصي يبقون على ما هم عليه بحكم العادة المتبعة ولو كانت الشياطين مصفدة فإن العادات تحكم، وحيث يوجد الكثير من المعاصي في رمضان فإن الدافع لها العادات والأهواء.

ب- النفس الأمارة بالسوء:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [يوسف: 53] و ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠**﴾ **[الشمس: 7-10]**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأيضا فالنفوس لها وسوسة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦**﴾ **[ق: 16]**

والإنسان مزود باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء، ولقد خلق الله النفس الأمارة بالسوء ليختبر مدى صدق عبوديتنا له، وجعل من أهم صفاتها الجهل والظلم والشح فهي تميل إلى الشر وتفر من الخير ، تحب الكسل ، والنوم ،والراحة ،ولا تحب المشقة وتكره التكليف.

ولقد خلقها الله تعالى بهذه الصفات لتكون بمثابة المحك الرئيسي والميدان العملي لصدق عبوديتنا له، فلولا وجودها لصرنا كالملائكة لا نعصي لله أمرا.

ج- شياطين الإنس:

كما أن هناك شيطان جني، فهناك شيطان إنسي، قال تعالى:**{ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}6،5 سورة الناس.**

وأخبر الله تعالى بأن من الإنس شياطين، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢**﴾ **[الأنعام: 112]**

وجاء في مسند الإمام أحمد عن أبي ذر أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر: «تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن» فقلت أوَ للإنس شياطين؟ قال نعم) صححه الشيخ أحمد شاكر

حتى قال بعض أهل العلم: بأن الشيطان الإنسي أخطر من الشيطان الجني، وأكثر ضرراً، وأشد فتكاً.

وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً.

ثالثا/ الحكمة من تصفيد الشياطين في رمضان

ذكر العلماء من الحكم في تصفيد الشياطين في رمضان:

- تقليل شرهم وإغوائهم للعباد.
- وليمتنعوا من إيذاء المسلمين والتهويش عليهم وإفساد صومهم.
- وحتى لا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غير رمضان، من إضلال الناس عن الحق وتثبيطهم عن الخير.
- وليقبل الناس على الطاعات ويبتعدوا عن المعاصي والشهوات في شهر رمضان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وما ذاك إلا لأنه في شهر رمضان تنبعث القلوب إلى الخير والأعمال الصالحة التي بها وبسببها تفتح أبواب الجنة، ويمتنع من الشرور التي بها تفتح أبواب النار، وتصفد الشياطين فلا يتمكنون أن يعملوا ما يعملونه في الإفطار؛ فإن المصفد هو المقيد، لأنهم إنما يتمكنون من بني آدم بسبب الشهوات؛ فإذا كفوا عن الشهوات صفدت الشياطين.) انتهى من "مجموع الفتاوى. (14/167)

وقال أيضا: (ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ؛ فإن مجاري الشياطين، الذي هو الدم، ضاقت؛ وإذا ضاقت انبعثت القلوب إلى فعل الخيرات، التي بها تفتح أبواب الجنة، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار، وصفدت الشياطين فضعفت قوتهم وعملهم بتصفيدهم، فلم يستطيعوا أن يفعلوا في شهر رمضان ما كانوا يفعلونه في غيره، ولم يقل إنهم قتلوا ولا ماتوا؛ بل قال: (صفدت) والمصفد من الشياطين قد يؤذي، لكن هذا أقل وأضعف مما يكون

في غير رمضان؛ فهو بحسب كمال الصوم ونقصه؛ فمن كان صومه كاملا: دفع الشيطان دفعا لا يدفعه دفع الصوم الناقص؛ فهذه المناسبة ظاهرة في منع الصائم من الأكل." انتهى من "مجموع الفتاوى). (25/246)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقيل: في هذا " إشارة إلى رفع عذر المكلف، كأنه يقال له: قد كفت الشياطين عنك؛ فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية) انتهى من " فتح الباري" لابن حجر.(114 /4)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وهذا من معونة الله للمسلمين، أن حبس عنهم عدوهم الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، ولذلك تجد عند الصالحين من الرغبة في الخير والعزوف عن الشر في هذا الشهر أكثر من غيره.) انتهى من "مجالس شهر رمضان" لابن عثيمين (ص 8)، بتصرف يسير.

****

الخطبة السابعة

فضل

الصيام والصائمين

عناصر الخطبة:

أولا/ الصيام لا عدل له.

ثانيا/ تحقيق التقوى.

ثالثا/ الصيام سببٌ لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات.

رابعا/ أن الصائم يُعطى أجره بغير حساب.

خامسا/ اختصاص أهله بباب الريّان.

سادسا / محبة الله لآثار الصيام على الصائم .

سابعا/ أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة.

ثامنا/ إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار .

تاسعا/ ما خص الله به الأمة في رمضان.

عاشرا/ فهل من مشمِّرٍ إلى الجنة؟

الخطبة السابعة

فضل الصيام والصائمين

عناصر الخطبة:

أولا/ الصيام لا عدل له.

ثانيا/ تحقيق التقوى.

ثالثا/ الصيام سببٌ لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات.

رابعا/ أن الصائم يُعطى أجره بغير حساب.

خامسا/ اختصاص أهله بباب الريّان.

سادسا / محبة الله لآثار الصيام على الصائم .

سابعا/ أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة.

ثامنا/ إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار .

تاسعا/ ما خص الله به الأمة في رمضان.

عاشرا/ فهل من مشمِّرٍ إلى الجنة؟

أولا/ الصيام لا عدل له

من رحمة الله –سبحانه وتعالى- أن نوَّع لعباده العبادات؛ ليشتاقوا إليها ولينشطوا لكل عبادة في وقتها، ولئلا يملُّوا نوعًا واحدًا من العبادة، وإنما نوّعها لهم ما بين صلاة أحيانًا وذكرٍ وصيامٍ وحجٍ وزكاةٍ وغير ذلك.

وإنّ من العبادات الفاضلة الكريمة التي جاء بيان فضلها ومزيّتها في كتاب الله وسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عبادة الصيام، فالصيام من أجلّ العبادات وأعظم الطاعات والقُربات، ومن أعظم أدلة فضيلة الصيام فرْضيَّته على الأمم قبلنا كما فُرِض علينا؛ كما قال الله –تعالى- في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٨٣﴾**﴾ **[البقرة: 183]**، وإذا اتفقت الشرائع على أمرٍ في الخير، أو الشر دلّ على عظمته، فعندما بيّن الله –تعالى- في هذه الآية أنه فرض علينا

الصيام كما فرضه على من كان قبلنا دلّ هذا على أنه عبادةٌ عظيمة، وأن للعباد الحاجة الماسّة إلى هذه العبادة؛ لِمَا لهم فيها من زكاءٍ وصلاحٍ وفلاح.

وقد أوصى به النبي الحبيب-صلى الله عليه وسلم-أبا أمامة، فقال عندما سأله عن أمرٍ يأخذه عنه ينفعه الله به أو عن أفضل العمل كما جاء في بعض الروايات قال له النبي-صلى الله عليه وسلم-: **(عليك بالصوم فإنه لا مِثل له) وفي رواية: (لا عِدْلَ له).**

ثانيا/ تحقيق التقوى

من فضائل الصيام أنه سببٌ لتحقيق التقوى؛ كما قال الله تعالى: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴿١٨٣﴾ **[البقرة: 183]** والتقوى : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والتقوى اتقاء الذنوب باتقاء أسبابها، ومن أسباب الذنوب أخطاء اللسان والجوارح كلها، وذلك يعني أنّ الصيام فيه حفْظٌ للجوارح عن كل محرّم، سواء اللسان أو الجوارح الأخرى، فهو تقوى من الذنوب؛ لأنه يحفظ الإنسان في لسانه ويحفظه في جوارحه إذ هو متلبّسٌ بالصيام، ولهذا جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: **(والصوم جنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتَله فليقل: إنّي صائم)**

قال: (الصوم جنّة) أي وقايةٌ وسِتْر من اللغو والرّفث ونحو ذلك من الكلام السيئ، وإذا اتقى الإنسان الرفث والكلام السيئ التزامًا بصيامه وتأدّبًا بآدابه اتقى الذنوب بالتالي، فإذا اتقى الذنوب اتقى النار، فكان الصوم بالتالي سببا لاتقاء النار؛ كما جاء في الروايات الأخرى: **"الصوم جُنَّة من عذاب الله".**

وعند أحمد والنسائي أيضًا بلفظ: "الصيام جُنَّة من النار كجُنَّة أحدكم من القتال".، وعند أحمد بإسناد حسن عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:- الصيام جُنَّة يستجن بها العبد من النار" ، وعند أحمد بسند حسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:" الصيام جُنَّة وحصن حصين من النار"

وفي الحديث الآخر قال: **(من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا)** فهذه فضيلة عظيمة للصيام أنه يحقق لصاحبه تقوى الله –عز وجل- لمن عرف الصيام على حقيقته وأنه لا يقف عند حدودِ أن يُمسِك

الإنسان عن الطعام والشراب، فإنّ الله –سبحانه وتعالى- لا يريد أن يُجِيعَنا ويُعطِّشنا وإنما يريد أن يبتلينا ويختبرنا ويمتحننا ويزكّينا، ولهذا جاء في الحديث: **(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه)** يعني الله –تعالى- غني من أن تدع الطعام والشراب، إنما الغاية فوق ذلك، وإنما ترك الطعام والشراب وسيلة من الوسائل حتى تزكو النفس وتصفو الروح فيضبط الإنسان نفسه.

ثالثا/ الصيام سببٌ لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات

كذلك أيضا من فضائل الصيام أنه سببٌ لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، وكم نرتكب من الذنوب وكم نقصر في حق الله وحق خلقه، والذنوب هي الموصلة إلى النار –والعياذ بالله- وهي الموصلة لغضب الجبار، فما كان ماحيا لها فإنه من أفضل الأعمال، فالصيام سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، فإذا غُفِرت الذنوب وكُفِّرت السيئات زكى الإنسان وسَلِمَ قلبه وتأهّل لجنة عرضها السماوات والأرض، ولهذا جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: **(من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه)** ، أي إيمانا بالله – تعالى- وبفرضيَّة هذا الصيام، واحتسابا للثواب عند الله –سبحانه وتعالى- غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، وهذا والله فضلٌ عظيم وهي مغفرة الذنوب والسيئات، كم يقوم العباد ويُحيون ليلهم ويُتعبون نهارهم كم يجاهدون في سبيل الله كم يبذلون من أنفسهم ومُهَجِهِم وأموالهم من أجل أن يُحصِّلوا على مغفرة الذنوب فهذه مغفرة الذنوب تتحقق بفضل الله لمن صام رمضان إيمانا واحتسابا.

كذلك أيضا جاء عنه-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: **(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفراتٌ ما بينهنّ إذا اجتُنِبَت الكبائر)**،الصلوات الخمس: أي من صلاة إلى صلاة تكفّر ما بينها، ومن جمعة إلى جمعة تكفِّر ما بينها، ومن رمضان إلى رمضان تكفّر ما بينها، إذا اجتُنبت الكبائر؛ إذن لابد للكبائر من توبة.

رابعا/ أن الصائم يُعطى أجره بغير حساب

كذلك من فضائل الصيام: أنّ ثوابه لا يتقيَّد بعدد معيَّن، بل يُعطى الصائم أجره بغير حساب، لأنّا نعلم أن الله –سبحانه وتعالى- قد رتّب على الأعمال ثوابا يتجلّى فيه كرم الرب –عز وجل- ، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، بالعدد، إلا الصيام، فإنه لا يدخل في هذا التضعيف، جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: **(كل عمل ابن آدم له يضاعف، الحسنة بعشر**

أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله –تعالى- إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي) فهذه فضيلة للصيام أن الله –تعالى- قد تكفّل بالجزاء على الصيام بدون عددٍ معيَّن، هذا الحديث يتبيَّن منه فضيلة الصوم من وجوه:

أولا: أن الله –تعالى- اختص الصوم له –تعالى- من بين الأعمال، فقال: **(كل عمل ابن آدم له إلا الصوم)** يعني أن كل عمل ابن آدم يضاعف له كذا وكذا كما ذكر إلا الصوم فإن الله –تعالى- اختصه من بين الأعمال قال: (فإنه لي وأنا أجزي به)؛ وهذا لشرفه ومحبته،

شرف الصيام ومحبة الله –تعالى- له، وظهور الإخلاص فيه، فهو سرٌّ بين العبد وربه، إذ الامساك أساسه في القلب، لأنه إمساك بنية، الصيام أساسه في القلب؛ إمساكٌ بنية، ثم أيضا قد يستتر الإنسان عن الناس فيأكل ويشرب، وربما لا ينوي بقلبه الصيام فلا يكون صائما، فإذن الصيام سرٌ بين العبد وربه –عز وجل-، لا يقوم به إلا المتقي المخلص لله –عز وجل- المراقب لله الخائف من الله –تعالى- سرا وعلانية، ولهذا اختصه الله –تعالى- من بين الأعمال قال: **(إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به).**

ثم أيضا إن الله –تعالى- قال في الصوم : **(وأنا أجزي به)** فأضاف الجزاء إلى نفسه الكريمة والعطية على قدر معطيها، والله –سبحانه وتعالى- غني كريم جواد بيده مقاليد السماوات والأرض، وقد يتبيّن شيء من هذا إذا قال لك كبير أو غني أو ثري أو أمير: يا فلان لك مني هدية أو لك مني مكافأة، هل تتوقع أن تكون مثل مكافأة سائر الناس وهو أمير أو ثري؟ لا، بل تتوقع أن تكون على قدره، فالعطية على قدر معطيها، كيف إذا كان الذي قال هذا القول هو الله –سبحانه وتعالى- الذي بيده مقاليد السماوات والأرض؟

وإذا اجتمع العباد كلهم إنسهم وجنهم في صعيد واحد فسألوا الله –عز وجل- فأعطى كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عند الله –عز وجل- إلا كما ينقص المِخْيَط إذا غُمِسَ في البحر، فماذا ينقص؟ .

والله –تعالى- قال: **(إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)** وذلك لأن الصوم يتحقق فيه الصبر بجميع أنواعه؛ صبر على طاعة الله بأداء الصيام، وصبرٌ عن محارم الله بانتهاك ما يؤثر في الصيام، وصبر على أقدار الله المؤلمة من جوعٍ وعطش، والصابرون يوفَّون أجرهم بغير حساب؛ كما قال –تعالى- : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ **[الزمر: 10]**

خامسا/ اختصاص أهله بباب الريّان

من فضائل الصوم كذلك اختصاص أهله من بين أهل الجنة بباب خاصٍ بهم يسمّى باب الريّان، ولاحِظوا لمّا عطّشوا أنفسهم في الدنيا نودوا من ذلك الباب الذي اسمه يدلُّ على الرِّي، ولهذا من دخل من ذلك الباب شرب شربة لا يظمأ بعدها أبدا، فهو باب الريّان، لحديث: **(إن في الجنة بابا يقال له باب الريّان يدخل منه الصائمون فإذا دخلوا أُغلِق فلا يدخل منه أحدٌ سواهم).**

سادسا / محبة الله لآثار الصيام على الصائم

كذلك من فضائل الصوم محبة الله للصائم على ما هو عليه من آثار الصيام، وإن كانت آثارا في ظاهرها غير محببةٍ لنا لكنها محبوبةٌ إلى الله –تعالى- لأنها ناتجةٌ من الطاعة، وذلك ما جاء في قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: **(والذي نفسي بيده لخَلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)**

خَلوف فم الصائم: هو تغيُّر رائحة فم الصائم من أثر خُلوِ المعدة، فهي محبوبة عندا الله –تعالى- لأنها ناتجة عن الطاعة، وما كان ناتجا عن الطاعة فإنه محبوب عند الله –تعالى-، ألم ترَوا إلى الحاج عندما سافر وشَعِثَ وغَبِر لكن كان سعيه في طاعة الله –عز وجل- أعجب ذلك ربه فقال الله –تعالى- لملائكته وهو يباهي بأهل الموقف –موقف عرفة- ملائكتَه يقول: **(انظروا إلى عبادي جاءوني شُعثا غُبرا أُشهِدكم أني قد غفرتُ لهم)**

(شُعثا غُبرا) أي غير ممشّطي شعورهم، وغُبرا: قد علتهم غبرة من آثار السفر، لكن باهى الله بهم لأنه جاءوا يرجون رحمة الله –جل وعلا- ويخافون عذابه، وهكذا الصائم لمّا أمسك عن المفطِّرات طاعة لله –عز وجل- تغيَّرت رائحة فمه أحبّ الله ذلك من عبده.

سابعا/ أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة

كذلك من فضائل الصيام أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، فما بالك بعبدٍ تشفع له عبادة من العبادات عند الله –عز وجل- الذي شرعها؟

جاء في حديث ابن عمر عند الإمام أحمد أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: **(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربي منعتُه الطعام والشراب والشهوة فشفّعني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفّعني فيه، قال: فيشفعان)**

وهذان الشافعان متحققان في رمضان، فهو شهر الصيام والقرآن، فما بالكم بعبدٍ يشفع له عند الله كلام الله؟ أو يشفع له عند الله عبادة الله؟

نحن أحدنا إذا جاء لعبدٍ مثله قال له: يا أخي لا تنسنا من دعائك أُدعُ لنا ، هذا نوع شفاعة، فما بالكم أن يكون الشافع هو كلام الله أو عبادةٌ شرعها الله؟ حريٌّ أن يُشفَّع هذان الشافعان.

ثامنا/ إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار

من فضائل هذا الشهر علاوةً على ما تقدَّم : ما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: **(إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين)**

فُتِّحت أبواب الجنة لكثرة العاملين للخيرات في هذا الشهر الكريم ولكثرة من يكتب الله –تعالى- لهم دخول الجنة

وغُلِّقت أبواب النار وذلك لكثرة ما يُعتِق الله –تعالى- منها ومن يقيهم الله إياها ولما يجعل الله –تعالى- للعباد من حواجز بالصيام عن الأعمال التي تُدخِلهم النار فتُغلَّق أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين أن سُلْسِلَت وقُيِّدت ؛ فلا يَخلُصون إلى ما كانوا يَخلُصون إليه من قبل.

تاسعا/ ما خص الله به الأمة في رمضان

ومن فضائله ما جاء في حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد –رحمه الله- قال قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: (أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تُعطهن أمة من الأمم قبلها: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله عز وجل كل يوم جنته ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يُلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، وتصفّد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة." قيل: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: "لا، ولكن العامل إنما يُوفى أجره إذا قضى عمله) الحديث حسن بشواهده.

فهذا حديثٌ عظيم فيه خصائص الله –عز وجل- لهذه الأمة في هذا الشهر الكريم، خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يُفطِروا، والملائكة كما نعلم عبادٌ مكرَمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ليس فيهم شهوة الشر فلا يعصون الله أبدا، ما بالك بمن هذه حاله يستغفرون لعبادٍ مذنبين خطّائين؟ إنها لفضيلةٌ عظيمة.

إن الواحد منّا إذا أتى إلى من يتوسَّم فيه الخير والصلاح من إخوانه وهو يعلم أنه غير معصوم ربما قال له: لا تنسنا يا أُخيّ من دعائك أُدعُ لنا، فما بالك إذا كان الذين يستغفرون لك ملائكة الرحمن وهم لا يفعلون شيئا إلا عن إذن الله –عز وجل- فالظن بالله –تعالى- أنه لم يأذن لهم أن يستغفروا للمؤمنين إلا ليستجيب لهم –سبحانه وتعالى- ، فيا لها من فضيلة؛ تستغفر لهم الملائكة حتى يُفطِروا.

(ويُزيّن الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون أن يُلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليكِ) المؤنة: مؤنة العبادة وتكليفها، والأذى: ما يكون في هذه الحياة الدنيا من همٍّ وغمٍّ وكدر ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ **[البلد: 4]** ويصيروا إليكِ فأنتِ دار النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ **[الحجر: 48]**

(وتصفّد فيه مردة الشياطين) مردة الشياطين يُصفّدون ويُسلسلون من أول ليلة فلا يَخلصون إلى ما يخلصون إليه في غيره، أي لا يستطيعون أن يصلوا ويكون لهم سلطان في غير هذا الشهر، ولكن مع هذا لا ينبغي للإنسان أن يُلقي بنفسه ويقول: إن الشياطين مسلسلةٌ مردتها بل يحذر من نفسه وهواه وقرناء السوء ويحذر من هذه الدنيا فإنه غرّارة فتّانة.

قال: (ويُغفَر لهم في آخر ليلة) قيل يا رسول الله! أهي ليلة القدر؟ قال: (لا، ولكن العامِل إنما يوفّى أجره إذا قضى عمله)، وهذا مِصداق قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: **(من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه).**

ولهذا جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم-بيان خيبة وخسران من دخل عليه هذا الشهر ثم خرج ولم يُغفَر له؛ لأنّ أسباب المغفرة متاحة وأسباب المعاصي دونها حُجُب، فكيف يقتحم العبد المعاصي ويُعرِض عن الله –عز وجل- فينقضي هذا الشهر ولم يتأهل للمغفرة.

جاء في الحديث: **(رغم أنف امرئ دخل عليه رمضان ثم خرج ولم يُغفَر له)**

هذه بعض فضائل الصيام أنه يحبب العبد للرحمن ويُكسبه التقوى ويجلب له الغفران ويؤهله لسكنى الجِنان ويقيه من النيران فأيّ مطلوبٍ للعاقل وراء ذلك؟

وكيف لا يُشمِّر عن ساعد الجد ومنادي الخير ينادي: **(يا باغي الخير أقبِل ويا باغي الشر اقصر)؟**

فالمجال مجال عملٍ واجتهاد ومنافسةٍ في الخيرات، فهل من مشمِّرٍ إلى الجنة؟

عاشرا/ فهل من مشمِّرٍ إلى الجنة؟

فإن السوق قائمة والسلعة حاضرة والثمن اليوم موجود، وما بالك إذا اجتمعت فضيلة الزمان مع فضيلة العبادة فكانت العبادة فاضلة وزمانها فاضلا؟ فهو خيرٌ على خير ، ونور على نور، العبادة الصيام، والزمان شهرٌ كريم وموسمٌ عظيم إنه شهر رمضان ، شهرٌ اختاره الله من بين الشهور فميَّزه بليلة هي خيرٌ من ألف شهر، تلك هي ليلة القدر، ميَّزه الله – تعالى- بتلك الليلة التي خصّها بأن أنزل فيها القرآن على خير البشر، إنه شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار.

****

الخطبة الثامنة

آداب الصيام

عناصر الخطبة:

أولا / من الآداب الواجبة.

ثانيا/ من الآداب المستحبة.

الخطبة الثامنة

آداب الصيام

أيها الأحبة في الله، إن الصيام عبادة عظيمة لا تقتصر على الامتناع عن الطعام والشراب، بل تشمل كل الجوارح، ليكون الصائم نموذجًا للأخلاق الكريمة والسلوك الحسن. فليس الصيام مجرد عادة، بل هو تربية للنفس، وتهذيب للأخلاق، واختبار للصبر. وقد قال النبي ﷺ: (**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"**] البخاري.[

فأدب الصيام لا يتحقق إلا بالتحلي بأخلاق الصائمين من حفظ اللسان، وكف الأذى، وإظهار الرحمة، والحرص على الطاعات، والابتعاد عن كل ما يفسد صوم الإنسان من الغيبة والنميمة وسوء القول، وجاء في الحديث: **(رُبّ صائمٍ ليس من صيامه إلا الجوع والعطش، ورُبّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر)** فالعبرة ليست بصورة العبادة ما لم تكن لها حقيقة، ما لم يتأدب العبد بآدابها حتى تترتب عليها آثارها التي رتبها الله –عز وجل- عليها وربطها بها جريا على سنة الله –عز وجل- في ربط المسببات بمسبباتها.

فلنتعرف على آداب الصيام لعلنا ان نتأدب بها فيؤثر الصيام فينا أثره ونتأهل لمغفرة الله وجنته.

عناصر الخطبة:

أولا / من الآداب الواجبة.

ثانيا/ من الآداب المستحبة.

آداب الصيام منها ما هو واجب، يلزم العبد أن يحافظ عليها ويلتزم بها، ومنها ما هو مستحب يزداد العبد بفعلها أجراً وثواباً.

أولا / من الآداب الواجبة:

1- أن يقوم الصائم بما أوجب الله عليه من العبادات القولية والفعلية، ومن أهمها الصلاة المفروضة، التي هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، فيجب على الصائم المحافظة عليها، والقيام بأركانها وشروطها،

وأدائها مع جماعة المسلمين، وكل ذلك من التقوى التي شُرع الصيامُ من أجلها.

2- أن يجتنب الصائم جميع ما حرم الله عليه من الأقوال والأفعال، فيحفظ لسانه عن الكذب والغيبة والنميمة ، ويحفظ بصره عن النظر إلى المحرمات، ويحفظ أذنه عن الاستماع للحرام، ويحفظ بطنه عن كل مكسب خبيث محرم.

وليس من العقل والحكمة أن يتقرب العبد إلى ربه بترك المباح كالطعام والشراب، ولا يتقرب إليه بترك ما حُرِّم عليه في كل حال، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح :**(من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)** وأُمِر الصائم بحفظ لسانه عن اللغو وفحش القول والجهل على الناس حتى وإن تعرض للأذى من غيره، يقول صلى الله عليه وسلم **:(الصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفُث، ولا يصخب، فإن سابَّه أحد، أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم) متفق عليه.**

ويقول جابر رضي الله عنه مبيناً حقيقة الصيام: "إذا صمتَ فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء".

3- أن يتجنب السب والشتم وفحش القول؛ ففي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: **"الصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب (وفي رواية: ولا يجهل) فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم" متفق عليه ، وفي رواية: مرتين.**

والرفث: الكلام المتعلق بالنساء وأمور الجنس، وقيل: الفحش في الكلام عامة. والصخب: الصياح ورفع الأصوات، شأن الجهال، وهذا معنى (ولا يجهل).

وعلى الصائم أن يدفع السيئة بالحسنة، وأن يقول لمن سبَّه أو شتمه: إني صائم، يقول ذلك بقلبه ولسانه، يخاطب بذلك نفسه ليلجمها بلجام التقوى، ويخاطب بذلك شاتمه ليكفَّ شره، ويُطفئ غضبه بماء الحلم والدفع بالتي هي أحسن.

4- تجنب الغضب :

كثير من الناس -مع الأسف- يفقدون السيطرة على أنفسهم عند الصيام، إذا أحسّ بالجوع غضب، وما يريد أن يكلمه أحد، وهذا ما عرف قيمة هذا الوقت وما عرف الغاية من الصيام؛ وهو تهذيب النفس، وما عرف أنه مما يجب عليه في الصيام أن يتعلّم أدبا من الآداب؛ وهو الصبر وكظم الغيظ وتحمُّل المشاق، فعلى المرء المسلم أن يسيطر على نفسه وعلى مشاعره وأعصابه فلا يغضب؛ وما تعانيه من تعب وجوع وعطش تثاب عليه من الله –سبحانه وتعالى-، وإذا كنت لا تستطيع أن تضبط نفسك من السب والشتم فعلى الأقل اسكت، فإنّ السكوت سلامة وغنيمة.

ثانيا/ الآداب المستحبة:

1-تعجيل الإفطار

يستحب للصائم تعجيل الإفطار، فقد رغب في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقوله وفعله؛ ففي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: **"لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"** متفق عليه

وإنما أحب التعجيل لما فيه من التيسير على الناس، وكره التأخير لما فيه من شبهة التنطع والغلو في الدين، والتشبه بأهل الأديان الأخرى الذين كانوا يغلون في دينهم؛ فعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: **" لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون"** رواه أبو داود

ومعنى التعجيل: أنه بمجرد غياب قرص الشمس من الأفق يفطر، وفي الحديث الصحيح: **"إذا أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم"** متفق عليه

2-الإفطار على تمرات:

وكان من سنته العملية عليه الصلاة والسلام: ما رواه أنس خادمه: **(أنه كان يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات، فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء)** رواه أحمد

وقال عليه الصلاة والسلام: **"من وجد التمر فليفطر عليه، ومن لم يجد التمر، فليفطر على الماء، فإن الماء طهور"** رواه عبد الرزاق

والبلاد التي لا يوجد فيها الرطب أو التمر، يغني عنها بعض الفواكه الأخرى أو شيء من الحلو.

3-السحور وتأخيره:

السحور: ما يؤكل في السحر، أي بعد منتصف الليل إلى الفجر، ومما سنَّه النبي صلى الله عليه وسلم للصائم أن يتسحر، وأن يؤخر السحور، وأراد بذلك أن يكون قوة للصائم على احتمال الصيام، وجوعه وظمئه، وخصوصًا عندما يطول النهار، ولذا قال: **"تسحروا فإن في السحور بركة"** متفق عليه

وفيه تمييز كذلك لصيام المسلمين عن غيرهم، وفي الصحيح: **"فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أكلة السحر" مسلم**

والأصل في السحور أن يكون طعامًا يؤكل، ولو شيئًا من التمر، وإلا فأدنى ما يكفي شربة من ماء، كما روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"السحور كله بركة، فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين" حسنه الألباني.**

ويستحب أن يجعل في سحوره تمرًا:روى أبو داود - بسند صحيح - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(نِعْمَ سحورُ المؤمن التمرُ).**

ومن بركة السحور:أنه – بجوار ما يهيئه للمسلم من وجبة مادية – يهيئ له وجبة روحية، بما يكسبه المسلم من ذكر واستغفار ودعاء، في هذا الوقت المبارك، وقت السحر الذي تنزل فيه الرحمات، عسى أن يكون من المستغفرين بالأسحار.

ومن السنة تأخير السحور، تقليلاً لمدة الجوع والحرمان، **قال زيد بن ثابت: تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قمنا إلى الصلاة، فسأله أنس: كم بينهما؟ قال: قدر خمسين آية) متفق عليه**

وقوله تعالى: **(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** [البقرة : 187]ت فيد جواز الأكل إلى أن يتبين الفجر.

4-الإكثار من ذكر الله تعالى، والاستغفار:

وهذا مُستحب للمسلم في كل وقت، ولكنه في رمضان أكثر استحبابًا، حتى لا يتسرب منه الشهر الكريم يومًا بعد يوم، دون أن ينال حظه فيه من المغفرة والعتق من النار، ولله كل ليلة فيه عتقاء من النار.

5-الإكثار من تلاوة القرآن الكريم:

قال تعالى :﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: 185]

وروى الترمذي - وقال: حسن صحيح - عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنةٌ، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميم حرف)

6-الحرص على الجود في رمضان:

من المستحب في رمضان الإكثار من الجود وفعل الخير، وبذل المعروف للناس، وإطعام الطعام؛ فهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، **قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)** رواه البخاري

ومن هنا اعتاد المسلمون من قديم مد الموائد لتفطير الصائمين في رمضان، لما فيها من الثواب الجزيل.

7-الدعاء طوال النهار وخصوصًا عند الإفطار:

يستحب للصائم أن يرطب لسانه بذكر الله ودعائه طوال يوم صومه، فإن الصوم يجعله في حالة روحية تقربه من الله تعالى، وتجعله في مظنة الاستجابة لدعائه.

والذكر والدعاء مطلوب من الصائم طوال نهاره، ولكنه مطلوب بصورة خاصة عند الإفطار.

وأولى ما يقوله الصائم عند فطره ما رواه ابن عمر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا أفطر: **"ذهب الظمأ وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى"** رواه أبو داود، والدارقطني وحسن إسناده

والعمل بهذا الخبر أولي من خبر أنس وابن عباس أنه كان يقول: **"اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم" رواه الدارقطني، لأن سنده ضعيف.**

ويدعو عند الإفطار بما أحب لدينه ودنياه وآخرته، لنفسه ولذويه وللمسلمين فهو وقت تُرجى فيه الإجابة.

فقد روى ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو: "أن للصائم عند فطره دعوة ما ترد" رواه ابن ماجة وذكر البوصيري في الزوائد: أن إسناده صحيح

وكان عبد الله بن عمرو يجمع بنيه عند الإفطار ويدعو قائلا: اللهم أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي ذنوبي.

وروى أبو هريرة: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم" رواه الترمذي وحسنه

وفي رواية: "والصائم حتى يفطر".

8-**الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان** :

روى البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها-: **أن النبي -ﷺ : "كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر. وفي رواية لمسلم: "كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره". وروى الترمذي وصححه عن علي -رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله -ﷺ- يوقظ أهله في العشر** .

9-استحباب تفطير الصائمين:

روى الترمذي، وقال: حسن صحيح عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن فطَّر صائمًا كان له مثلُ أجره، غير أنه لا ينقصُ مِن أجر الصائم شيئًا)

10-الحرص على صلاة التراويح:

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه)

11-الاعتكاف:

ففي الصحيحين عن عبدالله بن عُمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان)

هذه بعض آداب الصيام، فلتحرص -أخي الصائم- على التأدب بها، وأن تحفظ صومك من كل ما يجرحه، أو ينقص أجره، نسأل الله أن يرزقنا حسن الأدب معه، وأن يتقبل منا صيامنا وقيامنا، إنه جواد كريم.

****

الخطبة التاسعة

ثمرة الصيام الغالية

(لعلكم تتقون)

عناصر الخطبة:

أولا/ إدراك رمضان نعمة عظيمة.

ثانيا/ ثمرة الصيام الغالية : (لعلكم تتقون)

ثالثا/ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ.

الخطبة التاسعة

ثمرة الصيام الغالية : (لعلكم تتقون)

يقول الله في كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة: 183]**

هذه أول جمعة من الشهر المبارك فالحمد لله الذي بلغنا رمضان، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من خير عباده في خير شهر، وأن يوفقنا الى العمل الصالح الذي يرضيه عنا.

عناصر الخطبة:

أولا/ إدراك رمضان نعمة عظيمة.

ثانيا/ ثمرة الصيام الغالية : (لعلكم تتقون)

ثالثا/ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ

أولا/ إدراك رمضان نعمة عظيمة

نحمد الله تعالى أن بلغنا رمضان ونحمد الله أن وفقنا لصيامه ونسأله أن يعيننا على صيام الشهر كله وعلى قيامه وعلى إدراك فضله جل وعلا.

فقد ثبت في الحديث عن طلحة بن عبيد الله: أن رجلين من بلي (حي من قضاعة) قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إسلامهما جميعا، فكان أحدهما أشد اجتهادا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام بينا أنا عند باب الجنة إذا أنا بهما فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إلي فقال: ارجع فإنك لم يأن لك بعد، فأصبح طلحة يحدث به الناس فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثوه الحديث، فقال: من أي ذلك تعجبون؟

فقالوا: يا رسول الله؛ هذا كان أشد الرجلين اجتهادا ثم استشهد ودخل هذا الآخر الجنة قبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس قد مكث هذا بعده سنة؟ قالوا: بلى، قال: وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة

في السنة؟ قالوا: بلى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض.

وفي رواية: (أَليسَ قد صام بعده رمضان ، وصلى ستَّة آلاف ركعة وكذا ركعة صلاة سنة ؟!) . رواه أحمد بإسناد حسن وابن ماجه ، وصححه الألباني.

فقوله :**(فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض)** يعني من الأجر والفضيلة فهذه نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى.

وقد سمعنا عن عدد من الوفيات في آخر أسبوع من شهر شعبان، فمد الله في أعمارنا وساقنا إلى هذا الفضل وبلغنا رمضان.

ثانيا/ ثمرة الصيام الغالية : (لعلكم تتقون)

إخواني والصيام ليس توفيرا للطعام ولا للشراب فالله سبحانه وتعالى قال في حكمة الصيام **(لعلكم تتقون)** وكثيرا ما نقرأ هذه الآية دون أن ننتبه لمعناها ما العلاقة بين الامتناع عن الطعام والشراب والتقوى؟

هنا مسألة لابد من الانتباه اليها وهي مسألة مراقبة الله تعالى في السر التقوى معناها: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، وهذا لا يكون إلا بأن تفعل ما أمرك الله به وتنتهي عما نهاك الله عنه.

قد يكون الخوف من الرقيب البشري في بعض النفوس أعظم من رقابة الله- سبحانه وتعالى- لكن نحن نتربى في هذا الشهر على تقوية هذا المعنى أنت مع طول اليوم ربما تشعر بالحاجة إلى الطعام، ولكنك لا تستطيع أن تمتد يدك إلى طعام أو شراب ما الذي يمنعك؟ وأنت في بيتك لا يراك أحد إلا الله- سبحانه وتعالى- ما الذي يمنعك؟

هذا هو الرقيب الإيماني هذه هي التقوى في أوضح صورها.

والناس هذا العام قاموا بضجة كبيرة على بداية الصيام متى نصوم ؟ متى الهلال؟ متى وقت الفجر؟ ومتى وقت المغرب؟ لماذا كل هذا التحري؟

حتى يكون أمر الصيام منضبطا في أعلى درجات الضبط ؛ أمسك في الميعاد الذي أمرنا الله به، وأفطر في وقت المغرب بالضبط، أنا أحتاج إلى أن تكون عبادتي منضبطة إلى أقصى حد.

بعد الفجر بخمس دقائق قمت من النوم لم تتسحر اشرب قليلا من الماء!!

لا ما ينفع... لا أحد يراك... كلا ما ينفع.

وحينما يطول النهار ويشتد الحر قبل المغرب بدقائق أمامك الماء البارد أمامك الطعام الشهي مد يدك ... لا لا لا ينفع، لماذا؟ لم يؤذن للمغرب إلى الآن.

هذه هي التقوى، فالتقوى أن يكون بينك وبين الحرام حاجز.

ليس هناك شرطة لتطبيق الصيام على الناس في أي دولة من الدول من صائم؟ ومن مفطر؟ لا يستطيع أحد أن ينقب عن بواطن الناس صاموا أو أفطروا، فرقيبك هو الله- سبحانه وتعالى-

هذا المعنى نستطيع بكل سهولة أن نفعله في كل أمورنا سواء رآنا الناس أو لم يرنا الناس، كنا في السر، أوكنا في العلن، هل أستطيع أن أمتنع عن الحرام؟

فرب العزة أراد أن يربينا على معنى تقوية الإرادة، لأن الإنسان عنده نوازع أو غرائز تتنازع معه فيما يحبه وما يألفه وما يكرهه وأصعب شيئا على النفس أن تفطمها عما ألفته، وأي واحد فينا لو امتنع عن الحرام لن يضره يعني -عافانا الله – نحن ما نشرب الخمر هل في واحد عنده مشكل في هذا الأمر يشتاق أو يتشوف إلى هذا الحرام؟ كلا ونعوذ بالله من ذلك.

الخنزير حرمه الله، أكل الميتة (الحيوان غير المذبوح ذبحا شرعيا)، هل عندك مشكل في أن تأكل أو لا تأكل؟ هل عندك ضرر بالامتناع؟ كلا أنا لا أتضرر لكن الضرر يقع بالامتناع عن الحلال الذي ألفته النفس.

لماذا يكون الرجيم (النظام الغذائي للتخسيس) يكون صعبا وقاس عند الكثير من الناس؟

لأنه أمامه الطعام ولا يمد يده له، بإمكانه أن يأكل كما كان يأكل لكن يحاول ويجاهد حتى لا يفسد الرجيم الذي نواه لإنقاص وزنه، فالأمر صعب لأن فطم النفس عن مألوفاتها ليس سهلا، لكن إذا تعلق الأمر بطاعة الله فأنا كمسلم استجيب وأطيع وأصبر على طاعة الله، وعندي وقت أترقبه للإمساك ووقت للإفطار، وهناك مرضى وكبار سن يصومون بالكاد، ويتحملون ذلك طاعة لله، ويقول أحدهم أنا أستحي أن أفطر في الشهر الكريم.

فهذا كله تربية على التقوى أن أقدر على الحرام ولا أفعله، اتركه أو أتعفف عنه طاعة لله، فلا آخذ حقا ليس لي ولا أسرق ولا أغش لماذا؟ تقوى الله، خشية الله بالغيب.

ثالثا/ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ

ولذلك تأملوا معي قوله تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المائدة: 94]

كما نعلم يحرم على من أحرم بالحج أو العمرة أن يصطاد أي صيد فكان الصيد ابتلاء من الله، وكان الصيد سهل المنال **(تناله أيديكم)** أي يمسك الصيد بيده، ولكنه في الإحرام ممنوع من هذا الأمر فرغم قدرته على أن يمسك الصيد بيده ويذبحه ويأكله إلا أن الله حرمه عليه فامتنع.

ما الحكمة من ذلك؟

الجواب **: (ليعلم الله من يخافه الغيب)** فمن أراد المعصية يذهب إلى مكان كذا، من أراد أي شيء فيه حرمة يذهب إلى كذا، الآن معنا الهواتف الذكية المتصلة بالإنترنت وفيها ما فيها من الحلال والحرام والخير والشر والأذى، وفيها ما فيها من الصور والمقاطع إلى آخره، أمامك بلمسة يد تفتح كذا وتغلق كذا وتتنقل من إلى ... وتشاهد ....، ولا أحد سيقول لك ماذا تفعل؟

نفس الحال صيد تناله يدك ليس بعيد المنال لا يطلع عليك أحد إلا الله- سبحانه وتعالى- فصرنا في زمان الحرام فيه سهلا والفتنة في هذا تقع للصغير والكبير فهنا الابتلاء، نسأل الله تعالى أن يعافينا.

ولذلك النبي- صلى الله عليه وسلم- قال لمعاذ بن جبل: **(اتق المحارم تكن أعبد الناس)** من السهل أن أصلي، ومن السهل أن أصوم، ومن السهل أن أقرأ القرآن، وأتصدق لكن أصعب شيئا أن تحجز النفس عن الحرام!!

هناك من نجح كثيرا في الصلاة وتلاوة القرآن والعمل الصالح ولم ينجح في معاملة الناس، لم ينجح في حسن المعاملة مع جاره مع والديه مع أخيه مع الناس في التجارة- سبحان الله!-

إذا قدر أن يظلم سيظلم ثم يقول: أنا حججت بيت الله الحرام!!

يا أخي ما أسهل الحج لكن ما أصعب أن تتعفف عن المال الحرام ولذلك كان العلماء يقولون: **(ترك دانق من حرام أفضل عند الله من سبعين حجة نافلة)** دانق: الدرهم ستة دوانق (مثل السنت والدولار هنا) فترك ذلك يعني شيئا يسيرا يعني مثل خمسة سنتات.

فترك دانق من حرام أفضل عند الله من سبعين حجة نافلة!!! لماذا؟ لأن هذه أشد.

الحج سهل وجميل وروحانيات وإحرام: لبيك اللهم لبيك لكن أن تقدر يدك على الحرام وتمنعها هذا هو الصعب، أن تقدر عينك على الحرام وتمنعها هذا هو الصعب، أن يقدر لسانك على الحرام كالغيبة أو الكذب وتمتنع هذه هو الصعب.

فإذا كان البعض يقول ما أسهل الحرام في أيامنا تلك؟ أقول ما أعظم التقرب إلى الله بالتعفف عن الحرام هذا باب من أبواب العبادات العظيمة في زماننا النبي- صلى الله عليه وسلم- بيّن أن المتمسك بدينه في هذا الزمن كالقابض على الجمر.

روى الترمذي وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم .) وفي رواية : (قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم إنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون على الخير أعوانا)[2]

---

[2] قال الحافظ ابن حجر: حديث " للعامل منهم أجر خمسين منكم " : لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية ، وأيضاً : فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل ، فأما ما فاز به مَن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم مِن زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث المتقدمة . " فتح الباري(7 / 7) "

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد يكون لهم – أي : للمتأخرين – من الحسنات ما يكون للعامل منهم – أي : من الصحابة – أجر خمسين رجلاً يعملها في ذلك الزمان ؛ لأنهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك ، وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا مَن يعينهم على ذلك لكن تضعيف الأجر لهم في أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم أن يكونوا أفضل من الصحابة ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فإن الذي سبق إليه الصحابة من الإيمان والجهاد ومعاداة أهل الأرض في موالاة الرسول وتصديقه وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين وإنفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك الحال أمر ما بقي يحصل مثله لأحد كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه " . " مجموع الفتاوى65 / 13 ، 66

لماذا لأن الحرام يغازل شهوات النفس وغرائزها ويحركها، ما الذي يحجزك؟ ما الذي يمنعك؟ رقابة الله خوفك من الله- سبحانه وتعالى- فما أحوجنا في الصيام أن نتربى على هذا المعنى؟

إذن تقوى الله في السر والعلن أن تجعل بينك وبين الحرام حاجزا أن تقدر على الحرام وتمسك نفسك عنه، هذا هو الهدف من الصيام.

وقال النبي- صلى الله عليه وسلم» -مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» وفي رواية أخرى: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل» والجهل أي: السفه وعمل أهل الجهالة.

إذن الصيام ليس صيام البطن فقط بل كما علمنا العلماء أن يصوم سمعك وبصرك ويدك عن كل ما فيه أذى أو معصية .

فمعنى الحديث أن الإنسان إذا صام ولم يدع الزور – وهو قول الباطل والكذب – وقول الزور والعمل بالزور؛ فليس لله حاجة في أن يمتنع عن الطعام والشراب وهو يقارف هذه الخطايا؛ لأن المقصود بالصيام هو حصول التقوى لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٨٣﴾**﴾ **[البقرة: 183]** فإذا لم يثمر هذا العمل تقوى الله – عز وجل -؛ فإن الله – عز وجل – ليس محتاجًا لأن يعذب الإنسان نفسه بالامتناع عن الطعام والشراب وهو يقارف الخطايا.

****

الخطبة العاشرة
مع الحديث القدسي
كل عمل ابن آدم
له إلا الصوم

عناصر الخطبة:

أولا / نص الحديث .

ثانيا / شرح الحديث.

ثالثا/ فوائد من الحديث.

الخطبة العاشرة

مع الحديث القدسي

كل عمل ابن آدم له إلا الصوم

عناصر الخطبة:

أولا / نص الحديث .

ثانيا / شرح الحديث.

ثالثا/ فوائد من الحديث.

أولا / نص الحديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :" قالَ اللهُ: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ إلا الصيامَ ، فإنَّه لي وأنا أُجْزي بهِ، والصيامُ جُنَّةٌ ، وإذا كان يومُ صومِ أحدِكُم فلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ ، فإنْ سابَّه أحدٌ أو قاتَلَهُ فلْيقلْ : إنّي امْرُؤٌ صائمٌ، والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لَخَلوفِ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريح المسكِ ، للصائمِ فَرْحتانِ يفرَحُهُما إذا أَفطرَ فَرِحَ ، وإذا لقي ربَّه فَرِحَ بصومِهِ "رواه البخاري

وفي رواية عند الإمام أحمد : "يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ له إلا الصيامَ فهو لِي وأنا أجزِي بِهِ إنَّمَا يتْرُكُ طعامَهَ وشَرَابَهُ مِن أجْلِي فصيامُهُ لَه وأنا أجزِي بِه كلُّ حسنةٍ بعشرِ أمثالِهَا إلى سبعمائِةِ ضعفٍ إلا الصيامَ فهو لِي وأنا أجزِي بِهِ"

ثانيا / شرح الحديث.

(كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ إلا الصيامَ ، فإنَّه لي وأنا أُجْزي بهِ) أضاف الله الصوم لنفسه فقال : **(إلا الصيامَ ، فإنَّه لي وأنا أُجْزي بهِ)** ما السر في ذلك؟

فسره العلماء بعدة تفسيرات :

1- أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ، قال القرطبي : لما كانت الأعمال يدخلها الرياء ، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه ولهذا قال في الحديث : **(يدع شهوته من أجلي) .**

وقال ابن الجوزي : جميع العبادات تظهر بفعلها وقلّ أن يسلم ما يظهر من شوبٍ (يعني قد يخالطه شيء من الرياء) بخلاف الصوم .

فالصوم عمل باطني لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى فهو نية قلبية بخلاف سائر الأعمال فإنها تظهر ويراها الناس أما الصيام فإنه عمل سري بين العبد وبين ربه عز وجل ولهذا يقول: **"الصوم لي وأنا أجزي به إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي"**، وكونه ترك شهوته وطعامه من أجل الله هذا عمل باطني ونية خفية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى بخلاف الصدقة مثلاً والصلاة والحج والأعمال الظاهرة هذه يراها الناس، أما الصيام فلا يراه أحد لأنه ليس معنى الصيام ترك الطعام والشراب فقط أو ترك المفطرات لكن مع ذلك لابد أن يكون خالصًا لله عز وجل وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

2- أن معنى قوله : **(الصوم لي)** الإضافة إضافة تشريف وتعظيم ، كما يقال : بيت الله ، وإن كانت البيوت كلها لله ، أي أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي .

قال ابن عبد البر : كفى بقوله : **(الصوم لي)** فضلا للصيام على سائر العبادات . وروى النسائي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **(عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ)** . صححه الألباني في صحيح النسائي .

3- أن الصوم لا يدخله شرك بخلاف سائر الأعمال فإن المشركين يقدمونها لمعبوداتهم كالذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة وكذلك الدعاء والخوف والرجاء فإن كثيرًا من المشركين يتقربون إلى الأصنام ومعبوداتهم بهذه الأشياء بخلاف الصوم فما ذكر أن المشركين كانوا يصومون لأوثانهم ولمعبوداتهم فالصوم إنما هو خاص لله عز وجل .

فعلى هذا يكون معنى قوله: **"الصوم لي وأنا أجزي به"** أنه لا يدخله شرك لأنه لم يكن المشركون يتقربون به إلى أوثانهم وإنما يتقرب بالصوم إلى الله عز وجل.

4-أن المراد بقوله : **(وأنا أجزى به)** أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، قال القرطبي : معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير .

والمراد بتقدير الأجر أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته ، لأن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير . ويشهد لهذا رواية مسلم **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَةَ ضِعْفٍ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)** أي أجازي عليه جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره ، وهذا كقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ **[الزمر: 10]**

فالملائكة تكتب الأعمال وتقدر الحسنات لكنها لا تستطيع تقدير أجر الصيام فجعل الله تعالى جزاء الصائمين عليه، لا على الملائكة، ولك أن تتأمل شرف هذه العبادة أن يتولى أكرم الأكرمين الجزاء والمكافأة؟

يعني أنا لو قمت بعمل مسابقة داخلية في هذا المسجد لحفظ القرآن كمْ تكون جائزة الفائز الأول؟

لن تتجاوز الألف دولار، هذا يليق بإمكاناتنا وما نستطيع، لكن إذا قلنا إن الجائزة ستكون على مستوى وزارة أوقاف أو شؤون إسلامية لا يليق أن تكون الجائزة للفائز الأول ألفا لا بد من أن تكون مبلغا كبيرا عشرون ثلاثون ألفا.

لكن إذا قلنا أن الذي سيكرم الفائزين هو الملك أو الرئيس فلا يليق بالملك أو الرئيس أن يكرم بعشرين ألفا ، لا بد من أن تكون جائزة تليق بالملك ، أو تليق بالرئيس، طيب حينما نقول أن الذي سيكرم الصائمين هو الله رب العالمين تكريما يليق بذي العزة والجلال أكرم الأكرمين.

إذن المسألة ليست حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فقط ، بل أجر عظيم لا يعلمه إلا الله- سبحانه وتعالى- ولذلك قال العلماء: إن قول الله تعالى لأهل الجنة : ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ **[الحاقة: 24]** قالوا: هذا يقال للصائمين فلصومهم متعهم الله بلذة النعيم في الجنة كلوا هنيئا

كلوا واشربوا هنيئا جزاء وفاقا لما أعطشتم أنفسكم وجوعتموها هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية.

ولذلك أحد الأمراء لما أعطى لصبي صغير درهما ، فرفض الطفل أن يأخذه، فقال له: لماذا تمتنع؟ خذ هذا الدرهم، قال أبي سيضربني، قال: قل له الأمير أعطاني الدرهم.

قال لن يصدقني. قال لماذا يا غلام ؟

قال لأن هذه ليست عطية الأمراء؛ أمير يعطي درهما!!

فهذا فهم صبي لأمير يعطي درهما فما بالك بأكرم الأكرمين؟

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" وَهَذَا الحديثُ الجليلُ يدُلُّ على فضيلةِ الصومِ من وجوهٍ عديدةٍ :

الوجه الأول : أن الله اختصَّ لنفسه الصوم من بين سائرِ الأعمال ، وذلك لِشرفِهِ عنده ، ومحبَّتِهِ له ، وظهور الإخلاصِ له سبحانه فيه ، لأنه سِرٌّ بَيْن العبدِ وربِّه لا يطَّلِعُ عليه إلاّ الله . فإن الصائمَ يكون في الموضِعِ الخالي من الناس مُتمكِّناً منْ تناوُلِ ما حرَّم الله عليه بالصيام ، فلا يتناولُهُ ؛ لأنه يعلم أن له ربّاً يطَّلع عليه في خلوتِه ، وقد حرَّم عَلَيْه ذلك ، فيترُكُه لله خوفاً من عقابه ، ورغبةً في ثوابه ، فمن أجل ذلك شكر اللهُ له هذا الإخلاصَ ، واختصَّ صيامَه لنفْسِه من بين سَائِرِ أعمالِهِ ولهذا قال : **(يَدعُ شهوتَه وطعامَه من أجْلي) .**

وتظهرُ فائدةُ هذا الاختصاص يوم القيامَةِ كما قال سَفيانُ بنُ عُيينَة رحمه الله : إذَا كانَ يومُ القِيَامَةِ يُحاسِبُ الله عبدَهُ ويؤدي ما عَلَيْه مِن المظالِمِ مِن سائِر عمله حَتَّى إذَا لم يبقَ إلاَّ الصومُ يتحملُ اللهُ عنه ما بقي من المظالِم ويُدخله الجنَّةَ بالصوم .

الوجه الثاني : أن الله قال في الصوم : **(وأَنَا أجْزي به)** فأضافَ الجزاءَ إلى نفسه الكريمةِ ؛ لأنَّ الأعمالَ الصالحةَ يضاعفُ أجرها بالْعَدد ، الحسنةُ بعَشْرٍ أمثالها إلى سَبْعِمائة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرةٍ ، أمَّا الصَّوم فإنَّ اللهَ أضافَ الجزاءَ عليه إلى نفسه من غير اعتبَار عَددٍ ، وهُوَ سبحانه أكرَمُ الأكرمين وأجوَدُ الأجودين ، والعطيَّةُ بقدر مُعْطيها . فيكُونُ أجرُ الصائمِ عظيماً كثيراً بِلاَ حساب . والصيامُ صبْرٌ على طاعةِ الله ، وصبرٌ عن مَحارِم الله ، وصَبْرٌ على أقْدَارِ الله المؤلمة مِنَ الجُوعِ والعَطَشِ وضعفِ البَدَنِ والنَّفْسِ ، فَقَدِ

اجْتمعتْ فيه أنْواعُ الصبر الثلاثةُ ، وَتحقَّقَ أن يكون الصائمُ من الصابِرِين . وقَدْ قَالَ الله تَعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الزمر/10 " انتهى ."[3].

قوله (والصيام جنة) بضم الجيم وتشديد النون أي وقاية وسترة من المعاصي؛ تشبيه بليغ بحذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، فتقدير الكلام : الصيام كالجنة يحمي الصائم من الذنوب والسيئات كما تحمي الجنة المقاتل من الضرب والطعنات .

ومادة : "جن" تدل على الستر والوقاية ، ومنه قيل : لــ : "الجن" : جن ، بالكسر ، لاستتارهم عن أعين البشر ، و "الجنة" : جنة بفتح الجيم ، لأنها مستترة بأشجارها الكثيفة .

فصار للمادة معنى كلي هو : "الستر" فالصيام جنة لأنه يكسر الشهوة ويضعفها، وقيل: جنة أي وقاية من النار، لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات .

وعند الترمذي وسعيد بن منصور : **(جنة من النار)**

ولأحمد من حديث أبى عبيدة بن الجراح **(الصيام جنة مالم يخرقها).** وزاد الدارمي: **(الصيام جنة مالم يخرقها بالغيبة)**

فلما كف الصائم نفسه عن المعاصي في الدنيا كان سترا له من النار فكفت عنه في الآخرة.

قوله: (فلا يرفث) أي لا يفحش في الكلام.

والرفث هو أن يتكلم بكلام فاحش بذيء؛ ولذلك نفى النبي عليه الصلاة والسلام عن نفسه الفحش والتفحش؛ لأن هذا خلق ذميم، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحلّوا بمكارم الأخلاق، وتخلوا عن مساوئ الأخلاق، والفحش والرفث والفسوق والجهل، كل هذا استعاذ منه النبي عليه الصلاة والسلام، بل استعاذ منه جميع الأنبياء.

---

[3] مجالس شهر رمضان" (ص 13)

(ولا يجهل) الجهل قريب من الرفث، وهو خلاف الحكمة، وخلاف الصواب من القول والفعل؛ أي لا يفعل فعل الجهال كالصياح والسخرية أو يسفه على أحد، وفي رواية سعيد بن منصور: **(فلا يرفث ولا يجادل)** وهذا ممنوع في الجملة لكنه يتأكد بالصوم.

(وإن امرؤ قاتله أو شاتمه) قاتله أي: دافعه، ونازعه فيكون بمعنى شاتمه ولاعنه، وقد جاء القتل بمعنى اللعن، وفى رواية : "فإن سابه أحد أو ماراه " يعنى جادله.

وقوله: (فليقل: إني صائم، إني صائم) هل يقولها بصوت مسموع أو بصوت خافت ؟

الأفضل أن يجمع بين الاثنين، لأن المرء لو أسمع الشاتم والساب الجاهل ذلك، فكأنه يقول له: ما يمنعني عنك إلا أني صائم، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أمراني ألا أدفع مقاتلتك بمقاتلة، وألا أدفع شتمك بشتم، وإنما أمراني أن أصبر وأحتسب، وأقول: إني صائم.

وهذا الفعل والكلام الجميل يشهد له القرآن والسنة، بل يشهد له واقع الناس، تصور لو أن امرأً شتمك فصبرت عليه وسكتّ ودعوت له، فإنه لو كان ناراً مشتعلة لا بد وأنه سينطفئ؛ لأنك قابلت الإساءة بالإحسان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ولو أنك دفعت شر الشرير بالخير والعفو والصفح لانقلب لك صديقاً حميماً، ولو دفعته بمثل ما بدأك به لاشتعلت الخصومة، حتى كادت أن تهلك الأرواح والأبدان.

(والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم) الخلوف: هي الرائحة الكريهة التي تخرج من فم الإنسان بسبب الصيام ، والحقيقة أن هذه الرائحة لا تخرج من الفم، وإنما تخرج من المعدة؛ لخلوها من الطعام، فمهما حاولت أن تزيل هذه الرائحة من فمك لا تزول؛ لأن منبعها المعدة والبطن، وليست هي صادرة عن الفم.

فهذه الرائحة عند الله عز وجل يوم القيامة أطيب من ريح المسك، ولما كان المسك هو أفضل الطيب وهو أحب الطيب إلى النبي عليه الصلاة والسلام ضرب به المثل، فهذه الرائحة التي تنبعث من فم الصائم وتتأففون منها هي عند الله يوم القيامة أطيب من ريح المسك، جزاءً وفاقاً؛ لما عملوه في الدنيا، لما صبروا وامتنعوا طاعة لله عز وجل عن الطعام والشراب والشهوة أنتج

هذا الامتناع وهذا الحبس هذه الرائحة، فلما تأفف منه الناس في الدنيا أقبل أهل المحشر عليه في الآخرة يشمون رائحته الطيبة الزكية التي تخرج منه، جزاء طاعته في الدنيا.

قوله: (وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه) يفرح لأن الله عز وجل كافأه بعد هذا الحرمان في النهار بالطعام والشراب بدخول المغرب، ففرح بأنه حصل ما كان ممنوعاً، أو يفرح بأن الله تعالى أتم له صيام هذا اليوم؛ لأن الذي يقوي على الطاعة هو الله عز وجل، ولذلك الإنسان لو عجز عن إتمام الصيام في يوم من الأيام وما أطاقه أو سبب له ضرراً، فإن أفطر بعد الظهر أو بعد العصر يحزن حزناً شديداً لضياع هذا اليوم، مع أنه ما ضاع وهو صاحب عذر، ولذلك لا تجد رجلاً قد أفطر بعذر في رمضان يفرح بدخول المغرب، مثل هذا لا فرحة له، ولذلك المرأة الحائض حينما يجتمع زوجها وأبناؤها على الطعام عند أذان المغرب، تجد الرجل وأبناءه في منتهى الفرح والسرور بدخول المغرب، أما الزوجة فلا تفرح بذلك- رغم أنها مأجورة من الله وإفطارها طاعة لله- ؛ لأنها لم تحصل على ما حصل عليه الزوج والأولاد من طاعة بالنهار.

كذلك تفرح أيها المسلم إذا تمت طاعتك من غير أي كدر يكدرها، بخلاف الذي يسب ويشتم ويصخب ويجادل ويفسق.. وغير ذلك، فهو يشعر في داخل نفسه أنه مجرد إنسان قد امتنع عن الطعام والشراب والجماع، والله عز وجل لا حاجة له في صيام هذا الصائم؛ لأنه لم يفد الفائدة المرجوة من صيامه، لأن غاية هذا الصيام أنه يهذب النفوس، ويرقق القلوب، ويقرب الصائم إلى مولاه، باجتناب جميع الذنوب والمعاصي، لا بالامتناع فقط عن الطعام والشراب والجماع: **(فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش)**، ورب صائم ليس له حظ في الصيام، إلا أنه عذب نفسه بالامتناع عن الطعام والشراب والجماع.

قوله: (وإذا لقي ربه فرح بصومه) إذا لقي ربه في الآخرة فإن الله تعالى يكافئه المكافأة التي وعد بها، لأن الملك سبحانه وتعالى هو الذي يجازيه ويكافئه، فلا بد أن تكون هذه المكافأة عظيمة جداً؛ لأنها من الكريم سبحانه وتعالى.

ثالثا/ فوائد من الحديث:

هذا الحديث الشريف يحمل العديد من الفوائد والدروس القيمة، منها:

1- **إخلاص النية** :الصيام عبادة خالصة لله تعالى، حيث يترك المسلم طعامه وشرابه وشهواته من أجل الله وحده، وفي هذا تربية على الإخلاص في العبادة.

2- **الصبر والتحمل** :الصيام يعلم المسلم الصبر والتحمل، حيث يمتنع عن الطعام والشراب لفترة طويلة، مما يقوي إرادته ويرفع همته لفعل الخيرات وترك المنكرات .

3- **التقوى** :الصيام جُنَّة، أي وقاية وحماية من المعاصي والذنوب، حيث يبتعد المسلم عن الفواحش والأقوال السيئة، مما يزيد من تقواه.

4- **الأجر العظيم** :الله تعالى يجزي الصائمين بأجر عظيم، حيث إن أجر الصيام غير محدد ويضاعف الله لمن يشاء، مما يشجع المسلمين على الإكثار من الصيام.

5- **فرحتان للصائم** :للصائم فرحتان، فرحة عند الإفطار بطاعته لله ، وفرحة عند لقاء الله بالأجر والثواب الجزيل.

6- **رائحة فم الصائم** :خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، مما يدل على قيمة الصيام عند الله تعالى وأنه عبادة محببة إليه.

7- **التسامح وضبط النفس** :الصيام يعلم المسلم التسامح وضبط النفس، حيث يمتنع عن الرد على من يسبه أو يقاتله، ويكتفي بقول "إني صائم"، مما يربي المسلم على الأخلاق الحميدة.

****

الخطبة الحادية عشرة

كيف نصوم رمضان إيمانا واحتسابا؟

عناصر الخطبة:

أولا/ شرطا قبول الصيام الإيمان والاحتساب.

ثانيا /ما معنى إيمانا؟

ثالثا / ما معنى احتسابا؟

رابعا/ الفريضة أضعاف أضعاف أجر النافلة

خامسا/ لا تجعل رمضان كسائر الشهور

الخطبة الحادية عشرة

كيف نصوم

رمضان إيمانا واحتسابا؟

عناصر الخطبة:

أولا/ شرطا قبول الصيام الإيمان والاحتساب.

ثانيا /ما معنى إيمانا؟

ثالثا / ما معنى احتسابا؟

رابعا/ الفريضة أضعاف أضعاف أجر النافلة

خامسا/ لا تجعل رمضان كسائر الشهور

أولا/ شرطا قبول الصيام الإيمان والاحتساب

يقول الحق جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة: 183]، في هذه الآية المباركة دليل فرضية الصيام، وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن شرط القبول أن يتحقق معنيان :**الإيمان والاحتساب** فقال:

(من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي رواية أخرى عند البخاري أيضا: (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)

قول النبي - صلى الله عليه وسلم-: **(إيمانا واحتسابا)** ما معنى هذين الشرطين؟

ثانيا /ما معنى إيمانا؟

يقصد بها تصديقا لأمر الله- عز وجل- فالإيمان يستلزم تصديق القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح، فليس هناك إيمان بلا عمل ودائما نقرأ في القرآن **(الذين آمنوا)** بعدها مباشرة **(وعملوا الصالحات)** من يعمل عبادة لله- عز

وجل- هو يعملها إيمانا أي تصديقا لأمر الله فالله تعالى هو الذي أمر ونحن نسمع ونطيع **(وقالوا سمعنا وأطعنا)** وهذه هي حقيقة العبودية لله- عز وجل- أننا في كل أوامر الله في كل تشريعاته نقول لله: **(سمعنا وأطعنا)**

ومعنى الإيمان هنا:النية التي تحدد العمل ، قد يقوم الإنسان ببعض الأفعال ولا يستحضر فيها نية العبادة فمن هنا قعّد العلماء قاعدة فقالوا: إن النية شرط لصحة العبادة ، والنبي - صلى الله عليه وسلم- أوضح ذلك أكثر فقال: **(إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى)** ففي العبادات النية شرطا لصحتها وفي العادات النية تكون لتحصيل الثواب.

العادات كالنوم والأكل والشرب وسائر هذه الأمور، فإذا جددت النية لله في العادات كان ذلك أدعى لتحصيل الثواب كما كان ، ومما يذكر عن أنس وعن غيره كمعاذ قوله: **(أني لاحتسب عند الله نومتي كما احتسب قومتي.)**

والنبي قال لسعد بن أبي وقاص: (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله حتى اللقمة تضعها في فيّ (فم) زوجتك إلا أجرت عليها)

فوضع اللقمة في فم الزوجة هو من حسن العشرة وربما يكون مما ألفه الإنسان من باب التودد والمحبة فإذا فعل ذلك ابتغاء وجه الله كان له في ذلك أجر.

ولو أن شخصا امتنع عن الطعام والشراب لأنه سيقوم بعمل تحليل للدم أو عملية جراحية ولم يذكر في ذلك نية العبادة نقول : لا أجر له على ما فعل.

فالشرط الأول للعبادة النية ، (ولكل امرئ ما نوى)

ثالثا / ما معنى احتسابا؟

ومعنى الاحتساب أي أنك تبتغي الأجر من الله وحده تصوم إخلاصا لله تصوم حسبة لله- سبحان الله-

وأي أحد يعمل عملا يرتجي ثمرته، أنا عندي دوام كامل اذهب إلى العمل، وأتحمل مشقة البرد والثلج والزحام ، ومشقة الحر في الصيف ....الخ.

فالذي يدفعني لذلك أني أحتسب ما أتحصل عليه من راتب أو كسب جراء هذا العمل.

فكذلك أنا حينما امتنع عن الطعام والشراب، وسائر المفطرات إنما افعل ذلك احتسابا لله لا لغيره، لا أصوم بسبب أنه عادة كما يصوم البعض، ولا أصوم

معصية، بأن أصوم عن الحلال، وأفطر على الحرام ، إنما أصوم عما أباحه الله من المفطرات، وأصوم عن المعاصي كل ذلك ابتغاء الأجر عند الله.

وهذان الشرطان يترددان في جميع العبادات ولذلك- سبحان الله- نجد من أقوال النبي- صلى الله عليه وسلم- ما يؤكد على هذا المعنى:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا، وكان معه حتى يصلَّى عليها، ويُفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد".

بل إن العبد المسلم يؤجر على نفقته على أهله وهي واجبة عليه كأجر الصدقة إن هو احتسبها كما ورد في الحديث :"إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة".

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف قلت؟" قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك".

فانظر كيف عظم الأجر بسبب الاحتساب في الطاعات؟

ومما يدل على هذا المعنى العظيم أيضا ما ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: **كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة، فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فتوجعنا له.**

فقلت: يا فلان لو أنك اشتريت حمارا يقيك من الرمضاء، ويقيك من هوام الأرض؟

قال: أما والله ما أحب أن بيتي مطنب ببيت محمد صلى الله عليه وسلم[4]، فثقل هذا الجواب على أبي بن كعب واستعظمه لبشاعة لفظه، فأتى نبي الله

---

[4] أي: ما أحب أنه مشدود بالأطناب، وهي "الحبال": إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، بل أحب أن يكون بعيدا منه، لتكثير ثوابي وخطاي إليه.

فأخبره، فدعاه فقال له مثل ذلك، وذكر له انه يرجو في أثره (أي ممشاه) الأجر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :"إن لك ما احتسبت".

وإذا استحضر العبد هذا المعنى العظيم في نفسه عند قيامه بالطاعات فإنه سيدفع عن نفسه خواطر السوء من السمعة والرياء، وطلبة المدح والثناء من الناس إلى غير ذلك من الآفات التي تحبط العمل أو تنقص الأجر؛ لأنه حصر همه في رضا الله وطلب الأجر منه، وعندئذ يفوز بالأجر العظيم والثواب الجزيل.

الصيام من أفضل العبادات الدالة على الاخلاص:

والعلماء قالوا: إن الصيام من أفضل العبادات الدالة على الإخلاص أو المعينة على الإخلاص لماذا؟

لأن كل العبادات هي أعمال نقوم بها: الصلاة عمل تتوضأ وتتوجه للقبلة وقيام وركوع وسجود، والزكاة عمل تنفق من مالك لله ، والحج تنفق من مالك وتطوف وتسعى إلى آخره.

أما الصيام فهو ليس بعمل ،الصيام امتناع عن الفعل : لا طعام لا شراب لا جماع للزوجة.... كله توقف من الفجر إلى المغرب من الذي يرى أنك ممتنع؟

من الذي يعلم أنك ممتنع؟

أنا ممكن أن أراك في الصلاة، أراك وأنت تنفق ، أراك قد عزمت على الحج ، لكن أنتم أمامي الآن صائمون ما الدليل على ذلك؟

ليس هناك دليل ، ليس هناك فعل تقومون به ، ليس هناك عبادة بشكل مرئي أقول أنت صائم أو غير صائم ، إذا فالصيام امتناع عن الفعل وهذا أمر لا يعلم حقيقته إلا الله فصار إخلاصا بينك وبينه، سر بينك وبينه ، وهذا مما يعلمنا أن تقوم بالعمل ، لا يهمك أن يراك الناس، أو لا يرونك، يعلم الناس عبادتك أو لا يعلمونها فأنت تحتسب ما تفعل عند الله- عز وجل- ودائما تجعل أمامك اللافتة القرآنية **(وكان الله شاكرا عليما)**

عملت بعمل في السر لم يدر به أحد ، وربما صاحب العمل لا يعلم عنه شيئا ، لكنك قصدت وجه الكريم سبحانه فهذا هو الإخلاص ، لدرجة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لما ذكر السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: **(ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)** البعض فهم الحديث على ظاهره فكان إذا أراد أن يتصدق جعل يده وراء

ظهره وكأن يده اليسرى لها عين ترى الصدقة وهي تخرج ، هذا ليس مقصود النبي- صلى الله عليه وسلم- ، مقصود النبي أنه لو أن يدك تعقل؛ لأن اليمين والشمال متلازمتان يعني دائما ما نقول اليد اليمين اليد الشمال ، فلو أنك استطعت ألا تدري يدك الشمال لو كانت تعقل وترى لا تدري ما أنفقت اليمين فافعل ، هذا هو مقصود النبي - صلى الله عليه وسلم- تحري السرية في العبادة فهو أبلغ في الأجر.

قد تتطلع النفس إلى حظ من حظوظ الدنيا فلان متصدق أنفق كذا ... حظ من حظوظ الدنيا فأنت حينما تتعود عبادة السر تخفي عبادتك ، فإنك بذلك تصل إلى درجة الإخلاص بمعنى أنك لا يهمك ما يقول الناس ، علم الناس لم يعلموا ، مدحوا أم لم يمدحوا ، بينك وبين الله- عز وجل-

إخلاص علي زين العابدين:

ولذلك- سبحان الله- كان علي زين العابدين حفيد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذا جن الليل حمل أجولة (أكياس) الدقيق فيلقيها في الظلام أمام أبواب المحتاجين لا يراه أحد!!

من أين علمنا القصة؟

ما علموا بالقصة ومن الذي يأتيهم بهذا الطحين إلا بعد أن توفي !! افتقدوا الذي كان يساعدهم ويأتيهم بالطعام- سبحان الله- العظيم!!

ونشر الله تعالى طيب ذكره وطيب أفعاله، فقد كان يقصد بما يفعل وجه الله- سبحانه وتعالى-

ونحن مغرمون الآن بموضوع الفيسبوك والبث المباشر؛ كثير من الناس يكتب : هذه الصورة وأنا ذاهب إلى الفقراء لأساعدهم ... وهذه وأنا في جمعية مساعدة كذا نقوم بإهداء بطاطين للمحتاجين والفقراء، ويصور الفقراء يا أخي -لا إله إلا الله-أليس هذا من الرياء؟

وهناك برنامج رأيت منه بعض المقاطع العام الماضي يأتون إلى فقير أو محتاج بالمساعدة ويجري حوار بينهم وبينه، وهو لا يدري أن هناك تسجيلا بالكاميرات، وطبعا يسجلون لحظات الفقير وهو يشكو همه، وكيف البرنامج يتكفل بكذا؟ طبعا كل الموضوع عرض إعلامي مضخم ، وكله جرح لمشاعر هؤلاء وأهليهم وذويهم.

ولذا أقول: نحن حينما نصوم لله نتعلم كيف لا نتطلع إلى الجزاء من الناس، أو إلى مدح الناس، أو ماذا سيقول الناس عنا؟

إنما أبتغي وجه الله ، كما قال الله تعالى في شأن عبده الأبرار ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: 8-9]

إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به:

وفي الحديث القدسي الله- عز وجل- قال : **(كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)** العلماء فسروا لنا معنى فإنه لي وأنا أجزي به ما معناها؟

هذه رواية البخاري رواية الإمام مسلم قال : **(كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي)** ما المعنى هنا؟

الملائكة الموكلة بكتابة الأعمال يعرفون ثواب الصلاة كذا ثواب الصدقة كذا ثواب الذكر كذا ... يسجلون الأعمال فهم يعرفون العمل وكيف يقدرون المثوبة إلا الصوم فلا يكتب أمامه الثواب كذا...لأن الذي يتولى الجزاء هو الله- سبحانه وتعالى- ما السر في ذلك ؟

السر هو أن الصيام إخلاص بين العبد وربه ، مسألة لا يعلم حقيقتها إلا الله- عز وجل- ، فهو سر بينك وبين الله فلا يطلع عليه حتى الملائكة يبقى الأجر عند الله- سبحانه وتعالى- ، قد تمر عليكم هذه الكلمات سريعا دون أن نفهمها لكن تأملوا معي يا إخواني حينما يعطي الملك أو الرئيس هدية لشخص كمْ تبلغ هذه الهدية؟ لو أن هذا الرئيس أو الملك أعطى مثلا عشرة دولارات فهذه إهانة يتندر الناس بها ، يقولون الملك لما أعطى أعطى عشرة دولارات لماذا؟

لأنه لا يليق بملك أن يعطي عشرة هذا ليس مقامه هذا لا يليق به لكن حينما يعطي الملك إنما يعطي ما لا يعطيه غيره .

ومن الطرائف أن صبيا صغيرا أعطاه الأمير درهما فرفض أن يأخذه قال لماذا يا فتى؟ قال: أبي سيضربني !! قال: قل له الأمير أعطاني درهما، قال لن يصدقني!! قال لماذا؟ قال لأن الأمير لا يعطي درهما!!!

الأمير يعطي خمسين ألف... مئة ألف هذه عطية أمير، إنما لما أقول لأبي الأمير أعطاني درهم فلن يصدقني، فقه الغلام إن الأمير لا يعطي القليل.

فأنا حينما أتكلم عن جزاء الصائمين ، وأن الله تعالى هو الذي يتولى الإثابة ويتولى الجزاء لك أن تتأمل عطاء الكريم الذي لا تنفد خزائنه، عطاء الكريم

بأن يجعل رحماته تتنزل على الصائمين كل يوم وليلة ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة .

رابعا/ الفريضة أضعاف أضعاف أجر النافلة

أريد أن أوضح أمرا: وهو أن الكثير منا يعتقد من كلام مشايخنا الكرام أن السنة أعلى في الأجر من الفريضة وهذا غير صحيح !!

الفريضة هي أول شيء هي الأساس لا يقبل الله نافلة حتى تؤدى الفريضة ، والفريضة أضعاف أضعاف أجر النافلة، ربما جاء التوسع بذكر فضيلة الأعمال الصالحة من باب أن الناس لن يتنازلوا عن الفرائض، أو لن يتركوها ، أو لن نختلف على وجوبها، لكن من باب الحث نقول في الأعمال الصالحات من فعل كذا ومن قال كذا من كلام نبينا مثلا- صلى الله عليه وسلم- لكن الأصل أن فريضة الصيام في رمضان أولى من أي يوم تطوع، فريضة الزكاة الواجبة أفضل من أي صدقة ، فريضة الحج أفضل وأعلى أجرا من أي حج تطوع أو عمرة تطوع ، فريضة الصلاة أعلى من أي نافلة تطوع.

ولذلك قالوا: **(إن من سهر في قيام الليل ثم أضاع الفجر فهو آثم)** لأنه قام بالنافلة وترك الفريضة.

فالأساس هو أداء الفريضة، والنبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: **(دينارا أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجر الذي أنفقته على أهلك)** لماذا؟

لأن الدينار أو الصدقة لله تطوع ، وعلى مسكين تطوع، لكن على أهل بيتك من ينوب عنك في النفقة؟

هذه نفقة واجبة فلأنها نفقة واجبة أنفقتها هي أعظم أجرا من النفقة على مسكين أو في سبيل الله طبعا محتسبا ذلك عند الله- عز وجل-

خامسا/ لا تجعل رمضان كسائر الشهور

أعلم أن هناك من عنده عمل واليوم هنا طويل والعشاء في وقت متأخر إلى حد ما فربما بعض الناس يصلي المغرب والعشاء في بيته، وينام لأن عنده الفجر على الساعة الرابعة ، والعمل على الساعة السادسة، وهنا دوامة العمل كبيرة ... لكن أقول لمن ضاق وقته لا تجعل رمضان كسائر الشهور يعني لما تفطر وتصلي وبعد قليل تصلي العشاء وتنام؟ ما الجديد يا أخي في حياتك؟

اجتهد أن تأتي للمسجد في صلاتي العشاء والفجر حقق قول النبي – صلى الله عليه وسلم- **(من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله)**

احرص على العشاء والفجر، احرص على أن يطالك الأجر بركعتين أو بأربعة على حسب ما يسر الله تعالى لك ، ثم انصرف.

نسأل الله أن يرزقنا البركة في أوقاتنا وفي نومنا وفي صحونا.

خذ ثواب قيام الليل ولا تكن من الغافلين ، والنبي- صلى الله عليه وسلم- قال: **(من قام بعشر آيات كتب لم يكتب من الغافلين)** من قام بعشر آيات: سورتي الفلق والناس أحد عشر أية **(لم يكتب من الغافلين ومن قام بمئة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)** والمقنطرين إشارة إلى الأجر وعظمه- سبحان الله- العظيم.

فكن من أهل هذا الحديث ولا تكن من الغافلين الذين أفطروا وناموا ومر عليهم رمضان كسائر الشهور، والله- سبحانه وتعالى- من رحمته بنا أنه يطلع على القلوب وما فيها، المسألة ليست إثبات حضور في المسجد صليت كمْ ركعة أو كذا؟ كلا المسألة أنت تعامل رب كريم فلا يمر رمضان كسائر الشهور.

إخواني هذا مضمار سباق أجراه الله تعالى الآن لنتسابق ونتنافس على هذا الخير وننال مرضاة الله ومثوبة الله فجددوا النية لله.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وأن يغفر لنا ذنوبنا.

اللهم آمين.

****

الخطبة الثانية عشرة

رمضان

شهر تزكية الأنفس

عناصر الخطبة:

أولا/ الفرح بمواسم الطاعة.

ثانيا/ تزكية النفس في رمضان.

ثالثا/ ما هو الصيام الحقيقي؟

رابعا/ التربية على الإرادة القوية.

الخطبة الثانية عشرة

رمضان شهر تزكية الأنفس

هذه أول جمعة من شهر رمضان المبارك الذي أقبل علينا بأنفاسه العطرة ونسماته الزاكية يبشرنا بالقبول من الله- عز وجل- ويستحثنا على الإسراع إلى الله لنيل ثوابه ورحمته، وأريد أن أتوقف مع حضراتكم في بعض النقاط في استقبال الضيف الكريم شهر رمضان الذي افترض الله تعالى علينا صيام نهاره وسن لنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قيام ليله.

عناصر الخطبة:

أولا/ الفرح بمواسم الطاعة.

ثانيا/ تزكية النفس في رمضان.

ثالثا/ ما هو الصيام الحقيقي؟

رابعا/ التربية على الإرادة القوية.

أولا/ الفرح بمواسم الطاعة

من حقنا جميعا أن نفرح ونستبشر بأن بلغنا الله تعالى مواسم الطاعات هذا الشهر الكريم جعله الله تعالى موسما للطاعة فنتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ، ونستعد لأن نكون ممن ينالون رحمة الله تعالى وعفوه ولطفه في هذا الشهر الكريم والنبي- صلى الله عليه وسلم- كان يبشر أصحابه بقدوم رمضان فيقول: **(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين) وفي رواية أخرى (فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت النار فلم يفتح منها باب ، وصفدت الشياطين، ومردة الجن ، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة)**، إذن جاء الوقت الذي نستعد فيه لمرضاة الله- سبحانه وتعالى- بالعمل الصالح في هذا الشهر الكريم مضى علينا أحد عشر شهرا منذ العام الماضي، كلنا فينا تقصير كلنا فينا ما فينا من المعاصي، فجاء هذا الشهر ليجعله الله تعالى ميدانا للسباق، والتنافس على الخير، والتطهر من الذنوب والمعاصي، والقربى من الله جل وعلا.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب)** إشارة إلى كثرة أعمال الخير الموجبة للجنة والفوز بمرضاة الله عز وجل، فنحن حينما نفتح أبواب المسجد يوم الجمعة نفتحها جميعا عن آخرها لكثرة الداخلين ، ولا نقول : فتحنا أبواب المسجد؛ إنما نقول فتّحنا بالمبالغة لكثرة المصلين، وإذا كان العباد يدخلون إلى الجنة بكثرة في هذا الشهر فإن أبواب النار تغلق فلا يفتح منها باب إشارة إلى عتقاء الله- عز وجل- في هذا الشهر.

والرسول- صلى الله عليه وسلم- قال: **(ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة)** وهناك حديث بعض الإخوة يرددونه **(رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار)** وهذا حديث لا يصح إنما الصحيح: **(أن لله عتقاء من النار كل ليلة)** كل ليلة هناك من يستوجب الجنة، ويعتق من النار بفضل الله- عز وجل-

وقد يحتج بعضهم على الله بأن الشيطان وسوس له وأغراه وأغواه، فالله تعالى يمنع الشياطين من الوسوسة في هذا الشهر فيحال بينهم وبين الوسوسة لبني آدم حتى لا يحتج محتج على الله أنه لولا الشيطان لفعل وفعل، الآن حيل بيننا وبين الشياطين وآتانا الله تعالى هذه الهدية المباركة ماذا بقي لننهض؟ وتعلو همتنا في طاعة الله؟ تزكية النفس.

ثانيا/ تزكية النفس في رمضان:

وقد هيأ الله تعالى لنا في هذا الشهر الكريم تزكية للنفس بصورة عجيبة فعندنا في النهار التخلية وفي الليل التحلية كما يقول علماء السلوك.

ما معنى التخلية والتحلية؟

حينما يكون عندك إناء ملآن بالماء حتى تضيف إليه شيئا لا بد من إفراغه، فإذا أفرغت منه النصف أو الثلث مثلا فإنك تستطيع أن تملأ هذا الفراغ فلا بد من التخلية حتى تصل إلى التحلية، فأنا عندي الاهتمام بأمور الدنيا الطعام والشراب...، فيأتي الصيام بالنهار بمثابة التخلية تفريغ النفس من انشغالها بشهواتها وطعامها وشرابها ، فإذا حصلت التخلية فإننا نتلقى هدايات الله في المساء في موعد مع مائدة القرآن الكريم، ثم نأتي إلى صلاة العشاء وصلاة التراويح ونسمع آيات الله تتلى فتزكو أنفسنا ويجعل الله تعالى فيها هداية ورحمة للسامعين- سبحان الله-

ولذلك هذه المسألة تجعلنا نتساءل:

لماذا لا يكون استماعنا للقرآن ونحن جلوس؟

مثلا يقرأ القارئ ونحن نستمع إليه لماذا تكون الصلاة بهذه الهيئة؟

أحد عشرة ركعة نقرأ ما تيسر من القرآن جزء أو حزب ثم بعد ذلك نمضي إلى حال سبيلنا؟

والجواب: إن الله تعالى يريد منا القيام للاستماع لآيات القرآن مع إجلال له وخشوع بين يديه -سبحانه وتعالى-، ويؤثر ذلك في قلوبنا بالتدبر ويثمر العمل، وملائكة الله تحيط بنا في كل مكان تدعو، وتستغفر لجميع الحاضرين وهذا كله من فضل الله علينا.

إذن فسماعنا لكلام الله عز وجل لتطهير أنفسنا ، وتزكيتها بعد الغفلة الطويلة قبل رمضان، فهي تخلية من الطعام وتحلية بالقيام.

ثالثا/ ما هو الصيام الحقيقي؟

قال العلماء إن أسهل صيام هو الصيام عن الطعام والشراب لأنه امتناع عن الفعل، لكن الصيام الحقيقي أو الأعلى أجرا هو الصيام عن المحرمات.

ما العلاقة بين الأمرين؟ بين الامتناع عن الطعام والشراب والصيام عن المحرمات؟

العلماء قالوا: إن الإنسان لما يمتنع عن الشيء الذي لا يستغني عنه وهو الطعام والشراب، لأن حياة الإنسان تقوم به فهذا أصعب من الشيء الذي يستغنى عنه.

مثلا: شخص نمنعه من شرب السجائر أم من شرب الماء أيهما أصعب؟

الامتناع عن شرب الماء أصعب ، لأن الماء لا يستغنى عنه بحال، السجائر ليست ضرورة من الضروريات.

فهنا لما نقول لك : امتنع عن الحرام الفلاني: واحد اثنان ثلاثة... هذه أسهل أم أن نقول لك لا ليس عندك وجبة إفطار ولا غداء، وليس عندك ماء، وليس عندك أي طعام طوال اليوم هذا أصعب!!

ولذلك بين النبي- صلى الله عليه وسلم- حقيقة الصيام بهذا المعنى فقال: **(رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر)** يعني المقصود هنا ألا تمتنع فقط عن الطعام والشراب ، وعندك ما عندك من الصفات السيئة، والرذائل، والقبائح ، إنما كما امتنعت عن الصعب الذي لا تستطيع الامتناع عنه كإنسان، وهو الطعام والشراب

فامتنع عن الشيء الذي لا يضرك إذا امتنعت عنه، أو إذا تركته كالكذب والغيبة والنميمة والنظرة المحرمة وسائر المعاصي التي ربما تلبس بها الإنسان.

رابعا/ التربية على الإرادة القوية

والإنسان فينا طوال الشهر يربي نفسه على الإرادة القوية هذا الذي نقصده في موضوع تزكية النفس الإرادة القوية أن يكون عندك إرادة أن تقول للشيء أو للعادة التي اعتدتها لا.

الآن نمت وضبطت المنبه على الساعة الثالثة والنصف حتى تستيقظ قبل الفجر لتناول السحور فأصابتك غفلة لم تسمع صوت المنبه استيقظت بعد الفجر ماذا تفعل؟

أنت عطشان عطشا شديدا، وربما لم تتناول شيئا من بعد الافطار والمدة طويلة، وعندك يوم عمل طويل مرهق ماذا تفعل؟

إرادتك هنا تتدخل بألا تمتد يدك لا إلى طعام ولا إلى شراب ، رغم حاجتك ، رغم عطشك عندك إرادة تملك نفسك ، فلا تمتد يدك لا إلى طعام ولا إلى شراب !!!

أيضا عند أذان المغرب قبل المغرب بدقائق أمامك الطعام بمختلف أصنافه وأنواعه الروائح المثلجات كما يفعل الناس عند الإفطار ... فكل هذا موجود أمامك وتملك أن تمتد يدك وتأكل لكن لا تفعلها ما الذي يمنعك ؟

انتظر أذان المغرب!! بينك وبين المغرب دقيقتان يعني لا بأس إن شربت قليلا أو أكلت ...كلا حتى يؤذن للمغرب.

هذه هي الإرادة أن تمنع نفسك مع شدة احتياجك إلى شربة الماء أو إلى لقمة الطعام أن تقول لا بمعنى لا ، بلا تراجع.

فإذا كان هذا هو الصعب فما بالنا بما هو أسهل حينما تعرض لك المعصية تستطيع بإرادة قوية أن تقول لا لن أفعل هذه.

هذا الكلام نقوله لأن البعض منا يقول: والله أنا حاولت أترك المعصية الفلانية، ولم أستطع، أنا حاولت أن أقلع عن التدخين ، ولم أستطع، حاولت أن اترك الكذب أو أبطل الغيبة لم أستطع نقول لك لقد استطعت فعل ما هو أصعب ، وهو أن تمتنع عن الطعام والشراب الذيْن بهما حياة كل كائن حي، ورغم شدة احتياجك للطعام والشراب لا تمتد يدك لا إلى هذا ولا ذاك، بل

ربما أنت وحدك بل ربما في هذا البلد تدخل أي مطعم في أي وقت ولا يلومك أحد لماذا تأكل في نهار رمضان مثلا.

لكن ما الذي يمنعك؟

مراقبتي لله خوفي من الله- عز وجل- أنا لا أريد أن أغضب الله لأن الله يراني.

إذن هذا تحقيق لمعنى تزكية النفس بأن تكون عندك إرادة لتقول للمعصية أو للحرام أو للعادة السيئة: لا، أن تمسك نفسك رغم اشتياقها لهذا الفعل- سبحان الله-! فلا تفعل هذا.

لسانك تحبسه فلا ينطق بكذب أو غيبة أو نميمة لأنك تملك إرادة.

اسألوا أي انسان ناجح في هذه الدنيا في أي مجال سبب نجاحه الأول أنه كان عنده إرادة أن يفعل عنده عزم عنده قوة عنده همة....

لو سألت من حصل على شهادة عليا في كذا أو عنده خبرات في كذا احكي لنا ما هي طريقة نجاحك؟

أول سبب أنه كان عنده عزم وإرادة وليس أماني.

نفسي أبطل تدخين، نفسي ألا يكون عندي العادة الفلانية، لا بد من إرادة وعزم- سبحان الله-! قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴿١٥٩﴾ ﴾ **[آل عمران: 159]**

اسألوا أي فاشل ما سبب فشلك؟

لسان حاله يقول: إنه كان بلا إرادة، كان عنده أماني : نفسي أن أكون غنيا إنسانا جيدا وأرضي ربنا ونفسي في كذا وكذا... كلها أماني أين إرادتك لصناعة هذه الأماني؟

لا شيء، ولذلك قالوا: إن الأماني هي رأس مال الحمقى!!!

يعني ضعيف الهمة كثير الأحلام قليل العمل.

هناك بعض الناس إذا تكلم تقول هذا عالم علامة ، وهو أكسل من الكسل كما يقولون.

فالصيام يربينا على معنى الإرادة القوية والهمة العالية، لأن الفعل إرادة، والخير إرادة ، وترك الشر إرادة، فإذا ملكت نفسك، وملكت إرادتك استطعت

أن تغير نفسك، وأن تغير عاداتك، وأن تغير بعض الأشياء القبيحة التي لا تحبها في حياتك، والتي تغضب بها الله- سبحانه وتعالى-

يقولون إن من أكبر أسباب وقوع الناس في المعصية استشعارهم لذة المعصية وأن فيها منفعة.

والمعصية فيها إرضاء لحاجات النفس أو إشباع لحاجات النفس، ومع تزيين الشيطان يجعل الإنسان يرغب أكثر وأكثر فيها.

لكن ماذا سيحدث؟

الذي سيحدث أنه بعد أن زينت له المعصية ووقع فيها لم يشبع لم يرض فرغب في معصية أخرى وثالثة ورابعة.... لا إله إلا الله.

أنت جربت المعاصي وعرفت أن المعاصي بهذا الشكل ليس فيها منفعة إنما هو تزيين الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

هنا تربية النفس على ضبط الأمر وضبط الشهوات بلجام، كما شبهها الشاعر شوقي بالطفل قال:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

الطفل الصغير إذا تركته أمه يرضع هكذا دون فطام سيظل يرضع لأنه لم يوقفه أحد، لكن الأم برغم رحمتها ، وقلبها الكبير وحبها لابنها عند سن معين تمنع الرضاعة وتفطم ابنها رغم بكائه رغم صراخه رغم ألمها، إلا أنها تحتمل حتى يفطم الطفل، ويعيش الحياة الطبيعية، بفطامه عن أمه، وتطيب له الحياة بمختلف أطعمتها وأشربتها بدلا من أن يكون له طعام واحد فقط يعتقد أن فيه السعادة كلها.

وهذا هو الإنسان يعتقد أن هذه المعصية فقط هي التي فيها حياته ، هي التي فيها سعادته، لو منعت عنه ستنهدم الدنيا، لن أستطيع أن أعيش دون أن أفعل المعصية الفلانية، لن أستطيع أن أسعد أو يكون عندي قبول أو مزاج معتدل إلا إذا فعلت هذه أنا معذور، أنا مضطر، ويلتمس لنفسه الأعذار.

نقول له: كل هذه تسمى تبريرات نفسية كاذبة، قصة لن أستطيع، وفشلت نقول لك: كل هذه التبريرات نفسية وهمية، اسألوا أي طبيب نفسي يخبركم أن القناعات عند أي شخص هي التي توجه السلوك، أنا استطعت الآن أن أقول للطعام والشراب رغم العطش والحر أو مع الجوع استطعت أن أوقف هذه اللذة وأقول لا مدة خمس عشرة ساعة تقريبا مثل هذه المدة الطويلة رغم

علمك أن جفاف حلقك علاجه الماء وجوع بطنك علاجه الطعام ، لكن لا تفعلها.

فنفس الحال الأسهل عليك أن تعتقد أن حياتك دون المعاصي ستكون أطيب وأحسن وأفضل، وأن اللذة التي تعتقدها هي لذة واهية، وقد أباح الله تعالى لنا من الطيبات الكثير مما لا يعد ولا يحصى، لكن شخص يترك كل الطيبات ويتعلق قلبه بشيء خبيث حرمه الله- سبحانه وتعالى-

وهذا كما قلنا كالطفل الصغير يعتقد أن رزقه ولذة طعامه في هذا الحليب من أمه فقط، ولا يدري أن الله طيب له في هذا الكون من الأطعمة اللحوم والخضروات والفاكهة وإلى آخره، مما لذ وطاب – سبحان الله-

فلقصر نظره وعدم وعيه الكامل يعتقد أن فطامه شيء صعب، وشيء عسير لكنه يتجاوز المرحلة ويسعد في حياته.

فكذلك أيها المسلم الله تعالى حرم علينا بعض الأشياء وتحريمه حتى يختبرنا، هذا هو الاختبار هي موجودة وتقدر عليها لكنك تمنع نفسك عنها.

إذن فأنا أزكي نفسي في رمضان بهذا الشكل تربية الإرادة، إرادة القدرة على الفعل والانضباط في المواعيد، إمساك إفطار، إمساك إفطار، وهكذا دون تغيير طوال الشهر الكريم ثلاثين يوما نتربى على هذه المعاني، فنخرج من رمضان عندنا إرادة قوية، عندنا استعداد للتغيير، عندنا والحمد لله قدرة على ترك الصفات السيئة وتزكية لأنفسنا بالتحلي بالصفات الطيبة.

هذا هو الهدف الأسمى من الصيام وليس الهدف كما يظن البعض توفير الطعام والشراب ، فنحن نأكل بأثر رجعي عند أذان المغرب.

والصيام ليست تعذيبا للنفس ، كما يظن البعض أو كما يراه بعض غير المسلمين، إنما هي تربية على الإرادة والهمة والقوة، وأيضا فيها تغيير من عادات السلوك النمطية أضف إلى هذا تجديد خلايا الجسم وتطهيره من السموم ، وفيها علاج لبعض الأمراض، كما ذكر الأطباء.

نسأل الله- سبحانه وتعالى- أن يوفقنا للعمل الصالح

في هذا الشهر الكريم وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضى

****

الخطبة الثالثة عشر

الصيام والدعاء

(فإني قريب)

عناصر الخطبة:

أولا/ آية الدعاء ضمن آيات الصيام

ثانيا/ ثلاث لطائف في تفسير الآية:

ثالثا/ لماذا ندعو ولا يستجاب لنا ؟

رابعا/ دعاء الصائم عند فطره.

الخطبة الثالثة عشر

الصيام والدعاء

(فإني قريب)

عناصر الخطبة:

أولا/ آية الدعاء ضمن آيات الصيام

ثانيا/ ثلاث لطائف في تفسير الآية:

ثالثا/ لماذا ندعو ولا يستجاب لنا ؟

رابعا/ دعاء الصائم عند فطره.

أولا/ آية الدعاء ضمن آيات الصيام

إن المتأمل في آيات الصيام في سورة البقرة يلاحظ أن الله تعالى قرن بين الصوم والدعاء حتى تداخلت آية الدعاء بآيات الصوم ؛ حتى يتجلى أمام القارئ لكتاب الله أن آية الدعاء استكمال لسير الآيات لقول الله تعالى : **"يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتبَ عليكم الصيامُ كما كُتبَ على الذينَ من قبلكم لعلكم تتقونَ.." ثم بعدها قال الله تعالى : "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.. "، ثم قال الله تعالى : "وإذا سألكَ عبادِي عني فإنّي قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يَرشُدونَ** "ثم جاءت الآيات تذكر الصوم مرة أخرى حيث قال الله تعالى : **"أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث.."**

والمتأمل لهذه الآيات الكريمة يجد الصلة وثيقة بينها وبين الدعاء، فالصلة وثيقة إذن بين الصيام والدعاء؛ حيث يقف السياق قبل أن يمضي في بيان أحكام تفصيلية خاصة بالصيام؛ ليحدثنا عن الدعاء تأكيدًا لهذه الصلة الوثيقة.

سبب نزول الآية:

ولهذه الآية سبب نزول وهو :**أن أعرابيًا قال: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا**

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴿١٨٦﴾ [البقرة: 186] [5]

ثانيا/ ثلاث لطائف في تفسير الآية:

الأولى: فإني قريب:

نلاحظ في هذه الآية أن كل سؤال في القرآن يأتي التعقيب عليه بالجواب (قل)، أو (فقل)، كقوله تعالى :﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴿٢١٩﴾ [البقرة: 219]

وقال جل وعلا: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: 220]

وقال جل وعلا : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴿١٠٥﴾ [طه: 105]

أما في هذه الآية فلم يقل جلَّ شأنه قل، أو فقل، بل قال :**(فَإِنِّي قَرِيْبٌ)**، ولم يقل: قل: يا محمد إني قريب، لماذا؟

حتى لا تكون هناك واسطة بين العبد وبين الله جل وعلا، ولو كانت هذه الواسطة هي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا واسطة بين العبد وبين الله!!

أيها المؤمن بربك القريب المجيب ادع الله جل وعلا في أي وقت شئت، ارفع أكف الضراعة إلى الله، سل الله الواحد القهار، في أي وقت شئت، وفي أي مكان شئت، سترى الله جل وعلا سميعاً بصيراً مجيب الدعاء : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴿١٨٦﴾** [البقرة: 186]

لا سؤال إلا إليه، ولا رجاء إلا فيه، ولا توكل إلا عليه، ولا استعانة إلا به، ولا استغاثة إلا به، **(إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).**

---

[5] ضعفه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان

وهذا رد صريح على من جعل بينه وبين اللَّه تعالى واسطة من البشر في دعائه!!! لم يرض الله أن يفصل في الجواب ولو بكلمة **(قل)**

وقوله تعالى : **(فَإِنِّي قَرِيبٌ)** يدل على قرب اللَّه تعالى من الداعي، قرباً خاصاً يدل على العناية التامة بالإجابة، والمعونة.

ويؤكد هذا المعنى **حديث أبي موسى الأشعري، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غَزَاة فجعلنا لا نصعد شَرَفًا، ولا نعلو شَرَفًا، ولا نهبط واديًا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير. قال: فدنا منا فقال: "يا أيها الناس، أرْبعُوا على أنفسكم؛ فإنَّكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا، إن الذي تدعون أقربُ إلى أحدكم من عُنُق راحلته ؛ يا عبد الله بن قيس، ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله".**

الثانية: (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

ونلاحظ أيضا في الآية : أن اسم الفاعل في اللغة العربية يطلق على من تلبس بالفعل فلا يقال صائم إلا إذا صام ولا قائم إلا إذا قام ، فكذلك لا يسمى (داع) إلا إذا دعا فلماذا قال: **(أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** ما الحكمة من ذلك ؟

الحكمة هي بيان أن الإجابة من الله تكون فورية فبمجرد أن يدعو الداعي يجيب الله **(أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** ولذلك كان عمر يقول: أنا لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء.

فليهنأ الصائم بدعائه المستجاب.

الثالثة: (أجيب) ولم يقل أسمع:

وفي الآيات الكريمة لفتة إلهية كريمة " فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان " عجّل سبحانه بالإجابة ولم يقل أسمع الدعاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : أخبر سبحانه أنَّه قريبٌ مِن عباده يجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعاه ، فهذا إخبارٌ عن ربوبيته لهم وإعطائه سُؤلهم وإجابةِ دعائهم ؛ فإنهم إذا دعَوْه فقد آمنوا بربوبيته لهم ، ثم أمَرهم بأمرين فقال : { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة / 186.

فالأول : أنْ يطيعوه فيما أمرهم به من العبادة والاستعانة.

والثاني : الإيمان بربوبيته وألوهيته وأنَّه ربهم وإلههم.

ولهذا قيل: إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة لأنَّه عقب آية الدعاء بقوله : **" فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي. "** [6]

ثالثا/ لماذا ندعو ولا يستجاب لنا ؟

هذا السؤال يتكرر دائما منا، وللإجابة أقول: على المسلم أن يعتقد ما يلي:

1- اليقين بأن الله يسمع ويرى:

ينبغي على المسلم أن يكون عنده يقين أنه إذا دعا الله فإن الله يسمع كلامه ويرى مكانه ولا يخفى عليه شيء من أمره ، ولنتأمل معا دعاء يونس -عليه السلام- إلى الله لقد كان في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.... فمن يسمعه ؟ ومن ينقذه ؟ ومن ينجيه ؟

لقد سمعه الله من فوق سبع سموات فسبحان من لا تخفى عليه خافية ، أيقن يونس أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه فنادى في الظلمات:

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

يقول الله تعالى :﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87-88]

يقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوةُ ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لَم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلاَّ استجاب الله له "صحيح الجامع

ويقول " ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به يفرج عنه دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" صحيح الجامع

فالله هو السميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرَّها وعلنها ،لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات القريب منها والبعيد، والسرّ والعلانية عنده سواء،

---

[6] مجموع الفتاوى " (14 / 33)

قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: 10]

وقال جل شأنه:﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴿١﴾﴾ [المجادلة: 1]

قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله وأنا في جانب الحجرة، وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها، وأسمع بعضه فسمعها الله من فوق سبع سماوات فقال : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا....).

وتأملوا معي هذا الحديث الذي يسكب الود والأمن والطمأنينة في قلوب المؤمنين سكباً، يقول النبي صلى الله عليه وسلم **(إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين)**

الله يستحي منك وأنت لا تستحي من الله؟! لا إله إلا الله! فارفع أكف الضراعة إلى الله جل وعلا، وقل لربك وخالقك ورازقك:

بك أستجير ومن يجير سواكا فأجر ضعيفاً يحتمي بحماك

إني ضعيف أستعين على قوى ذنبي ومعصيتي ببعض قواك

أذنبت يا ربي وآذنتني ذنوب ما لها من غافر إلاك

دنياي غرتني وعفوك غرني ما حيلتي في هذه أو ذاقا

رباه قلب تائب ناجاك حاشاك ترفض تائباً حاشاك

فليرض عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

عليك باللجوء إلى الله جل وعلا، واعلم بأن الله سميع قريب يجيب الدعاء، يسمع دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء

2- اليقين أن الله ليس ببخيل ولا فقير:

كما قال سفيان الثوري فهو سبحانه الذي لا تنفد خزائنه ولا تنتهي عطاياه ، وهو ملك الملوك وأكرم الأكرمين ، كما في الحديث القدسي **(يا عبادي ، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ، لو أن**

أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)

لكنه سبحانه إذا أعطى يعطي بحكمة وإذا منع منع لحكمة

عن أبي سعيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجّل له دعوته، وإما أن يَدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها" قالوا: إذًا نكثر. قال: "الله أكثر "

وقد يتصوَّر البعض أن الله تعالى يحبه؛ لأنه يستجيب لدعائه ويُعطيه كل ما سأل .. ولا يعلم أن الله تعالى يُعطي من يُحب ومن لا يحب، فقد استجاب لدعاء إبليس عندما سأله ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٣٧ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝٣٨**﴾ **[الحجر: 36-38]**

فاستجابة الدعـــاء ليست شرطًا للمحبة كما يقول ابن القيم "وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه وشقوته ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه. ويكون منعه منها، لكرامته عليه ومحبته له فيمنعه حماية وصيانةً وحفظًا لا بخلاً، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته ويعامله بلطفه فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضي حوائج غيره فيسيء ظنه بربّه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به والمعصوم من عصمه الله" [7]

وعندما يمنع عنك مسألتك، فاعلم أن ذلك لُطفًا منه سبحانه وتعالى ، واللطف نوعان: ظاهر وباطن

اللطف الظاهر :الذي تكون حكمته ظاهرةً لك .. كأن تتوقف عن عبور الطريق في لحظة، وفي النفس اللحظة يحدث حادث في المكان الذي من

---

[7] مدارج السالكين (1:79)

المُفترض أن تكون واقفًا فيه .. فهذا لطفٌ ظاهري، قد اتضحت لك فيه حكمة الله عزَّ وجلَّ وحفظه لك.

أما اللطف الباطن فهو : الذي لا تعرف كنهه ولا تتوصل إلى الحكمة منه ؛ كأن يبتلي الله العبد بمرضٍ ما، فيكون هذا المرض سببًا في تقربه أكثر من ربِّه وزيادة إيمانه فصار البلاء في حقه نعمة، مع أن بعض الناس قد لا يدري الحكمة من الابتلاء فيسخط.

فيــا عبد الله، إذا رأيت سربال النعمة يتقلَّص عنك، فحسِّن ظنَّك في المُنعم، فإنما رفعه عنك لكيلا تتعثر.

وإن أردت أن تعرف هل الله تعالى يحبك أم يكرهك؟ فعليك أن تنظر إلى أمرين:

أولاً: الأمور التي يحبها الله تعالى فيك :**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" رواه مسلم**

فانظر إلى أعمالك وما بداخل قلبك .. هل يرضى الله تعالى عنها؟!

ثانيًا: الأمور التي يكرهها الله تعالى فيك.

ومن الأمور التي يكرهها الله عزَّ وجلَّ:

1- أن تتكاسل عن عمل ما يحبه الله، بينما تسارع لعمل ما تحبه أنت.. فإذا نادى المؤذن "حي على الصلاة"، تكاسلت وتباطأت في الذهاب إلى المسجد .. إنما إذا قيل لك أن الفريق الفلاني سيلعب مباراة كذا أو المكان الفلاني فيه تخفيض في الأسعار، لذهبت مسرعًا!والله تعالى يكره أن يرى ما تحبهُ أنت مقدمٌ على ما يحبه الله سبحانه وتعالى.

2- أن تحب ما يكرهه، أو تكره ما يحبه .. وهذه أخطر من الأولى، وعليك أن تُكمل بقية القائمة بالأمور التي تعلم أن الله يكرهها فيك.

3- عدم التعجل في الإجابة :

ورد في الحديث (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل) رواه البخاري وفي رواية مسلم : (قيل: وما الاستعجال يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) فليس من الأدب مع الله أن تتعجل بالإجابة، بل من آداب الدعاء ألا

تتعجل، فعلى الصائم حين يدرك أنه قريب من الله أن يكثر من الدعاء؛ يتوجه إلى ربه الكريم سائلاً، راجيًا، طامعًا في إجابة كريمة وعده الله تعالى بها، فقط عليه ألا يعجل.

فالاستعجال في طلب الإجابة يحرم العبد خير الدعاء حين يتسرب اليأس إلى نفسه فيدع الدعاء، وهذا لا شك من مكائد إبليس، فالمؤمن لا يقنط من رحمة الله أبدًا؛ تمتلئ نفسه يقينًا أن الله يكرمه بالخير لا محالة، لكن زمان الخير ومكانه لا يعلمه ولا يقدره إلا الله وحده.

فقط علينا أن ننعم بالقرب من الله فندعو بقلب حاضر خاشع مقبل على الله، ونقرن دعاءنا بالعمل الصالح ، والبعد عن المعاصي، ونتحرى أوقات الإجابة المعروفة، وإن كان الله تعالى قد قرن بين الصوم والدعاء لحكمة رائعة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرن بين الصوم والدعاء لنفس الغاية وبشكل لافت للنظر ومثير للتأمل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم .. "

رابعا/ دعاء الصائم عند فطره

ما هو الدعاء الذي ندعو به عندما نفطر ونحن صائمون ؟

قال عمر : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال : " ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله " . رواه أبو داود والدارقطني

وقال ابن حجر" قال الدارقطني : إسناده حسن. "

ويقول أيضا :اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي . رواه ابن ماجه من دعاء عبد الله بن عمرو بن العاص، وحسنه ابن حجر في تخريج الأذكار.

وأما دعاء: " اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت " فقد رواه أبو داود وهو حديث مرسل ، فهو ضعيف ، وقال عنه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه للأذكار للنووي :ولكنه له شواهد يقوى بها.

****

الخطبة الرابعة عشر

ما هي

الحكمة من الصيام؟

عناصر الخطبة:

أولا/ كل أوامر الله لا تخلو من حكمة.

ثانيا/ الحكمة من الصيام.

الخطبة الرابعة عشر

ما هي الحكمة من الصيام؟

عناصر الخطبة:

أولا/ كل أوامر الله لا تخلو من حكمة.

ثانيا/ الحكمة من الصيام.

أولا/ كل أوامر الله لا تخلو من حكمة

يتساءل البعض عن حكمة الصوم؟ [8]

أولا / ينبغي أن نعلم أن الله لم يُشَرِّع شيئًا إلا لحكمة، عَلِمَها مَن عَلِمَها، وجهلها من جهلها، وكما أن أفعال الله تعالى لا تخلو من حكمة فيما خلق، فإن أحكامه سبحانه لا تخلو من حكمة فيما شرع، فهو حكيم في خلقه، حكيم في أمره، لا يخلق شيئًا باطلاً، ولا يشرع شيئًا عبثًا.

ثانيا / إن الله تعالى غني عن العالمين، وعباده جميعًا هم الفقراء إليه، فهو سبحانه لا تنفعه طاعة، كما لا تضره معصية كما في الحديث القدسي:**(يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً)**

فالله تعالى لم يخلقنا لحاجته لنا، كلا فهو غني عنا وعن أعمالنا، فلو كان البشر جميعاً في التقى والصلاح كمحمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه لم يزد هذا في ملك الله شيئاً، ولو كانوا كلهم كإبليس في الشر والفجور ما ضر ذلك الله شيئاً ولا انتقص من ملك الله شيئاً.

وينبغي أن نلاحظ أن الصوم مرتبط بالتوقيت القمري، وهذا يجعله متجدداً في جوه ووقته فلا يكون دوماً في فصل واحد من فصول العام، ولكن يدور في

---

[8] الخطبة مقتبسة من كتاب فقه الصيام للدكتور يوسف القرضاوي رحمه الله مع تصرف واختصار

جميع الفصول على مدى33 سنة هجرية تقريبا، وهذا يتيح التنوع في العبادة، فلا يرتبط أداؤها بجو واحد لا يتغير أبداً، أو ظروف واحدة لا تتبدل، بل يتنوع جو الشهر من عام لآخر، حتى ينتقل شهر رمضان من صيف إلى شتاء ..... كما يتنوع النهار في شهر رمضان طولاً وقصراً بهذا التنقل بين الفصول الأربعة، وحينئذ يتعود الإنسان الصيام بجميع الأوجه.

وقد بيَّن الله تعالى أن الصوم لأيام معدودات، فهو ثلاثون يومًا سرعان ما تنقضي، شهر واحد من اثني عشر شهرًا في العام قد يكون مرهقاً في أيامه الأولى فقط، وبعد انقضاء 3- 5 أيامٍ يصبح معتاداً للنفس، ثم يعود المرء إلى سيرته الأولى ليحقق الصوم حكمته في النفوس، ويكون تدريبًا لبقية العام.

وها نحن نرى ملايين المسلمين يصومون رمضان كل عام، منذ فرض الله صيام رمضان من السنة الثانية للهجرة وإلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة مليارات من البشر صاموا لله ويصومون الآن في يسر وسهولة، بعضهم يصوم مع الحر الشديد أكثر من 16 ساعةً يوميًّا دون إرهاقٍ أو تعب، بل يتلذذون بطاعة الله تعالى، وها نحن نرى صبيانًا وصبايا في عمر العاشرة بل أقل يتعودون على الصوم من صغرهم حتى يصبح الصوم لهم سهلاً ميسوراً.

ثانيا/ الحكمة من الصيام.

وأما عن الحكمة من الصيام فللصيام حِكَم كثيرة منها:

1- التسليم لأمر الله تعالى:
وهذا من مقتضيات العبودية لله تعالى؛ فإن مبنى العبودية على التسليم والانقياد، وتنفيذ أمر الله من غير اعتراض، لأن مقتضى العبادة لله وحده أن يخضع العبد أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه، من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وأن يكيف حياته وسلوكه وفقا لهداية الله وشرعه، فإذا أمره الله تعالى أو نهاه، أو أحل له أو حرم عليه كان موقفه في ذلك كله: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.

ففرق ما بين المؤمن وغيره؛ أن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لربه، وخرج من طاعة هواه إلى طاعة الله ، أن يقول الرب: أمرت ونهيت، ويقول العبد: سمعت وأطعت.

وللمسلم أن يسأل عن الحكمة من العبادة، فإن الحكمة في اصطلاح الأصوليين هي المصلحة التي قصد الشارع من تشريع الحكم تحقيقها . ويجب أن نعلم أن التعبد بالأفعال من غير إدراك الحكمة منها، مقصود للشارع، فإن فيه زيادة الإيمان والتسليم، وقبول ما يعجز العقل عن إدراكه، لأنه جاء من عند الله.

والعبد كما أنه محتاج إلى إدراك أسرار التشريع ليزداد يقيناً بحكمة الشارع، وعظمة هذا الدين، فإنه محتاج إلى التسليم بما يعجز عن إدراكه ليختبر صدق إيمانه، وصحة استسلامه لله، باعتباره عبداً ضعيفاً عاجزاً عن إدراك الكل.

2- أن الصيام فيه إعلاء للجانب الروحي على الجانب المادي في الإنسان:
فالإنسان ذو طبيعة مزدوجة، فيه عنصر الطين، وعنصر الروح الإلهي الذي نفخه الله فيه، عنصر يشده إلى أسفل، وآخر يجذبه إلى أعلى، فإذا تَغلَّب عنصر الطين هبط إلى حضيض الأنعام، أو كان أضل سبيلا، وإذا تغلب عنصر الروح ارتقى إلى أفق الملائكة، وفي الصوم انتصار للروح على المادة، وللعقل على الشهوة.

ولذا قيل للإمام أحمد : " أيخشع القلب والبدن شبعان ؟ قال : ما أظن ذلك. فالصائم وقد حبس نفسه عن الطعام والشراب ترفعت نفسه وصفت روحه وشعر بالرقة ، وتنعم بالأنس.

ولعل هذا سر الفرحة اليومية التي يجدها كل صائم كلما وفق إلى إتمام صوم يوم حتى يفطر، والتي عبر عنها الحديث النبوي: **"للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه" متفق عليه**

ففي الصيام تزكية للنفس بطاعة الله فيما أمر، والانتهاء عما نهى، وتدريبها على كمال العبودية لله تعالى، ولو كان ذلك بحرمان النفس من شهواتها، والتحرر من مألوفاتها فتكون التخلية من الطعام نهارا والتحلية بالقيام ليلا وفي هذا جاء الحديث **" يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي " (متفق عليه من حديث أبي هريرة**

3- أن الصوم تربية للإرادة وجهاد للنفس، وتعويد على الصبر:

وهل الإنسان إلا إرادة؟ وهل الخير إلا إرادة؟ وهل الدين إلا صبر على الطاعة، أو صبر عن المعصية؟ والصيام يتمثل فيه الصبران.

وقد سَمَّى النبي صلى الله عليه وسلم شهر رمضان**(شهر الصبر)**، كما اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم **(الصيام جُنَّة)** أي درعًا واقية من الإثم في الدنيا، ومن النار في الآخرة.

ومن المتفق عليه أن الغريزة الجنسية من أخطر أسلحة الشيطان في إغواء الإنسان، حتى اعتبرتها بعض المدارس النفسية هي المحرك الأساسي لكل سلوك بشري ، وللصوم تأثيره في كسر هذه الشهوة، وإعلاء هذه الغريزة، وخصوصًا إذا داوم المؤمن عليه ابتغاء مثوبة الله تعالى.

ولهذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم للشباب الذي لا يجد نفقات الزواج، حتى يغنيه الله من فضله، فقال: **"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"** رواه البخاري عن ابن مسعود.

والباءة: كناية عن النكاح، والوجاء: الخصاء، والمراد: أنه يضعف الشهوة إلى النساء.

4- إشعار الصائم بنعمة الله تعالى عليه:

فإن إلْف النعم يفقد الإنسان الإحساس بقيمتها، ولا يعرف مقدار النعمة إلا عند فقدها، وبضدها تتميز الأشياء.

فإنما يحس المرء بنعمة الشِّبَع والرِّيّ إذا جاع أو عطش، فإذا شبع بعد جوع، أو ارتوى بعد عطش، قال من أعماقه: الحمد لله، ودفعه ذلك إلى شكر نعمة الله عليه، وهذا ما أشير إليه في حديث قال فيه صلى الله عليه وسلم: **"عَرَضَ عليّ ربي ليجعلَ لي بطحاءَ مكة ذهبًا، فقلت: لا يا رب، ولكني أشبع يومًا، وأجوع يومًا، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك!" رواه أحمد والترمذي وفيه ضعف**

5- الجوع الإجباري

وهناك حكمة اجتماعية للصيام أنه يفرض الجوع إجباريًا على كل الناس ، وإن كانوا قادرين واجدين وهذا يوجد نوعًا من المساواة الإلزامية في الحرمان، ويزرع في أنفس الموسرين والواجدين الإحساس بآلام الفقراء والمحرومين.

وكان عمر بن عبد العزيز لا يشبع وقت خلافته فيقال له : يا أمير المؤمنين: لما لا تشبع ؟ فيقول : حتى لا أنسى الجوعى.

وفي هذا التذكير العملي الذي يدوم شهرًا، ما يدعو إلى التراحم والمواساة والتعاطف بين الأفراد والطبقات بعضهم وبعض. وكان النبي صلى الله عليه وسلم فيه أجود بالخير من الريح المرسلة.

ومن أجل هذا كان من أفضل ما يثاب عليه المؤمن: تفطير الصائم، وفي الحديث: **"من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا" رواه أحمد**

6- الثمرة الغالية التقوي:

والمتقي عبداً أطاع ربه ومولاه ، وابتعد عن مساخطه وما لا يرضاه ، سعى في تحقيقها ، وجاهد في تحصيلها، بل إن التقوي بمنطوق الآية هي الثمرة الأساسية من الصيام **(لعلكم تتقون)**

وما اتقى الله من ترك لنفسه العنان ، ولم يلجمها بلجام التقوى ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : **" من لم يدع قول الزور والعمل به فليس له حاجة أن يدع طعامه وشرابه " رواه البخاري**

" ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر "

عندما تتأثر القلوب بالصيام ترى الألسنة قد كفت عن الحرام ، والأبصار قد غضت عن الحرمات والأيدي قد حفظت عن الآثام.

كما أن الصائم يتدرب على الإخلاص في رمضان ، ولذا قيل: أعظم الأعمال التي يظهر فيها الإخلاص الصيام.

لأن الصائم يخلو وحده لا يراه أحد ، ومع ذلك لا تجرؤ نفسه على الطعام والشراب لعلمه بنظر الله عليه ومراقبته لربه جل وعلا وهذه هي التقوى بأجلى صورها أن تقدر على الحرام وتتركه لعلمك أن الله يراك.

****

والحق أن صيام رمضان مدرسة متميزة، يفتحها الإسلام كل عام، للتربية العملية على أعظم القيم، وأرفع المعاني، فمن اغتنمها وتعرض لنفحات ربه فيها، فأحسن الصيام كما أمره الله، ثم أحسن القيام كما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد نجح في الامتحان، وخرج من هذا الموسم العظيم رابح التجارة، مبارك الصفقة، وأي ربح أعظم من نوال المغفرة والعتق من النار؟

الخطبة الخامسة عشر

الربانية في الصيام

عناصر الخطبة:

أولا/ ما هي الربانية؟

ثانيا/ كيف نحقق الربانية في الصيام؟

1-طاعة أمره جل وعلا"

2-أن نعبد الله كما شرع الله.

3-مراقبة الله.

4-الإخلاص باحتساب الأجر عند الله.

5-قبول الرخصة لأصحاب الأعذار بالإفطار.

الخطبة الخامسة عشر

الربانية في الصيام

حل بنا شهر رمضان المبارك ضيفا كريما عزيزا طال شوقنا إليه، قال جل وعلا: **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) [البقرة185]**

اليوم -إن شاء الله- تعالى سنتكلم على موضوع الربانية في الصيام.

عناصر الخطبة:

أولا/ ما هي الربانية؟

ثانيا/ كيف نحقق الربانية في الصيام؟

1-**طاعة أمره جل وعلا.**

2- الربانية أن نعبد الله كما شرع الله.

3- مراقبة الله.

4- الإخلاص باحتساب الأجر عند الله.

5- **قبول الرخصة لأصحاب الأعذار بالإفطار.**

أولا/ ما هي الربانية؟

الربانية وردت في قول الله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴿٧٩﴾** ﴾ **[آل عمران: 79]**، فكلمة رباني نسبة إلى الرب، كما ننسب شخص للمغرب فيقال مغربي ومصر مصري، فـ (رب) النسبة إليها ربي وزيدت الألف والنون من باب المبالغة في اللغة العربية.

فمعنى رباني يعني منسوبا إلى ربه جل وعلا ، والنسبة هنا معناها نسبة اختصاص وتشريف من الله- عز وجل-، فأنا رباني يعني منسوبا إلى ربي جل وعلا، يعني أنا مخلص لله، أعلم ما يريده مني مولاي واعمل به وأعلمه لغيري.

فالرباني من أخلص لله نسب إلى ربه نسبة اختصاص، فهو يعلم ما يريده الله منه، الحلال والحرام الأوامر والنواهي، فهو منسوب إلى الله، إذن هو يعمل بمنهج الله، ثم يعلّم ما علم، فهو عالم عامل معلم.

والآية الثانية ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾ **[المائدة: 44]**

إذن فالرباني هو من علم وعمل بما علم مخلصا لله- عز وجل- علم الناس ما يعلم، ويتضح هذا المعنى جليا في آخر سورة الأنعام ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣**﴾ **[الأنعام: 162-163]**

هذا وقد أشار النبي إلى معنى الربانية في قوله: **(من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إلى آخر الحديث)**

إيمانا : إيمانا معناها تصديقا لأمر الله أن الذي فرض عليك الصيام هو الله- عز وجل-

واحتسابا : يعني مخلصا لله لا يبتغي الأجر إلا من الله، يبتغي وجه الله بصيامه، فهو محتسب الأجر عند الله.

أي واحد فينا يقوم بعمل من الأعمال يأخذ الراتب من الشركة اللي يعمل فيها ، فأنا حينما أصوم من أين آخذ أجري؟

نقول لك أنت محتسب عند الله، تقول عند إفطارك عند أذان المغرب: **(اللهم لك صمت) لك وحدك (وعلي رزقك أفطرت)** أنت يا رب الذي رزقت، فهذا معنى الإيمان والاحتساب.

ثانيا/ كيف نحقق الربانية في الصيام؟

1- طاعة أمره جل وعلا (كتب عليكم الصيام):

وهذا من مقتضيات العبودية لله تعالى؛ فإن مبنى العبودية على التسليم والانقياد، وتنفيذ أمر الله من غير اعتراض، لأن مقتضى العبادة لله وحده أن يخضع العبد أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه، من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وأن يكيف حياته وسلوكه وفقا لهداية الله وشرعه، فإذا أمره الله تعالى أو نهاه، أو أحل له أو حرم عليه كان موقفه في ذلك ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴿٢٨٥﴾** ﴾ **[البقرة: 285]**

ففرق ما بين المؤمن وغيره؛ أن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لربه.

خرج من طاعة هواه إلى طاعة مولاه ، أن يقول الرب: أمرت ونهيت، ويقول العبد: سمعت وأطعت.

2- الربانية أن نعبد الله كما شرع الله:

عندنا الإمساك الساعة كذا، الإفطار الساعة كذا انضباط ، اعبد الله كما أمر الله، لا طعام لا شراب تجنب كذا، طيب ما الحكم لو حدث كذا؟ ما الحكم لو جرى كذا؟

لماذا الناس يدققون بكثرة الأسئلة في هذا الموضوع؟ لسببين:

الأول لأن الصيام ليس عبادة متكررة مثل الصلاة، فالناس ينسون.

الثاني: أن كل واحد منا يريد صيامه سليما وصحيحا، كما يريد الله- عز وجل-، ولذلك نرجع إلى علمائنا في الفتوى لنصوم كما أمر الله- عز وجل-

3- مراقبة الله:

والإنسان فينا طوال الشهر يربي نفسه على مراقبة الله فمهما حدث لا يفعل ما يخرق صيامه أبدا.

الآن نمت وضبطت المنبه لتناول السحور فأصابتك غفلة لم تسمع صوت المنبه استيقظت بعد الفجر ماذا تفعل؟

أنت عطشان عطشا شديدا، وربما لم تتناول شيئا من بعد الافطار والمدة طويلة، وعندك يوم عمل طويل مرهق ماذا تفعل؟

مراقبتك لله تجعلك لا تمتد يدك إلى طعام ولا إلى شراب ، رغم حاجتك ، رغم عطشك ، أيضا عند أذان المغرب قبل المغرب بدقائق أمامك الطعام بمختلف أصنافه وأنواعه الروائح المثلجات كما يفعل الناس عند الإفطار ... فكل هذا موجود أمامك وتملك أن تمتد يدك وتأكل لكن لا تفعلها ما الذي يمنعك؟

انتظر أذان المغرب بينك وبين المغرب دقيقتان يعني لا بأس إن شربت قليلا أو أكلت ...كلا حتى يؤذن للمغرب.

وهذا الكلام نقوله لأن البعض منا يقول: والله أنا حاولت أترك المعصية الفلانية، ولم أستطع، أنا حاولت أن أقلع عن التدخين ، ولم أستطع، حاولت أن اترك الكذب أو أبطل الغيبة لم أستطع نقول لك لقد استطعت فعل ما هو أصعب ، وهو أن تمتنع عن الطعام والشراب الذيْن بهما حياة كل كائن حي، ورغم شدة احتياجك للطعام والشراب لا تمتد يدك لا إلى هذا ولا ذاك.

لكن ما الذي يمنعك؟

مراقبتي لله وخوفي من الله- عز وجل- أنا لا أريد أن أغضب الله لأن الله يراني.

الله يراني، هذه هي الربانية، وتحقيق معنى التقوى، بمراقبة الله- عز وجل-، ثلاثين يوما أتدرب على هذا المعنى، الله مطلع على كل أعمالي يراها الله- عز وجل-، فالرباني هنا مراقب لله- سبحانه وتعالى.-

4- الإخلاص باحتساب الأجر عند الله:

والعلماء قالوا: إن الصيام من أفضل العبادات الدالة على الاخلاص أو المعينة على الاخلاص لماذا؟

لأن كل العبادات هي أعمال نقوم بها الصلاة عمل تتوضأ وتتوجه للقبلة وقيام وركوع وسجود، والزكاة عمل تنفق من مالك لله ، الحج تنفق من مالك وتطوف وتسعى إلى اخره.

أما الصيام فهو ليس بعمل ،الصيام امتناع عن الفعل : لا طعام لا شراب لا جماع للزوجة.... كله توقف من الفجر إلى المغرب من الذي يرى أنك ممتنع؟

من الذي يعلم أنك ممتنع؟

أنا ممكن أن أراك في الصلاة، أراك وأنت تنفق ، أراك وقد عزمت على الحج ، لكن أنتم أمامي الآن صائمون ما الدليل الحسي على ذلك؟

ليس هناك دليل ، ليس هناك فعل تقومون به ، ليس هناك عبادة بشكل مرئي أقول أنت صائم أو غير صائم ، إذن فالصيام امتناع عن الفعل وهذا أمر لا يعلم حقيقته إلا الله فصار إخلاصا بينك وبينه سر بينك وبينه ، وهذا مما يعلمنا أن تقوم بالعمل ، لا يهمك أن يراك الناس أو لا يرونك، ولا يهمك أن يعلم الناس عبادتك أو لا يعلمونها ؛ فأنت تحتسب ما تفعل عند الله- عز وجل- ودائما تجعل أمامك اللافتة القرآنية ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴿١٤٧﴾ ﴾ **[النساء: 147]**

عملت بعمل في السر لم يدر به أحد ، وربما صاحب العمل لا يعلم عنه شيئا ، لكنك قصدت وجه الكريم سبحانه فهذا هو الإخلاص ، لدرجة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لما ذكر السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: **(ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)** البعض فهم الحديث على ظاهره إذا أراد أن يتصدق جعل يده وراء ظهره وكأن يده اليسرى لها عين ترى الصدقة وهي تخرج ، هذا ليس مقصود النبي- صلى الله عليه وسلم- ، مقصود النبي لأن اليمين والشمال متلازمتان ودائما نقول اليد اليمين اليد الشمال ، فلو أنك استطعت ألا تدري يدك الشمال لو كانت تعقل وترى لا تدري ما أنفقت اليمين فافعل ، هذا هو مقصود النبي تحري السرية في العبادة فهو أبلغ في الأجر.

قد تتطلع النفس إلى حظ من حظوظ الدنيا فلان متصدق أنفق كذا ... حظ من حظوظ الدنيا فأنت حينما تتعود عبادة السر تخفي عبادتك ، فإنك بذلك تصل إلى درجة الإخلاص بمعنى أنك لا يهمك ما يقول الناس ، علم الناس لم يعلموا ، مدحوا أم لم يمدحوا ، بينك وبين الله- عز وجل-

5- **قبول الرخصة لأصحاب الأعذار بالإفطار:**

ومن الربانية الأخذ بالرخصة في حال السفر والمرض وكذلك الحامل والمرضع، فالله الذي أمرني بالصوم هو الذي رخص لي في هذه الحالات أن افطر، فأنا عبد مطيع لله إذا صمت، وعبد مطيع لله إذا أفطرت (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر) الله أكبر، فعدة من أيام أخر؟ نعم، بمعنى أني أفطر وأقضي بعد ذلك ولي الأجر كاملا.

وفي الحديث **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ) رواه الإمام أحمد**

والعزائمُ هي الأُمورُ واجبةُ الفِعلِ؛ لأنَّ أمْرَ اللهِ فِي الرُّخَصِ والعزائمِ واحدٌ، وهذا للتَّحذيرِ مِن التنطُّع في الدِّينِ، والأخذِ بالتَّشديدِ في جميع الأُمورِ؛ فإنَّ دِينَ اللهِ يُسرٌ.

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : **(إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه ، كما يكره أن تؤتى معصيته) رواه أحمد**

ونفهم من هذا الحديث: أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُحِبُّ للمسلِم أن يأخذَ بالرُّخَص الشرعيَّة التي رخَّصها لعباده ، رحمةً بهم ؛ كما قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ١٨٥** ﴾ **[البقرة: 185]** فلا ينبغي للعبد أن يأنف عن قَبولِ ما أباحَه الشرعُ ووَسَّع فيه ، ويستنكف عن أن يترخص في خاصة نفسه ، حين الحاجة إلى مثل هذه الرخص ، بحدودها الشرعية ؛ فهذا ممَّا يكرَهه الله عزَّ وجلَّ ؛ كما يكرَه أن يتعدَّى الإنسانُ حدودَ الله فيأتي المعصية ؛ وفي هذا تأكيدٌ لمشروعية الرخص ، وحث على قَبولها والتيسير بها ، وعدم التعنت بتركها.

أحد الإخوة العام الماضي اتصل بي وهو يبكي، خير يا أخي أنا اشتد علي المرض وأفطرت اليوم وأنا خائف ؟

لا يا أخي لا تخف الله رحيم بعباده سبحانه هو أرحم الراحمين، هو الذي قال لك **(كتب عليكم الصيام)** وفي نفس الآية قال : **(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)**، فأنت كما صمت طاعة لله تفطر طاعة لله.

نفس الكلام للأخوات الأخت الحامل أو الأخت المرضعة، أنا أتعجب أن بعض الأخوات ضعيفة، والحمل أو الرضاعة أتعبها جدا، وتعاند وتصوم، والصيام في الثلاثة شهور الأولى من الحمل، وربما في الشهور الأخيرة يكون صعبا بمعنى الكلمة.

وفي الرضاعة بالذات لو الطفل حديث الولادة الرضاعة تحتاج منها إلى جهد وتتغذى، بخلاف لو الطفل بدأ يأكل ابن ستة أشهر أو أكثر فممكن نعوضه بالنهار ببعض الطعام، لكن أنا أقصد شيئا وهو يا أختي الله يرضى عليك، بدلا من أن تصومي وتأتي بطفل ضعيف هزيل مريض أفطري، أفطري طاعة لله- عز وجل-

****

الخطبة السادسة عشر

المعجزة الخالدة

معجزة القرآن

عناصر الخطبة :

أولا/ شرف القرآن.

ثانيا/ القرآن معجزة الرسول الخالدة.

ثالثا/ كيف يكون القرآن معجزة باقية؟

رابعا / الآيات الكونية في القرآن.

خامسا/ وما زال التحدي قائما.

الخطبة السادسة عشر

المعجزة الخالدة

معجزة القرآن

عناصر الخطبة :

أولا شرف القرآن.

ثانيا/ القرآن معجزة الرسول الخالدة.

ثالثا/ كيف يكون القرآن معجزة باقية؟

رابعا / الآيات الكونية في القرآن.

خامسا/ وما زال التحدي قائما (لا يأتون بمثله)

أولا شرف القرآن

يقول الحق جل وعلا **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان) [البقرة 185]**

لقد عظم الله تعالى هذا الشهر لتنزل القرآن فيه؛ فرمضان شهر القرآن، وعظم الله الليلة التي أنزل فيها القرآن ليلة القدر، فبين أن العبادة فيها خيرٌ من ألف شهر فعظم الشهر، وعظمت الليلة بعظمة هذا القرآن العظيم ، بل إن شرف نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلو درجته كان بشرف تنزّل القرآن عليه قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ **[الكهف: 110]**، فبالوحي صار نبيّاً مرسلا، وبالقرآن جاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلم ﴿ **شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦**﴾ **[الأحزاب: 45-46]**

وهذه الأمة بين الله جل وعلا أن سبب شرفها وعزها مع القرآن ، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: 10] ، و ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: 44]، قال ابن عباس : يعني شرفٌ لك ولقومك، فشرف الله تعالى هذه الأمة بأنها أمة القرآن.

ثانيا/ القرآن معجزة الرسول الخالدة

ولو تأملنا الأنبياء السابقين لوجدنا أن لكل نبي معجزات ، وله منهجٌ جاء به، الكتابٌ المنزل عليه، والمعجزة غير المنهج، فنبي الله عيسى كان له معجزات وأنزل عليه الإنجيل ، وجاء بشريعة التوراة ، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: 46]

ونبي الله موسى جاء بشريعة التوراة ، وكان له معجزات اليد والعصا وانشقاق البحر وغير ذلك.

لكن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى المعجزات الحسية التي رآها الصحابة ، جاء بمعجزةٍ باقيةٍ خالدة هي معجزة القرآن.

يعني لو قلنا مثلاً لواحد من اتباع نبي الله موسى ما الدليل على نبوة موسى؟

سيقول حدثت له معجزات كذا وكذا وكذا..... نعم هذه معجزات حسية لمن رآها بعينه، لمن حضرها وشاهدها، لكن بالنسبة لنا هي خبر، طبعاً نحن كمسلمين نصدق بهذه المعجزات، لأن الله أخبر بها، لكن نحن نتكلم عن شيء حسي ملموس باقٍ إلى يومنا هذا، ونفس الكلام يقال في معجزات نبي الله عيسى ، إنها معجزات كانت لمن شاهدها، وحضرها.

المعجزة الخالدة معجزة القرآن

لكننا نحن المسلمين حينما نتكلم عن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها المعجزة الباقية الخالدة معجزة القرآن كتاب الله، الذي تكفل الله تعالى بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9]، فصانه الله تعالى من التبديل، والتغيير، والتحريف، فهو كما هو منذ أن نزل على النبي إلى يومنا هذا ، ولا يعرف في تاريخ البشرية كلها كتاباً أجمع على صحته مع

طول تاريخه كالقرآن، ولا يعرف كتاب اهتم به العالم أجمع بدايةً من طبعه إلى صيانته إلى حفظه إلى رعاية علومه كالقرآن الكريم.

بل الأعجب أنه كلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ فبعد أن كان القرآن يكتب على الحجارة العريضة، وعلى سعف النخيل، وعلى الجلود صار يطبع على الأوراق، ثم تطورت الأمور إلى ما نراه الآن من انتشارٍ عجيب للقرآن الكريم على كل الاجهزة الالكترونية الحديثة ، والاسطوانات الموجودة الصوتية ، والمطبوعات المختلفة ، وصار القرآن يرتل بجميع رواياته التي لا يعرف الناس كثيرا منها ، وصارت هناك مصاحف بهذه القراءات.

فكلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ لأن رسول الله هو خاتم النبيين لا نبي بعده فأيده جل وعلا بهذه المعجزة الباقية وكأنها خاتمة المعجزات التي يمتد أثرها في تاريخ البشرية إلي أن يرث الله الارض ومن عليها، فالقرآن كلام الله فهو صفةٌ من صفات ذاته جل وعلا باق ببقاء الله سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: 9]

ثالثا/ كيف يكون القرآن معجزة باقية؟

إنه بين أيدينا بنصه، وإن فيه ما فيه من الأمور التي لم يكن لأحدٍ أن يعرفها؛ لم يكن هناك جامعات علمية ، ولا وسائل التعليم المتاحة والموجودة الآن ، لكن القرآن رتل ورتلت آياته منذ أربعة عشر قرناً من الزمان على لسان النبي والمؤمنين من بعده كما هو، وجاء بعد ذلك من يكتشف أمورا وأمورا ، وهذا أمر جمعت فيه مجلدات تتحدث عن الإعجاز البياني، والإعجاز البلاغي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي ،و الإعجاز التاريخي، فروع كثيرة جداً تكلم فيها العلماء؛ حتى يتبين للجميع كيف أن هذا القرآن ليس صنيع بشر؛ وإنما هو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى.

والشيخ الشعراوي رحمة الله عليه في كتاب معجزة القرآن قال: إن القرآن مزق حواجز الغيب الثلاثة :

الزمان والمكان والمستقبل

1- حاجز الزمان:

في الزمان أخبر عن أمورٍ لم تشهدها البشرية جمعاء كآيات بداية الخلق مما أثبت العلم الحديث وقوعه ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ**

وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴿٣٠﴾ [الأنبياء: 30] ، وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴿١١﴾ [فصلت: 11]

وأخبر عن الأمم السابقة فقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴿٦﴾ [الفجر: 6]

وأخبر رب العزة سبحانه وتعالى عن أمورٍ حتى أهل الكتاب كانوا يجهلونها ولا يعرفون عنها شيئاً.

ومن اللطائف القرآنية أن الله تعالى حينما يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بخبر من أخبار الأمم الماضية يقول ألم تر، والفعل رأى له معنيان في اللغة :

رأى بمعنى علم يعني حينما أتكلم في قضية من القضايا أنا أرى كذا وكذا...، فأرى هنا يعني على حسب علمي هذا رأيي العقلي.

وأرى بمعنى أبصر بالعين، أنا أرى فلانا ، أنا أرى المصلين.

فهنا رب العباد سبحانه يقول: **(ألم تر)** فنزل العلم منزلة الرؤية يعني إذا أخبرك الله عز وجل أنه حدث كذا وكذا فإن اليقين يصل عند المسلم وكأنه رأى فعلاً أنت لم تر، ولكن الله إذا أخبر فكأنك رأيت بعينك.

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في شقٍ كبير من القرآن الكريم عن قصص الأنبياء والأمم السابقة.

2- **وأما عن حاجز المكان**:

فإن الله سبحانه وتعالى تكلم في غير موضع عما يدور في نفسيات الناس وهذه مسألة لا يصل اليها أي إدراك بشري، فإذا قلنا إن أجهزة الأمن والمخابرات أقصى ما تستطيعه رصد المكالمات، ورصد الأفعال، ورصد التحركات من... إلى....، لكن لا يستطيع أي جهاز بشري أي تطور بشري أن يرصد ما في النفس؛ رب العزة سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴿١٦﴾ [ق: 16] فحتى الوسوسة رب العزة يعلمها يعلم خواطر النفوس وهو عليمٌ بذات الصدور.

وقديماً قال المشركون لو رفعنا أصواتنا بالكلام لأخبر إله محمد محمدا بما نقول فقال لهم الله : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 13-14] فالسر والعلانية عنده سواء .

ويأتي اليهود إلى النبي فيقولون: السام عليك يا محمد السام عليك – يعني الموت عليك – يدعون عليه بالموت والنبي كان يرد السلام دون أن يشعر أنهم يقولون هذه الكلمة فينزل الله تعالى قرآناً يتلى يفضح ما بداخل هذه النفسيات قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [المجادلة: 8]

وقال تعالى : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التوبة: 64]

الإخبار عن موت أبي لهب وهو على الكفر:

من الأمور التي توقف عندها العلماء سورة المسد **(تبت يدا أبي لهبٍ وتب)** هذه الآية نزلت في بداية الجهر بالدعوة حينما قال أبو لهب للنبي : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت هذه السورة.

القرآن الذي يتلى يبين أن أبا لهب سيصلى ناراً ذات لهب، كان من الممكن أن يقوم أبو لهب ولو على سبيل الكذب ويقول:

يا محمد أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فعليك أن تقوم بإلغاء هذه السورة ، أنا آمنت !!!

أبو لهب عاش بعد نزول هذه السورة عشر سنوات كل سنة فيها ثلاثمائة وخمسة وستين يوما ، يعني كان أمام أبي لهب على الأقل ثلاثة آلاف وستمائة وخمسين فرصة ليكذب النبي، أو يطالبه بأن يقوم بإلغاء هذه السورة لأنه مسلم ، أو أن يفعل أي شيء.

لكن سبحان الله نزلت السورة **(سيصلى ناراً ذات لهب)** وبقي على ما هو عليه حتى مات على الكفر والعياذ بالله ، فبقي التحدي بهذا الشكل أعجب.

3- **حاجز المستقبل:**

عظمة القرآن في الإخبار عن الأمور التي ستحدث، ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ **[البقرة: 142]**

سبحان الله إذن رب العزة أنزل **(سيقول السفهاء ....)** وقالوا فعلاً كان بوسعهم أن يسكتوا ألا يقولوا ، لكن الله جل وعلا يثبت أن هذا الكلام المنزل ليس كلام محمد هذا التحدي القائم هو لمن يعلم كل شيء ولا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى.

رابعا / الآيات الكونية في القرآن

موضوع الآيات الكونية بابٌ واسع، وفيه مؤلفات كثيرة ولكن سأكتفي ببعض الأمثلة السريعة:

1- **الكعبة وسط الكرة الأرضية:**

النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتحويل القبلة، رب العزة سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]

يقول القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" (153/2) : " المعنى : وكما أن الكعبة وسط الأرض ، كذلك جعلناكم أمة وسطا " انتهى.

من أين علم النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولم يذهب إلى جامعة ، ولم يقم بدراسة الجيولوجيا أو ما شابه ذلك أن يعلم أن الكعبة هي مركز الكرة الأرضية وأنها هي بؤرة الوسط؟!!

علماء الجيولوجيا حالياً لما قاموا بمسح للأرض كلها رأوا أننا لو عملنا دائرة وفي وسطها نقطة هذه النقطة بالنسبة للكرة الأرضية هي الكعبة من أين علم النبي أن الكعبة في وسط الكرة الأرضية؟!

(وكذلك جعلناكم أمةً وسطا) يعني وكذلك وجهناكم إلى القبلة الوسط حتى تكونوا الأمة الوسط ، ولذلك أضبط التوقيتات العالمية توقيت مكة وليس توقيت جرينتش ، جرينتش هذا فرضته بريطانيا عالمياً بحكم أنها كانت في

حقبة من التاريخ بريطانيا العظمى، لكن من الناحية الواقعية أضبط توقيت عالمي هو توقيت مكة، لأنها أم القرى وتقع وسط الكرة الأرضية بالضبط.

2- غلبت الروم في أدنى الأرض:

أخبر الله تعالى عن المعركة التي جرت بين فارس والروم قال: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝١ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: 2-3]

" **أدنى**" فهمها المفسرون قديماً بأنها أقرب مكان إلى جزيرة العرب لكن حديثا وجد العلماء أن المكان الذي جرت فيه هذه المعركة هو أخفض مكان على سطح الكرة الارضية أدنى يعني أخفض وليس أقرب الأرض فالمعركة وقعت بمنطقة البحر الميت وهي أخفض بقعة على سطح الأرض من أين علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؟ وهو لم يزر هذه البقعة ولم يرها؟

3- إذا احترق الجلد زال الإحساس:

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾ [النساء: 56]

يخبر الله تعالى عن شدة العذاب للكافرين نسأل الله العافية بأن الجلود كلما نضجت من النار بدلها الله بجلودٍ غيرها لماذا ؟ ليذوقوا العذاب.

ويأتينا العلم حديثا ليكتشف أن مراكز الحس والأعصاب تكون تحت الجلد مباشرةً ، فإذا احترق الجلد زال الإحساس ولذلك أنت إذا أخذت حقنة لا تشعر بها إلا وهي تخترق مسام الجلد، لكن وهي في الداخل لا تشعر بأي ألم فالله تعالى يبين أن هذه المراكز الحس والأعصاب للألم تتجدد الجلود حتى يستمر الألم ويستمر العذاب نعوذ بالله.

من أين النبي -وهو النبي الأمي-أن يعلم وبهذه التفاصيل وهذه الدقائق سبحان الله العظيم!!

4- اقتربت الساعة وانشق القمر:

ذكر الدكتور زغلول النجار وهو من الأساتذة المتخصصين في موضوع الإعجاز العلمي أنه كان في محاضرة ببريطانيا تكلم فيها عن قضية الإعجاز العلمي في القرآن ، وسأله الحاضرون من ضمن الأسئلة عن قول الله تعالى **(اقتربت الساعة وانشق القمر)** وبعد أن فرغ من كلامه رفع أحد الحضور

يده ، وقال ائذن لي بالكلام ، تفضل، قال : أنا داوود موسى مسلم بريطاني أسلمت بسبب هذه الآية، ولي معها قصة لو أذنت لي بأن أذكرها؟ تفضل، قال : أهدى إلي بعض أصدقائي المسلمين نسخة مترجمة من القرآن ، وعلى عادة الكثير من الناس يفتح أي صفحة من الكتاب ويقرأ، فلما فتح هذه النسخة المترجمة وقعت عينه علي سورة القمر، قرأ الترجمة فقال يعني هذا الرجل البدوي ولا العربي كيف له أن يتكلم عن القمر وانشقاق القمر؟

يقول : فأغلقت المصحف ولم أبال، وقلت : هذا كله هراء أو خرافات ، يقول: وشاء الله بعد مدة أن أجلس وأستمع إلى برنامج على قناة البي بي سي البريطانية. كان المذيع استضاف بعض العلماء من وكالة ناسا الفضائية الامريكية فسألهم المذيع متهكما : كل هذه المليارات وكل هذه الأبحاث وكل هذه المؤتمرات العلمية ... الى اخره ، كل هذا في سبيل ماذا؟ يعني لماذا تقومون بكل هذه الابحاث ؟ما الفائدة وما العائد على البشرية من وراء كل هذا؟

فقالوا له: لقد اكتشفنا في الأيام الأخيرة اكتشافاً مذهلاً لم يتوصل إليه أحدٌ من قبل ، لقد اكتشفنا عند صعودنا لسطح القمر أن هذا القمر انفلق نصفين في زمنٍ من الأزمان البعيدة وأنه قد التأم لكن هذا الالتئام ليس كاملاً ، ما زال بالقمر بعض الصدوع (التشققات) التي تبين أن الانشطار كان كاملاً يقول الرجل: فوقفت كل شعرة في رأسي، علماء وكالة ناسا الفضائية يتكفلون أن يثبتوا صدق هذا النبي الذي يقول منذ أربعة عشر قرناً من الزمان انشق القمر فرجع مرةً ثانية ليقرأ ويبحث في الاسلام قال وها أنا ذا أسلمت والحمد لله رب العالمين.

5- كمثل العنكبوت اتخذت بيتا:

بعض الباحثين حصل على شهادة الدكتوراة في علم الأحياء، توصل في هذه الدراسة التي امتدت لعدة سنوات إلى إثبات أن أنثي العنكبوت هي التي تقوم بفرز أو نسج الخيوط، وبعد الحصول على الدكتوراة أخبر بعض زملائه أو أصدقائه المسلمين قائلا: أنا حصلت على الدكتوراة في كذا وكذا بعد بحثٍ امتد الى كذا وكذا من السنين. قال : لو سألتني قبل أن تبحث لأجبتك. قال : وهل أنت عندك دراية بهذا الأمر أو حياة العنكبوت قال : لا عندنا في كتابنا المقدس أن أنثي العنكبوت هي التي تنسج الخيوط يشير إلى قول الله تعالى :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ

﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 41] تاء التأنيث تفيد أن الأنثى هي التي تنسج خيوط العنكبوت لا تحتاج إلى سنوات دراسة طويلة.

الرجل لم يصدق. قال : هذا الكتاب كم عمره؟ قال :أكثر من أربعة عشر قرناً (ألف وأربعمائة سنة) قال : هل من الممكن أن أطالب ببعض الطبعات المختلفة؟ قال هي طبعة واحدة، ليس هناك طبعات مختلفة للمصحف، فالرجل لم يقتنع ، وطالب بعض دور النشر العالمية أن تراسله بطبعات مختلفة للمصحف من أكثر من مكان في العالم فوجد هناك تطابق ليس هناك اختلاف حتى في التاء ، التاء لم تحذف سبحان الله العظيم فأسلم هذا الرجل.

6- تأثير القرآن على الماء:

توصل دكتور ياباني لمسألة عجيبة وهي أن تلاوة القرآن على جزيئات الماء يحولها إلى أشكال بلورية هندسية رائعة يقول : إنه كان يعد بحثا -وهذا الدكتور ياباني يعني لا علاقة له بالإسلام مطلقاً – كان يعد بحثا على تأثير الكلام على جزيئات الماء وبالتالي تأثيره على الإنسان ،أنت لما تسمع كلام طيب يحول الحالة النفسية عندك إلى حالة طيبة، ولما تسمع كلام سيء يحدث العكس ، فهو يبين من خلال بحثه كيف يكون الكلام مؤثراً على جزيئات الماء فيأتي بكلمات الحب مثلاً، والسلام، وهكذا فيجد أشكال الماء تميزت بشكل معين، الكلمات القبيحة والسب وكذا نفس الحال تجد الجزيئات متنافرة.

يقول : طرأت على بالي فكرة وهي أن آتي بهذا الكلام من لغات مختلفة، فكان من ضمن الأشياء التي استعان بها أن أحد زملائه أعطاه صوت قارئ يتلو بالقرآن ، وطبعا ما كان يعرف هذا الشيء فلما قام بتشغيله بجانب الماء لاحظ تكوناً بلورياً للماء بصورة عجيبة، جزيئات الماء تتفق مع بعضها ، وتنسجم بأشكال غريبة، وهذا الكلام موجود على اليوتيوب ، اكتب تأثير القرآن على جزيئات الماء ، فالرجل انبهر بهذا الأمر وكرر التجربة مرات ومرات ومرات ليلاحظ فعلاً أن القرآن يفوق أي كلام في تأثيره على الماء سبحان الله العظيم!!

فهذا القرآن القدسية فيه ليست فقط للحروف والمعاني ؛ بل لتأثيره على النفوس، القدسية في أنه حينما يسمع إليه أي شخص أياً ما كانت ملته أو دينه

يتأثر به يشعر بانسجامٍ غريبٍ معه حتى وإن لم يفهم معانيه سبحان الله العظيم.[9]

خامسا/ وما زال التحدي قائما (لا يأتون بمثله)

والآيات كثيرة جدا والإشارات لندرك عظمة هذا القرآن الكريم وإلا فالقضية أكبر من أن يسعها خطبة أو لقاء واحد ، وهنالك مؤلفات ضخمة جداً تكلم فيها العلماء ليبينوا لنا أن القرآن كلام الله عز وجل ، وأن القرآن كتاب جعله الله تعالى معجزةً خالدةً باقية تثبت صدق نبينا صلى الله عليه وسلم وأن هذا الكلام ليس كلام بشر وإنما كلام الله عز وجل وأدل دليل على صدق هذا الأمر عجز البشرية إلى الآن أن تأتي بقرآنٍ مثله.

والتحدي ما زال قائما ،إذا كان هناك من يقول إن القرآن ألفه محمدٌ أو كتبه بيده أو نقله عن غيره ، إذن فأتوا بسورة من مثله ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴿٨٨﴾﴾ **[الإسراء: 88]** يعني معاوناً ونصيرا.

وفي القرآن افتتح الله بعض السور بالحروف المقطعة التي منها اللغة العربية الم ،حم ، طسم ، هذه الأحرف هي المكون منها القرآن، فالتحدي لا يزال قائما، فإذا كانت هذه الأحرف هي المكون منها القرآن ؛ إذن ألفوا قرآنا مثله!!

لكن عجزت البشرية وما زال التحدي قائماً ، والله جل وعلا حينما تحدى يعلم سبحانه وتعالى أن هذا القرآن بهذا النسق وهذا النظم وهذه العظمة وهذا الجلال هو أمر يفوق القدرات البشرية.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لهذا الشرف العظيم،

شرف القرآن ، اللهم آمين.

****

[9] مقطع الفيديو على اليوتيوب هنا:

https://youtu.be/NEYd8SCueVM?si=7oExDoDLt56fmbmJ

الخطبة السابعة عشر

تفسير سورة القدر

عناصر الخطبة :

أولا/ شرف القرآن.

ثانيا/ القرآن معجزة الرسول الخالدة.

ثالثا/ كيف يكون القرآن معجزة باقية؟

رابعا / الآيات الكونية في القرآن.

خامسا/ وما زال التحدي قائما.

الخطبة السابعة عشر

تفسير سورة القدر

قال تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ(5))[10]

الحديث في هذه السورة عن تلكم الليلة العظيمة هذه الليلة التي شرَّفها الله وكرَّمها، لأنه أنزل فيها الكتاب الخالد، أعظم كتاب، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن، قانون السماء لهداية الأرض، ودستور الخالق لإصلاح الخلق.

{ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }

الضمير هنا يعود إلى الله عز وجل، والهاء في قوله: **{أَنزَلْنَاهُ}** ضمير المفعول به وهي الهاء يعود إلى القرآن وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن هذا أمر معلوم.

وسبب ذكر الله تعالى نفسه بضمير الجمع الدال على العظمة **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ)** لأن إنزال القرآن دال على صفات عديدة لله منها القدرة والعلم والحكمة والرحمة فالفعل إذا دل على مجموعة من الصفات جاء بصيغة الجمع كقوله ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ **[الحجر: 9]**، لكن إذا تكلم الله عن ذاته جل في علاه جاء الكلام على صيغة الإفراد كما في قوله **(إنني أنا الله)** فلم يقل نحن الله لأن ذاته جل جلاله واحدة.

لكن ما معنى إنزاله في ليلة القدر؟

الصحيح أن معناها: ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر، قال ابن عباس وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ،

---

[10] لم يرد في فضل سورة القدر ولا سبب نزولها حديث يصح.

ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . [11]

لماذا سميت بليلة القدر :

ورد في هذا عدة أقوال لأهل العلم نذكرها منها:

1- من القدر بمعنى التعظيم، والقدر هو الشرف كما يقال (فلان ذو قدر عظيم) أي ذو شرف كبير، فمعنى (ليلة القدر) أي أنها ليلة ذات قدر ، وذلك لعظم قدرها وجلالة مكانتها عند الله ولكثرة مغفرة الذنوب وستر العيوب فيها فهي ليلة المغفرة **كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) البخاري ، ومسلم.**

2- القدر التضييق، قال الخليل بن أحمد : إنما سميت ليلة القدر ، لأن الأرض تضيق بالملائكة لكثرتهم فيها تلك الليلة ، من (القدر) وهو التضييق ، قال تعالى : **(وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) سورة الفجر /16** ، أي ضيق عليه رزقه.

3- القدر بمعنى القدَر - بفتح الدال – أي التقدير، لأنه يقدر فيها ما يكون في السنة لقول الله تعالى: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: 3، 4]** والمقصود بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر -والله أعلم – أنها تنقل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ ، وأن المقادير تبين في هذه الليلة للملائكة قال ابن عباس " إن الرجل يُرى يفرش الفرش ويزرع الزرع وأنه لفي الأموات " أي انه كتب في ليلة القدر أنه من الأموات .

أي تقدّر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام ، فيكتب فيها الأحياء والأموات والناجون والهالكون والسعداء والأشقياء والعزيز والذليل والجدب والقحط وكل ما أراده الله تعالى في تلك السنة.

---

[11] ينظر تفسير ابن كثير 529/4.

والصحيح أنه شامل لهذه المعاني كلها، فليلة القدر لا شك أنها ذات قدر عظيم، وشرف كبير، وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء والإماتة والأرزاق وغير ذلك.

ثم قال جل وعلا: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}

الاستفهام للتعظيم والتفخيم والمعني لا أحد أدراك أو أعلمك من قبل عن ليلة القدر، فيكون المعنى : ما أعلمك ليلة القدر وشأنها وشرفها وعظمها.

ثم بين هذا بقوله: **{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}** وهذه الجملة كالجواب للاستفهام الذي سبقها، وهو قوله: **{وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ{ الجواب: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}**

وهو ما يعادل 83 سنة و4 أشهر لكن الظاهر -والله أعلم – أن العدد لا يفيد التحديد إنما هو يفيد التكثير.

لكن لماذا اختيرت الألف بالذات ؟

لأن الله سبحانه كان يخاطب العرب بعقولهم وقد كانوا يعتقدون أن الألف نهاية الأرقام فإذا زادوا عليها كرروا الرقم فيقولون ألف ألف ... وهكذا ، ولذلك لا نجد ترجمة في اللغة العربية للأرقام الحديثة كالمليون والمليار ، فكأن الحق سبحانه أراد أن يخبرنا أن ليلة القدر وثوابها خير من أكبر شيء يعرفون به مقاييس الأعداد فهي خير من الزمان كله مهما طال.
والليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر ، فكم من آلاف الشهور وآلاف السنين قد انقضت دون أن تترك في الحياة بعض ما تتركه هذه الليلة المباركة من آثار وتحولات.
والمراد بالخيرية هنا ثواب العمل فيها، وما ينزل الله تعالى فيها من الخير والبركة على هذه الأمة، ولذلك كان من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه كما في الحديث الصحيح.
قال جويبر: قلت للضحاك: أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب ؟ قال: نعم كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر.

ثم ذكر ما يحدث في تلك الليلة فقال: {تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا}

أصله تتنزل حذفت إحدى التاءين تخفيفا في النطق ، أي تنزل شيئًا فشيئًا؛ لأن الملائكة سكان السموات، والسموات سبع فتتنزل الملائكة إلى الأرض شيئًا

فشيئًا حتى تملأ الأرض، ونزول الملائكة في الأرض عنوان على الرحمة والخير والبركة، ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شيء كان ذلك دليلًا على أن هذا المكان الذي امتنعت الملائكة من دخوله قد يخلو من الخير والبركة كالمكان الذي فيه كلب أو تمثال، فالملائكة تتنزل في ليلة القدر بكثرة، ونزولهم خير وبركة.

ولنتأمل قوله تعالى : **"تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر "**
قال الله عن الملائكة في هذه الآية **(تنزل)** في حين قال عن الملائكة عند لحظة موت عباد الله الصالحين **(تتنزل)** إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا.... " في نزولهم في ليلة القدر
قال**(تنزل)** وفي نزولهم عند الموت قال : **(تتنزل)**
فما الفرق؟ نزول الملائكة في ليلة القدر نزولا لا يتكرر في أي ليلة أخرى من السنة وليس له مثيل أبداً.
أما نزول الملائكة عند الموت فهو يتكرر في كل لحظة وفي كل يوم، لأن الموت سنة كونية إلهية، لذلك زاد في الفعل حرف (ت) لتعبر عن التكرار والتتابع.
{وَالرُّوحُ} هو جبريل عليه السلام خصه الله بالذكر لشرفه وفضله.
قدم الله نزول الملائكة على نزول الروح ؟ فقال تنزل الملائكة والروح ولم يقل تنزل الروح والملائكة مع أن الروح الأمين (جبريل) عليه السلام أعظم قدراً عن سائر الملائكة، لماذا؟ هذا التأخير زيادة في شرف جبريل عليه السلام!! فكأن الملائكة تحيط بجبريل كالحاشية في موكب عجيب مهيب لكبر قدره عند الله تعالى.
وقوله تعالى: {بِإِذْنِ رَبِّهِم} أي بأمره. لا تنزل هذه الملائكة والروح إلا بإذن من الله، يقول أهل التفسير :إن الملائكة تشتاق لرؤية أهل القيام والصيام والطاعة وتريد السلام عليهم فتستأذن ربها في النزول حتى يأذن لها فتنزل جماعات جماعات تمتلئ بها الأرض.

"من كل أمر" توافق هذه العبارة ما جاء في سورة الدخان **"فيها يفرق كل أمر حكيم"**
وقد أجمع العلماء أن في هذه الليلة تنزل الملائكة بأقدار العباد وما كتبه الله في اللوح المحفوظ لهذا العام من رزق وتوفيق وحياة أو موت و سعادة أو شقاء.
وقوله: **{مِّن كُلِّ أَمْرٍ} {مِنْ}** بمعنى الباء أي بكل أمر مما يأمرهم الله به.
{سَلَامٌ هِيَ} الجملة هنا مكونة من مبتدأ وخبر، والخبر فيها مقدم، والتقدير: "هي سلام" أي هذه الليلة سلام، ووصفها الله تعالى بالسلام، لكثرة من يسلم

فيها من الآثام وعقوباتها ووقوع مغفرة الله لعباده، كما في قول النبي – صلى الله عليه وسلّم – : **(من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)**، ومغفرة الذنوب لا شك أنها سلامة من وبائها وعقوباتها.

{حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} أي تتنزل الملائكة في هذه الليلة حتى مطلع الفجر، أي إلى مطلع الفجر، وإذا طلع الفجر انتهت ليلة القدر.

****

الخطبة الثامنة عشر

العشر الأواخر
وتحرى ليلة القدر

عناصر الخطبة:

أولا/ السر في الاجتهاد بالعشر الأواخر.

ثانيا/ فضل ليلة القدر.

ثالثا/ لماذا أخفى الله عنا ليلة القدر؟

رابعا / تحري ليلة القدر.

خامسا / العلامات التي تعرف بها ليلة القدر.

سادسا/ كيف نحيي ليلة القدر.

الخطبة الثامنة عشر

العشر الأواخر وتحري ليلة القدر

عناصر الخطبة:

أولا/ السر في الاجتهاد بالعشر الأواخر.

ثانيا/ فضل ليلة القدر.

ثالثا/ لماذا أخفى الله عنا ليلة القدر؟

رابعا / تحري ليلة القدر.

خامسا / العلامات التي تعرف بها ليلة القدر:

سادسا/ كيف نحيي ليلة القدر.

أولا/ السر في الاجتهاد بالعشر الأواخر.

روى مسلم عن عائشة (كان النبي يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ، ما لا يجتهد في غيرها) رواه أحمد ومسلم
وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي " كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد مئزره " رواه البخاري ومسلم

وشد المئزر كناية عن الاجتهاد في العبادة، يُقال للمجتهد في أمر: شمر عن ساقيه، كما يكنى به عن اعتزال النساء.

والمراد بقولها: **(أحيا ليله)** عبرت عائشة عن القيام بالإحياء، دلالة على أن الأوقات التي لا تغتنم في طاعة الله تعالى أوقات ميتة.

أي أحياه كله بالقيام والتعبد والطاعة وقد كان قبل ذلك يقوم بعضه، وينام بعضه، كما أمره الله في سورة المزمل.

ومعنى (أيقظ أهله): أي زوجاته أمهات المؤمنين، ليشاركنه في اغتنام الخير والذكر والعبادة في هذه الأوقات المباركة.

وبهذا يعلمنا أن يتعهد المسلم أهله وأسرته بالتذكير بمواقع الخير، والأمر به، كما قال تعالى: **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) طه: 132.**

ومن دلائل حرصه صلى الله عليه وسلم على الاجتهاد في العشر الأواخر:

اعتكافه فيها في المسجد، متفرغًا لعبادة الله تعالى، فقد **ذكرت عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده) متفق عليه**

والاعتكاف: عزلة مؤقتة عن شواغل الحياة، وإقبال بالكلية على الله تبارك وتعالى، والأنس بعبادته.

والإسلام لم يشرع الرهبانية، ولا التعبد بالعزلة الدائمة، ولكنه شرع هذه الفترات المؤقتة في أوقات معينة، لترتوي القلوب الظامئة إلى المزيد من التعبد والتجرد لله رب العالمين.

ما سر الاجتهاد في العشر الأواخر؟

وسر الاجتهاد والمبالغة في العشر الأواخر يكمن في أمرين:

الأول: أن هذه العشر، هي ختام الشهر المبارك، والأعمال بخواتيمها، ولهذا كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: "اللهم اجعل خير أيامي يوم ألقاك، وخير عمري أواخره، وخير عملي خواتمه".

الثاني: أن ليلة القدر المباركة المفضلة أرجح ما تكون فيها، بل صحت الأحاديث أنها تلتمس فيها.

فاللبيب الكيس من اجتهد في هذه العشر، عسى أن يظفر فيها بهذه الليلة فيغفر له ما تقدم من ذنبه.

ثانيا/ فضل ليلة القدر

لقد نَوَّه القرآن، ونَوَّهَت السُّنَّة بفضل هذه الليلة العظيمة، وأنزل الله فيها سورة كاملة: **(إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير**

من ألف شهر. تَنَزَّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر).

فعَظَّمَ القرآنُ شأنَ هذه الليلة، فأضافها إلى (القدر) أي المقام والشرف، وأي مقام وشرف أكثر من أن تكون خيرًا وأفضل من ألف شهر، أي الطاعة والعبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وألف شهر تساوي ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر، أي أن هذه الليلة الواحدة أفضل من عمر طويل يعيشه إنسان عمره ما يقارب مئة سنة، إذا أضفنا إليه سنوات ما قبل البلوغ والتكليف.

وهي ليلة تتنزَّل فيها الملائكة برحمة الله وسلامه وبركاته، ويرفرف فيها السلام حتى مطلع الفجر.

وفي السنة جاءت أحاديث جمة في فضل ليلة القدر، والتماسها في العشر الأواخر ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: **"من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري**

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغفلة عن هذه الليلة وإهمال إحيائها، فيحرم المسلم من خيرها وثوابها، فيقول لأصحابه، وقد أظلهم شهر رمضان: **"إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَها فقد حُرِم الخيرَ كله، ولا يُحرم خيرها إلا محروم" رواه ابن ماجه من حديث أنس، وإسناده حسن**

وكيف لا يكون محرومًا من ضيع فرصة هي خير من ثلاثين ألف فرصة؟

ثالثا/ لماذا أخفى الله عنا ليلة القدر؟

ليلة القدر ليست ليلة بعينها محددة وإنما أبهمها الله عز وجل ، ولله حكمة بالغة في إخفائها عنا، فلو تيقنا أي ليلة هي لتراخت العزائم طوال رمضان، واكتفت بإحياء تلك الليلة، فكان إخفاؤها حافزًا للعمل في الشهر كله، ومضاعفته في العشر الأواخر منه، وبهذا يظهر الصادق في طلبها من المتكاسل ، لأن الصادق في طلبها لا يهمه أن يتعب عشر ليال من أجل أن يدركها، والمتكاسل يكسل أن يقوم عشر ليال من أجل ليلة واحدة، بالإضافة لكثرة الثواب بكثرة الأعمال؛ لأنه كلما كثر العمل كثر الثواب.

رابعا / تحري ليلة القدر

ليلة القدر نتحراها في الليالي الوترية **(وبالأخص في السبع الأواخر)** كما دلت على ذلك الأحاديث الكثيرة منها:

1- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان " متفق عليه

2- وعن عبادة بن الصامت قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى ـ تخاصم ـ رجلان من المسلمين فقال : " خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان ، فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة " أخرجه البخاري .

وفي هذا الحديث دليل على شؤم الخصام والتنازع ، وبخاصة في الدِّين وأنه سبب في رفع الخير وخفائه.

3- **وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " رأى رجل أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أرى رؤياكم في العشر الأواخر ، فاطلبوها في الوتر منها " أخرجه مسلم**

4- **وعن أبي بكرة : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " التمسوها في تسع بقين ، أو سبع بقين ، أو خمس بقين ، أو ثلاث بقين ، أو آخر ليلة " وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان صلاته في سائر السنة ، فإذا دخل العشر اجتهد " أخرجه أحمد والترمذي وصححه**

5- **وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أرى رؤياكم قد تواطأت ـ توافقت ـ في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر "متفق عليه .**

ومن استقراء النصوص السابقة وغيرها يتبين لنا:

1- أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.
2- أنها في أحد الليالي الوترية: (29،27،25،23،21)

3- أنها تنتقل كل عام في ليلة من هذه الليالي الخمس؛ فقد تكون مثلًا في هذا العام ليلة سبع وعشرين، وفي العام الثاني ليلة إحدى وعشرين، وفي العام الثالث ليلة خمس وعشرين وهكذا.....

4- ولكن غالبا ما تكون ليلة سبع وعشرين كما قال ابن تيمية وهو ما يبدو من استقراء الواقع أيضا .

والأدلة على ذلك ما يلي:

1- وقوعها ليلة الحادي والعشرين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " وقد أُريت هذه الليلة ثم أُنسيتها فابتغوها في العشر الأواخر وابتغوها في كل وتر ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين " ، فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد ـ خر من سقفه ـ في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إحدى وعشرين فبصرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طيناً وماءً " متفق عليه .

2- وقوعها ليلة الثالث والعشرين:

عن عبدالله بن أنيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ، وإذا بي أسجد صبيحتها في ماء وطين " قال : فمطرنا في ليلة ثلاث وعشرين ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف ، وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه "أخرجه مسلم وأحمد.

3- **وقوعها ليلة خمس وعشرين:**

وذلك لأن القرآن الكريم نزل في هذه الليلة الكريمة وقد قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر)كما صح بذلك الحديث:

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَالإِنْجِيلُ لِثَلاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ) . رواه أحمد وحسنه الألباني

ومعنى قوله (لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ) أي لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ يوما فيكون النزول ليلة خمس وعشرين لأن الليلة تسبق اليوم.

4- **وقوعها ليلة السابع والعشرين:**

عن أبي بن كعب يقول : " والله إني لأعلم أي ليلة هي ، هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها ، وهي ليلة سبع وعشرين " أخرجه مسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع وعشرين ، يعني ليلة القدر " أخرجه أحمد بسند صحيح

والظاهر أن ذلك كان في عام بعينه، لا كل الأعوام بدليل الأحاديث السابقة.

وقال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر.

قال ابن عباس : فقلت لعمر : إني لأعلم أي ليلة القدر هي ؟

فقال عمر : أي ليلة هي ؟

فقلت سابعة تمضي – أو : سابعة تبقى – من العشر الأواخر.

فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟

قال ابن عباس : فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمي الجمار سبع . . . لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له.

وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا .....) عبس : 27 ، 28

لكن كونها ليلة سبع وعشرين أمر غالب والله أعلم وليس دائماً وقد تتبعت ذلك بنفسي عدة سنوات.

وقد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن أنها ليلة سبع وعشرين من موضعين بسورة القدر:

أحدهما: أن الله تعالى كرر ذكر (ليلة القدر) في سورة القدر في ثلاثة مواضع منها و(ليلة القدر) حروفها تسع حروف والتسع إذا ضربت في ثلاثة فهي سبع وعشرون.

والثاني: أنه قال: (سلام هي) فكلمة (هي) هي الكلمة السابعة

والعشرون من السورة فإن كلماتها كلها ثلاثون كلمة!!!!
قال ابن عطية: هذا من ملح التفسير لا من متين العلم

5- **وقوعها ليلة تسع وعشرين:**

عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " في رمضان ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، فإنها في وتر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ،أو تسع وعشرين".

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : " إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى"

خامسا/ العلامات التي تعرف بها ليلة القدر

وقد ورد لليلة القدر علامات، أكثرها لا يظهر إلا بعد أن تمضى منها:

العلامة الأولى : أن الشمس تطلع صبيحتها بيضاء لا شُعاع لها كالقمر عندما يكون بدرا

كما في صحيح مسلم من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي أخبر أن من علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها بيضاء لا شُعاع لها.

وفسر سر ذلك بعض العلماء بأن الملائكة الصاعدة من الأرض إلى السماء تحجب شعاع الشمس بأجنحتها فتكون علامة من علامات ليلة القدر ، وقد رأيت هذه العلامة مرات كثيرة فينظر الناظر إلى الشمس دون أن يشعر بأذى في عينه وسبحان الله العظيم.

الثانية : ليلة الجو فيها معتدل:

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليلة القدر ليلة طلقة ، لا حارة ولا باردة ،تُصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة) صحيح ابن خزيمة.

العلامة الثالثة : ليلة مضيئة لا شهاب فيها:

أن السماء ليلتها تكون صافية كأن فيها قمرا ساطعا، كما تكون ساكنة، صاحية ، لا حر فيها ولا برد.

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليلة القدر ليلة بلجة " أي مضيئة " ، لا حارة ولا باردة ،لا يرمى فيها بنجم " أي لا ترسل فيها الشهب ") رواه الطبراني بسند حسن

العلامة الرابعة : أن تكون ليلة ممطرة كما سبق في الأحاديث.
وليس هناك تناقض لاختلاف هذه العلامات وذلك لاختلاف المناخ باختلاف البلاد ومناخها ولتقلب رمضان بين الصيف والشتاء فأحيانا تكون باردة ممطرة وأحيانا تكون معتدلة.

العلامة الخامسة : الطمأنينة:
أي طمأنينة القلب ، وانشراح الصدر من المؤمن ، فإنه يجد راحة وطمأنينة وانشراح صدر في تلك الليلة أكثر من مما يجده في بقية الليالي.

العلامة السادسة :أن المؤمن يجد في القيام لذة وخشوعا أكثر مما في غيرها من الليالي.
ولا يلزم أن يعلم المسلم أي ليلة هي وإنما العبرة بالاجتهاد والإخلاص ، سواء علم بها أم لم يعلم ، وقد يكون بعض الذين لم يعلموا بها أفضل عند الله تعالى وأعظم درجة ومنزلة ممن عرفوا تلك الليلة وذلك لاجتهادهم.

ونقل ابن رجب في لطائف المعارف : إن وقع في ليلة من أوتار العشر ليلة جمعة، فهي أرجى من غيرها.

سادسا / كيف نحيي ليلة القدر:
سبق حديث عائشة **(وأحيا ليله)** وكلمة يحيي الليل دليل على أن الليل الذي ليس فيه طاعة لله ليل ميت، فالأزمنة فيها ما هو حي وما هو ميت والأمكنة فيها ما هو حي وما هو ميت، البيت الذي لا يذكر الله فيه بيت ميت وبيت خرب والبيت الذي يذكر فيه اسم الله بيت حي وبيت عامر والإنسان الذي يذكر الله تعالى ولا ينساه ويعمل بطاعته إنسان حي والإنسان الآخر إنسان ميت.

فنحن نحيي هذه الليلة بكل أنواع الطاعات والعبادات ومنها:

1- **صلاة العشاء والفجر في جماعة:**
لحديث (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله .)

2- **قيام الليل** :
الحرص على صلاة التراويح وصلاة التهجد ، فقد ثبت عن النبي أنه قال: **(من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)** وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد كان النبي يتهجد في ليالي رمضان وكانت قراءته في قيام الليل قراءة مرتلة لا يمرّ بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها.

3- **تلاوة القرآن أو استماعه أو تدبره.**

4- **ذكر الله تعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده:**

وأحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

5- **الصدقة:**
وقد وصف عبد الله بن عباس النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يأتي جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم "أجود بالخير من الريح مرسلة".

6- **الدعاء:**
عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله أرأيت أن وافقت ليلة القدر ما أقول ؟ قال : قولي : (اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني) رواه أحمد ، والترمذي.

لماذا خص النبي الدعاء بالعفو:

قال ابن رجب الحنبلي : وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحا ولا حالا ولا مقالا فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر.
والعفو من أسماء الله تعالى، وهو يتجاوز عن سيئات عباده الماحي لأثارهم عنهم، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب

إليه من عقوبته، وكان النبي يقول: **(أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك)**

قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.
وكان مطرف يقول في دعائه: اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا.

قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه. يشير إلى أنه ابتلى كثيرا من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب ليعاملهم بالعفو، فإنه سبحانه يحب العفو.

وقال آخر : جرمي عظيم وعفوك كثير فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم.

****

الخطبة التاسعة عشر

سنة الاعتكاف
في العشر الأواخر

عناصر الخطبة:

أولا/ تعريف الاعتكاف وفضله.

ثانيا/ مقاصد الاعتكاف.

ثالثا / شروط الاعتكاف ومبطلاته.

الخطبة التاسعة عشر

سنة الاعتكاف في العشر الأواخر

عناصر الخطبة:

أولا/ تعريف الاعتكاف وفضله.

ثانيا/ مقاصد الاعتكاف.

ثالثا / شروط الاعتكاف ومبطلاته.

أولا/ تعريف الاعتكاف وفضله.

تعريفه:
الاعتكاف لغة : لزوم الشيء وحبس النفس عليه ، خيرا كان أم شرا، قال الله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾ **[الأنبياء: 52]** أي مقيمون متعبدون لها.

واصطلاحا: لزوم المسجد والإقامة فيه بنية التقرب إلى الله عز وجل.
وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له، والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال.

مشروعيته:
وقد أجمع العلماء على أنه مشروع ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما . رواه البخاري
وإنما كان يعتكف النبي في هذا العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعا لأشغاله، وتفريغا لليالية، وتخليا لمناجاة ربه وذكره ودعائه.

هل ورد حديث يبين فضل الاعتكاف؟

أولا: الاعتكاف مشروع ، وهو قربة إلى الله جل وعلا، فإذا ثبت هذا، فقد جاءت أحاديث كثيرة ترغب في التقرب إلى الله تعالى بنوافل العبادات، وهذه الأحاديث بعمومها تشمل كل عبادة ومنها الاعتكاف.

فمن هذه الأحاديث: قول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: **(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) . رواه البخاري.**

ثانيا: وردت أحاديث في فضل الاعتكاف وبيان ثوابه إلا أنها كلها ضعيفة أو موضوعة[12].

قال أبو داود : قلت لأحمد (يعني الإمام أحمد بن حنبل): تعرف في فضل الاعتكاف شيئا ؟ قال : لا، إلا شيئا ضعيفا اهـ . [13]

ووردت آثار عن بعض السلف تنص على فضل الاعتكاف ، فعن عطاء الخراساني قال: إن مثل المعتكف مثل المحرم ألقى نفسه بين يدي الرحمن ، فقال: والله لا أبرح حتى ترحمني.

ثم إن ثمة فضائل عديدة يمكن للمعتكف أن يجنيها، ومن الصعب أن يجنيها ، وهو خارجه:

1- أن الاعتكاف عبادة في ذاته، فالمعتكف عابد مأجور مثاب حتى أثناء نومه في المسجد.

---

[12] ومن هذه الأحاديث: 1- روى ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الْمُعْتَكِفِ: " هُوَ يَعْكِفُ الذُّنُوبَ، وَيُجْرَى لَهُ مِنْ الْحَسَنَاتِ كَعَامِلِ الْحَسَنَاتِ كُلِّهَا ". ضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه. (يَعْكِفُ الذُّنُوب) أي: يَمْنَع الذُّنُوب. قاله السندي.

2- روى الطبراني والحاكم والبيهقي وضعفه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين " . ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة. والخافقان المشرق والمغرب.

3- روى الديلمي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من اعتكف إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه " ضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

4- روى البيهقي وضعفه عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين " . ذكره الألباني في "السلسلة الضعيفة "وقال : موضوع.

[13] مسائل أبي داود (ص96).

2- الاعتكاف يمكن صاحبه من انتظار الصلوات، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **" قال ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط"** وانتظار الصلوات معناها : انتظارها في المسجد، وليس مجرد تعلق القلب بها خارجه، فهذا أمر آخر.

3- الاعتكاف يمكن صاحبه من المكث في المسجد فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: **(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المسجد بيت كل تقي وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة)**[14]

4- الاعتكاف يمكن صاحبه من تحري ليلة القدر.

5- الاعتكاف يمكن صاحبه من شهود صلاة الجماعة ، وقد قال سعيد بن المسيب: "من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة" رواه أبو نعيم في الحلية.

6- الاعتكاف يمكن صاحبه من إدراك تكبيرة الإحرام.

7- الاعتكاف يمكن صاحبه من شهود التراويح مع الإمام حتى ينصرف؛ **فعن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم" جمع أهله وأصحابه وقال إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة"**[15] -8

---

[14] قال المنذري : رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وقال : إسناده حسن ، ثم قال المنذري : وهو كما قال رحمه الله تعالى ، وأما الشيخ الألباني فقد حسن الجملة الأولى فقط، وضعف الباقي.

[15] رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وصححه الألباني.

8- الاعتكاف يمكن صاحبه من التفرغ للعبادة ولقراءة القرآن ،وشهود مجالس العلم بالمسجد، والتعاون على البر والتقوى مع المعتكفين والخلطة المؤدية لزيادة المحبة بينه وبين من يعرفهم من المعتكفين.

9- الاعتكاف يمكن صاحبه من التعارف بمن لا يعرفهم من المعتكفين وإيثارهم على نفسه بطعام أو فراش أو غيره والاحتساب في السمع والطاعة لتعليمات المسؤول عن إدارة شؤون الاعتكاف.

الاعتكاف يمكن صاحبه من اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في اعتكافه ،وغير ذلك من النيات الصالحة.

ثانيا/ مقاصد الاعتكاف.

1- تحري ليلة القدر.

2- الخلوة بالله عز وجل ، والانقطاع عن الناس ما أمكن حتى يتم أنسه بالله عز وجل وذكره.

3- إصلاح القلب ، ولم شعثه بإقبال على الله تبارك وتعالى بكليته.

4- الانقطاع التام للعبادة من صلاة ودعاء وذكر وقراءة قرآن.

5- حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس والشهوات.

6- التقليل من المباح من الأمور الدنيوية ، والزهد في كثير منها مع القدرة على التعامل معها.

الجوانب التربوية للاعتكاف

1- **تطبيق مفهوم العبادة بصورتها الكلية:**
يؤصل الاعتكاف في نفس المعتكف مفهوم العبودية الحقة لله عز وجل ، ويدربه على هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلق الإنسان ، إذ **يقول الحق تبارك وتعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات/56 .**

حيث إن المعتكف قد وهب نفسه كلها ووقته كله متعبداً لله عز وجل.
ويكون شغله الشاغل هو مرضاة الله عز وجل، فهو يشغل بدنه وحواسه ووقته – من أجل هذا الأمر – بالصلاة من فرض ونفل وبالدعاء ، وبالذكر ، وبقراءة القرآن الكريم ، وغير ذلك من أنواع الطاعات.
وبهذه الدُّرْبة في مثل أيام العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك يتربى المعتكف على تحقيق مفهوم العبودية لله عز وجل في حياته العامة والخاصة ، ويضع موضع التنفيذ قول الحق تبارك وتعالى : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [الأنعام /163]**

(محياي) أي : ما أعمله في حياتي ، **(ومماتي)** أي : ما أوصي به بعد وفاتي ، **(لله رب العالمين)** أي : أفرده بالتقرب بها إليه .

2- **تحري لليلة القدر:**
وهو المقصد الرئيسي من اعتكافه صلى الله عليه وسلم إذ بدأ اعتكافه أول مرة الشهر كله وكذلك اعتكف العشر الأواسط تحرياً لهذه الليلة المباركة ، فلما علم أنها تكون في العشرة الأخيرة من شهر رمضان اقتصر اعتكافه على هذه العشر المباركة.

3- **تعوّد المكث في المسجد**
فالمعتكف قد الزم نفسه البقاء في المسجد مدة معينة . وقد لا تقبل النفس الإنسانية مثل هذا القيد في بداية أمر الاعتكاف ، ولكن عدم القبول هذا سرعان ما يتبدد عادة بما تلقاه النفس المسلمة من راحة وطمأنينة في بقائها في بيت الله.
ومعرفة المعتكف بأهمية بقائه في المسجد أثناء اعتكافه تتجلى في الأمور التالية:
-أن الرجل الذي يمكث في المسجد قد احب المسجد من قلبه ، وعرف قدر بيوت الله عز وجل ، وهذا الحب له قيمة عند الله عز وجل ؛ إذ يجعله من الفئات التي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.
-أن الذي يمكث في المسجد ينتظر الصلاة له أجر صلاة ، وأن الملائكة تستغفر له ، ففي الحديث الذي أورده أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الملائكة تصلي

على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، لا يزال أحدكم في مصلاه ما دامت الصلاة تحبسه ، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) البخاري 360/2 فتح الباري.

4- **البعد عن الترف المادي والزهد فيه:**

في الاعتكاف يتخفف المعتكف من الكثير من هذه الأمور ، ويصبح كأنه إنسان غريب في هذه الدنيا ، وطوبى للغرباء ، فهو من أجل مرضاة الله عز وجل ارتضى أن يقبع في ناحية من المسجد ليس لديه في الغالب إلا وسادة يضع عليها رأسه وغطاء يتغطى به ، قد ترك فراشه الوثير وعادته الخاصة من أجل ذلك الرضا.

أما طعامه فهو مختلف في وضعه ، إن لم يكن في نوعه ، إن كان طعامه يأتيه من منزله ، فهو عادة لا يأتيه بالكثرة ولا يتناوله بالوضع الذي كان يتناوله في منزله على طاولة وكرسي مع أهله وولده ، بل يأكل كما يأكل الغريب ، ويأكل كما يأكل العبد الفقير إلى ربه ، وإن خرج إلى السوق من أجل الطعام فهو يعمل جاهداً على التعامل مع ما هو متوفر ولا يشترط نوعاً معيناً ، لأنه مطلوب منه العودة إلى معتكفه ، وعدم الإطالة في مثل هذه الأمور ، وبهذا يعرف أن الحياة يمكن إدارتها بالقليل الذي يرضى عنه الله ، وكذلك يمكن إدارتها بالكثير الذي لا يُرضي الله عز وجل ، والفرق بينهما كبير.

5- **الإقلاع عن كثير من العادات الضارة:**

في ظل غياب مفهوم التربية الإسلامية في كثير من المجتمعات الإسلامية ، وفي كثير من بيوت المجتمعات الإسلامية . نشأت وتفشّت لدى أفراد هذه المجتمعات كثير من العادات التي تتعارض مع تعاليم الدين الحنيف ، وعمّت هذه العادات المنكرة حتى أصبحت نوعاً من المعروف الذي لا يرى فيه ضرر على الدين والنفس ، ومن تلك العادات : التدخين ، وسماع الغناء الماجن ، ومشاهدة ما يبث في القنوات الفضائية من مشاهد تُنافي حياء المسلم وعفّته ، وغير ذلك من عادات لها ضررها على الدين والنفس.

وتأتي فترة الاعتكاف لتكشف للفرد المسلم زيف تلك العادات ، وزيف ذلك الاعتقاد الذي سكن في نفوس كثير من المسلمين بعدم

القدرة على التخلص من مثل تلك العادات ، لأنها قد استحكمت في النفوس.

6- **مفهوم العبادة بصورتها الشاملة:**

ويتعرف الإنسان المسلم في فترة الاعتكاف ، وقد خلا إلى خالقه ، على مفهوم العبادة بصورتها الشاملة ، وأنه يجب أن يكون متعبداً لله عز وجل على مدار الساعة في حياته العامة والخاصة.

فهو عندما يتخذ مرضاة الله عز وجل ومحبّته ميزانا يزن به كل عمل يقوم به ، يجد أن تلك العادات التي أشرنا إليها آنفاً وكثير غيرها لا تتفق مع هذه المحبة لله عز وجل بل تعمل في اتجاه معاكس لها ، ويجد بذلك أن مثل تلك العادات تخرجه عن دائرة العبودية الصادقة لله ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب عليه أن يتخلص منها في أسرع وقت ممكن.

7- **التربية على الصبر:**

هذه الطاعات المستمرة لله عز وجل تحتاج إلى صبر مستمر من قِبَل المعتكف ، وفي هذا تربية للإرادة ، وكبْح لجماح النفس التي عادةً ما ترغب في التفلّت من هذه الطاعة إلى أمور أخرى تهواها.

وهناك الصبر على ما نقص مما أَلِفته النفس من أنواع الطعام المختلفة التي كان يطعمها في منزله ، فتلك الأنواع لا تتوفر في المسجد ، فيصبر على هذا القليل من أجل مرضاة عز وجل.

وهناك الصبر على نوع الفراش الذي ينام عليه ، فلن يوضع له سرير في المسجد ، أو فراش وثير كالذي ينام عليه في منزله ، فهو ينام على فراش متواضع جداً إن لم يكن فرش المسجد.

وهناك الصبر على ما يجد في المسجد من مزاحمة الآخرين له ، ومن عدم توفر الهدوء الذي كان يألفه في منزله إذا أراد النوم.

وهناك الصبر عن شهوة الزوجة إذ يحرم عليه مباشرتها عند دخوله إلى منزله للحاجة حتى التقبيل والعناق ، وهي حلاله ، وفي هذا الأمر تتجلى قيمة الصبر وقيمة القوة في الإرادة وضبط النفس ، ومن خلال هذه المواقف وغيرها نجد أنه يمكن تربية الإنسان على القدرة على تأجيل كثير من الأمور والرغبات العاجلة من أجل أمور أهم منها ، فهو يؤجل كل هذه الحاجات النفسية والمادية العاجلة من أجل الفوز برضى الله تبارك وتعالى.

8- قيام الليل والتعود عليه

9- قراءة القرآن وختمه

ثالثا / شروط الاعتكاف ومبطلاته.

أقسام الاعتكاف:

الاعتكاف ينقسم إلى مسنون وواجب.

فالمسنون : ما تطوع به المسلم تقربا إلى الله ، وطلبا لثوابه ، واقتداء بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ويتأكد ذلك في العشر الاواخر من رمضان لما تقدم.

والاعتكاف الواجب ما أوجبه المرء على نفسه ، إما بالنذر المطلق ، مثل أن يقول : لله علي أن أعتكف كذا ، أو بالنذر المعلق كقوله : إن شفا الله مريضي لاعتكفن كذا

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه " وفيه : أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام ، فقال : " أوف بنذرك. "

زمانه:

الاعتكاف الواجب يؤدى حسب ما نذره وسماه الناذر ، فإن نذر الاعتكاف يوما أو أكثر وجب الوفاء بما نذره.

والاعتكاف المستحب ليس له وقت محدد ، فهو يتحقق بالمكث في المسجد مع نية الاعتكاف طال الوقت أم قصر.

ويثاب ما بقي في المسجد ، فإذا خرج منه ثم عاد إليه جدد النية إن قصد الاعتكاف

فعن يعلى بن أمية قال : إني لأمكث في المسجد ساعة ما أمكث إلا لاعتكف وقال عطاء : هو اعتكاف ما مكث فيه ، وإن جلس في المسجد احتساب الخير فهو معتكف . وإلا فلا.

وللمعتكف أن يقطع اعتكافه المستحب متى شاء ، قبل قضاء المدة التي نواها . فعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه ، وأنه أراد مرة أن يعتكف في العشر الاواخر من رمضان فأمر ببنائه فضرب ؛ قالت عائشة : فلما رأيت ذلك أمرت ببنائي فضرب ، وأمر غيري من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ببنائه

فضرب ؛ فلما صلى الفجر نظر إلى الابنية ، فقال : ما هذه ؟ " آلبر تردن " قالت : فأمر ببنائه فقوض (أزيل وهدم) ، وأمر أزواجه بأبنيتهن فقوضت ثم أخر الاعتكاف إلى العشر الاول " يعني من شوال "
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بتقويض أبنيتهن وترك الاعتكاف بعد نيته منهن دليل على قطعه بعد الشروع فيه.
وسبب إنكاره صلى الله عليه وسلم : أنه خاف أن يكنّ غير مخلصات في الاعتكاف بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو غيرته عليهن فكره ملازمتهن المسجد مع أنه يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون ، وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيبتذلن بذلك ، أو لأنه صلى الله عليه وسلم رآهن عنده في المسجد وهو في المسجد فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه وذهب المهم من مقصود الاعتكاف ، وهو التخلي عن الازواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك ، أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن.

شروطه:
ويشترط في المعتكف أن يكون مسلما ، مميزا وطاهرا من الجنابة ونقاء المرأة من الحيض والنفاس ، فلا يصح من كافر ولا صبي غير مميز ولا جنب ولا حائض ولا نفساء.

أركانه:
حقيقة الاعتكاف في ركنين أساسيين:

1- نية التقرب إلى الله تعالى **لقول الله تعالى :** ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾ [البينة: 5] **ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ".**

2- المكث في المسجد، لقول الله تعالى : ﴿ **وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** ﴾ [البقرة: 187] ووجه الاستدلال ، أنه لو صح الاعتكاف في غير المسجد لم يخص تحريم المباشرة بالاعتكاف في المسجد لأنها منافية للاعتكاف ، فعلم أن المعنى بيان أن الاعتكاف إنما يكون في المساجد.

فلو لم يقع المكث في المسجد، أو لم تحدث نية الطاعة لا ينعقد الاعتكاف

رأي الفقهاء في المسجد الذي ينعقد فيه الاعتكاف:
الاعتكاف يصح في كل مسجد يصلى فيها الصلوات الخمس وتقام فيه الجماعة ، وقالت الشافعية الأفضل أن يكون الاعتكاف في المسجد الجامع ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتكف في المسجد الجامع ، ولأن الجماعة في صلواته أكتر ، ولا يعتكف في غيره إذا تخلل وقت الاعتكاف صلاة جمعة حتى لا تفوته.

وقت دخول المعتكف والخروج منه:
تقدم أن الاعتكاف المندوب ليس له وقت محدد . فمتى دخل المعتكف المسجد ونوى التقرب إلى الله بالمكث فيه صار معتكفا حتى يخرج ، فإن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، فإنه يدخل معتكفه قبل غروب الشمس . فعند البخاري عن أبي سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر " . والعشر اسم لعدد الليالي ، أول الليالي العشر ليلة إحدى وعشرين أو ليلة العشرين.
ومن اعتكف العشر الأواخر من رمضان فإنه يخرج بعد غروب الشمس آخر يوم من الشهر.

ما يستحب للمعتكف وما يكره له:
يستحب للمعتكف أن يكثر من نوافل العبادات ، ويشغل نفسه بالصلاة وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والصلاة والسلام على النبي صلوات الله وسلامه عليه والدعاء ، ونحو ذلك من الطاعات التي تقرب إلى الله تعالى وتصل المرء بخالقه جل ذكره.
ومما يدخل في هذا الباب دراسة العلم واستذكار كتب التفسير والحديث ، وقراءة سير الأنبياء والصالحين وغيرها من كتب الفقه والدين ،
ويستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ما يباح للمعتكف
يباح للمعتكف ما يأتي:
1- خروجه من معتكفه لتوديع أهله ، قالت صفية ، كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ثم قمت فانقلبت ، فقام معي ليقلبني (يردها لبيتها)، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد . فمر رجلان من الانصار ، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي " ، قالا : سبحان الله يا رسول الله ، قال : " إن الشيطان يجري من الانسان مرجى الدم ، فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا " أو قال " شرا

2- ترجيل شعره وحلق رأسه ، وتقليم أظفاره وتنظيف البدن من الشعث والدرن ولبس أحسن الثياب والتطيب بالطيب.
قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون معتكفا في المسجد فيناولني رأسه من خلل الحجرة ، فأغسل رأسه وأنا حائض . رواه البخاري ومسلم.

3- الخروج للحاجة التي لا بد منها ، قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يدني إلي رأسه فأرجله ، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الانسان . رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
وقال ابن المنذر : أجمع العلماء على أن للمعتكف أن يخرج من معتكفه للغائط والبول ، لان هذا مما لا بد منه . ولا يمكن فعله في المسجد ، وفي معناه الحاجة إلى المأكول والمشروب إذا لم يكن له من يأتيه به فله الخروج إليه ، وإن بغته القيء فله أن يخرج ليقيء خارج المسجد ، وكل ما لا بد منه ولا يمكن فعله في المسجد فله خروجه إليه ، ولا يفسد اعتكافه ما لم يطل . انتهى.
ومثل هذا الخروج للغسل من الجنابة وتطهير البدن والثوب من النجاسة . روى سعيد بن منصور قال : قال علي بن أبي طالب : إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة ، وليحضر الجنازة ، وليعد المريض وليأت أهله يأمرهم بحاجته وهو قائم.
وأعان رضي الله عنه ابن أخته بسبعمائة درهم من عطائه أن يشتري بها خادما ، فقال : إني كنت معتكفا ، فقال له علي : وما عليك لو خرجت إلى السوق فابتعت ؟
وعن قتادة : أنه كان يرخص للمعتكف أن يتبع الجنازة ويعود المريض ولا يجلس.

وله أن يأكل ويشرب في المسجد وينام فيه ، مع المحافظة على نظافته وصيانته ، وله أن يعقد العقود فيه كعقد النكاح وعقد البيع والشراء ، ونحو ذلك.

ما يبطل الاعتكاف:

يبطل الاعتكاف بفعل شيء مما يأتي:

1- الخروج من المسجد لغير حاجة عمدا وإن قل ، فإنه يفوت المكث فيه ، وهو ركن من أركانه.

2- الردة . لمنافاتها للعبادة ، ولقول الله تعالى : (لئن أشركت ليحبطن عملك).

3 ، 4 ، 5 – ذهاب العقل بجنون أو سكر . والحيض والنفاس ، لفوات شرط التمييز والطهارة من الحيض والنفاس.

6- الوطء لقول الله تعالى : (ولا تقربوهن وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها) ولا بأس باللمس بدون شهوة ، فقد كانت إحدى نسائه صلى الله عليه وسلم ترجله وهو معتكف ، أما القبلة واللمس بشهوة فقد قال أبو حنيفة وأحمد أنه قد أساء ، لأنه قد أتى بما يحرم عليه ، ولا يفسد اعتكافه إلا أن ينزل .

نذر الاعتكاف في مسجد معين:

من نذر الاعتكاف في المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو المسجد الاقصى وجب عليه الوفاء بنذره في المسجد الذي عينه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا "**

أما إذا نذر الاعتكاف في غير هذه المساجد الثلاثة فلا يجب عليه الاعتكاف في المسجد الذي عينه ، وعليه أن يعتكف في أي مسجد شاء ، لان الله تعالى لم يجعل لعبادته مكانا معينا ولأنه لا فضل لمسجد من المساجد على مسجد آخر إلا المساجد الثلاثة ، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة. "

وإن نذر الاعتكاف في المسجد النبوي جاز له أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه.

الخطبة العشرون

زكاة الفطر

عناصر الخطبة:

أولا/ تعريفها، حكمها، الحكمة منها

ثانيا/ على من تجب؟ ومتى تجب؟ ومتى تخرج؟

ثالثا/ مقدار ما يخرج.

رابعا/ ما حكم إخراج القيمة؟

خامسا/ لمن تعطى زكاة الفطر؟

الخطبة العشرون

سنة الاعتكاف في العشر الأواخر

عناصر الخطبة:

أولا/ تعريفها، حكمها، الحكمة منها.

ثانيا/ على من تجب؟ ومتى تجب؟ ومتى تخرج؟

ثالثا/ مقدار ما يخرج.

رابعا/ ما حكم إخراج القيمة؟

خامسا/ لمن تعطى زكاة الفطر؟

أولا/ تعريفها، حكمها، الحكمة منها

تعريفها:

هي الزكاة التي تجب بالفطر في رمضان

حكمها:

واجبة على كل فرد من المسلمين ذكراً كان أم أنثى ، حراً كان أم عبدا، صغيراً كان أم كبيرا ، وذلك بنص الكتاب والسنة ، ومن ذلك : قوله تعالى **(قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى)** [الأعلى 14،15]

وروى البيهقي عن نافع مولى ابن عمر أنه يقول نزلت هذه الآية في زكاة رمضان وقال أبى سعيد الخدري :كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر[16]

[16] استشكل البعض أن السورة مكية وأن زكاة الفطر إنما شرعت بالمدينة لكن قد يتأول هذا بأن الآية تدل على ذلك بالإشارة لا أن زكاة الفطر سبب نزولها بالمعنى الاصطلاحي.

وروى مسلم عن ابن عمر (أن النبي صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر من رمضان على كل نفس من المسلمين حرٍ أو عبدٍ أو رجلٍ أو امرأةٍ أو صغيرٍ أو كبيرٍ صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير)

حكمة مشروعيتها:

والحكمة في ايجاب هذه الزكاة ما جاء **عن ابن عباس قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين " رواه أبو داود**

فهذه الحكمة مركبة من أمرين:

الأول: يتعلق بالصائمين في شهر رمضان وما عسى أن يكون قد شابَ صيامهم من لغو القول ورفث الكلام وجبراً لما يحدث فيه من غفلة أو إخلال ببعض الآداب وشبهها بعض الأئمة بسجود السهو.

قال وكيع بن الجراح : زكاة الفطر لشهر رمضان ، كسجدة السهو للصلاة تجبر نقصان الصوم ، كما يجبر السجود نقصان الصلاة.

وأما الثاني : فيتعلق بالمجتمع وإشاعة المحبة والمسرة في جميع انحائه وخاصة المساكين وأهل الحاجة فيه ، فالعيد يوم فرح وسرور فينبغي تعميم الفرح والسرور على كل أبناء المجتمع فيفرح الجميع غنيهم وفقيرهم ، فكانت فرضية الزكاة ليشعر الفقير أن المجتمع لم يهمل أمره ولم ينسه في أيام سروره ولهذا ورد في الحديث **(أغنوهم في هذا اليوم)** أخرجه البيهقي والدارقطني عن ابن عمر

وكان من حكمة الشارع :أيضاً تقليل مقدار الواجب ـ كما سيأتي – وإخراجه من غالب قوت الناس مما يسهل عليهم ، حتى يشترك أكبر عدد ممكن من الأمة في هذه المساهمة الكريمة.

ثانيا/ على من تجب؟ ومتى تجب؟ ومتى تخرج؟

على من تجب ؟

جمهور العلماء على أن صدقة الفطر تجب على كل مسلم يخرجها عن نفسه ومن يعول وتلزمه نفقته من زوجة وأولاد أو والدين ينفق عليهما، وكل من ولد له قبل غروب آخر يوم من رمضان، ودليلهم ما رواه الجماعة عن ابن عمر- رضي الله عنهما- **قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة**

الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين).

وقال سعيد بن المسيب والحسن البصري- رحمهما الله- لا تجب إلا على من وجب عليه الصوم لأنها وجبت تطهيرًا، والصبي ليس محتاجًا إلى تطهير لعدم الإثم، ودليلهم حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: **(فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث).**

وقد رد عليهم الإمام ابن حزم- رحمه الله- فقال: إن ذكر التطهير خرج مخرج الغالب كما أن بعض الأحاديث ذكرت حكمة أخرى لإيجاب هذه الزكاة وأنها (طعمة للمساكين)، وحديث "أغنوهم في هذا اليوم"، فإذا كانت صدقة الفطر تطهيرًا من جانب، فهي طُعمة وإغناء من جانب آخر، وهذه حكمة تنطبق على الصغير، كما تنطبق على الكبير.

والراجح ما عليه الجمهور أنها واجبة على كل مسلم ومن تلزمه نفقته.

هل يشترط لصدقة الفطر نصابًا؟

الراجح أنها لا يشترط فيها نصاب ونص الحديث.. (على العبد والحر) يشمل الغني والفقير الذي لا يملك نصابًا، وكل ما يشترط فيها هو:

أ- الإسلام.

ب- أن يملك قوت يوم العيد وليلته له ولمن تلزمه نفقته.

وقال الإمام الشوكاني- رحمه الله- (وهذا هو الحق، لأن النصوص أطلقت ولم تخص غنيًّا ولا فقيرًا، ولا مجال للاجتهاد في تعيين المقدار الذي يعتبر أن يكون مخرج الفطرة مالكًا له، ولاسيما والعلة التي شُرِعَتْ لها الفطرة موجودة في الغني والفقير وهي التطهر من اللغو والرفث واعتبار كونه واجدًا لقوت يوم وليلة أمر لا بد منه، لأن المقصود من شرع الفطر إغناء الفقراء في ذلك اليوم.... فلو لم يعتبر في حق المخرج ذلك لكان ممن أُمرنا بإغنائه في ذلك اليوم لا من المأمورين بإخراج الفطرة وإغناء غيره).[17]

---

[17] نيل الأوطار جـ4 ص186

إذن فهي فرض على الفقير والغنى ، بل قال العلماء يستحب للفقيرين أن يتبادلاها حتى لا يحرما من الأجر.

ويخرجها الرجل عن نفسه وعمن تلزمه نفقته ويلى أمره بسبب القرابة كطفلة الفقير الذى عليه نفقته ، أما الأولاد الذكور العقلاء فلا يجب على الأب أن يخرج عنهم إلا إذا كانوا عاجزين عن الكسب أو لاشتغالهم بالدراسة.

متى تجب ؟

عند الحنفية : بطلوع فجر عيد الفطر لأنها قربة تتعلق بيوم الفطر فلا تتقدم عليه كالأضحية.

وعند الشافعي ومالك وأحمد : تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان لأنها تضاف إلى الفطر فتجب به.

وثمرة الخلاف:

فيمن ولد أو أسلم قبل الفجر من يوم العيد وبعد غروب الشمس في آخر يوم من رمضان وكذلك المكلف الذى يموت في هذا الوقت.

متى تخرج ؟

يجوز تعجيلها قبل العيد بيوم أو يومين عند جمهور الفقهاء في الصحيحين عــن ابن عمر أن رسول الله أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة.

قال نافع : وكان ابن عمــر يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين وهذا قول الإمامين مالك واحمد.

وحمل الشافعي التقييد بـ (قبل الصلاة) على الاستحباب وقال بجواز إخراجها من أول شهر رمضان لأن سبب الصدقة الصوم والفطر عنه ، فإذا وجد أحد السببين جاز تعجيلها كزكاة المال بعد ملك النصاب وقال أبو حنيفة يجوز تعديلها من أول الحول لأنها زكاة فأشبهت زكاة المال

وقول مالك وأحمد أقرب إلى تحقيق المقصود ، وهو إغناؤهم في يوم العيد بالذات وإن كان بعض الحنابلة قال بجواز تعجيلها من بعد نصف الشهر فهذا القول أيسر على الناس وخاصة إذا كان من يتولى ذلك الجمعيات الخيرية المعنية بهذا الأمر ، فالزكاة حينئذ تحتاج إلى تنظيم

وتوزيع لتنال مستحقيها ولا يكفى ان يكون ذلك قبل العيد مباشرة ، فتوسيع الزمن له عامل كبير في ضمان تحقيق الهدف الشرعي من الزكاة بحيث

تشرق شمس العيد وقد وصل إليهم حقهم فيشعرون بفرحة العيد كما يشعر بها سائر الناس.

ثالثا/ مقدار ما يخرج.

صاع من القمح او الشعير او التمر أو الزبيب او الأقط (اللبن المجفف) أو الأرز ، أو السكر ، أو الزيت ، أو السمن ، أو المكرونة ... الخ.

من غالب قوت البلد ، ومن الممكن التنويع في الأقوات كلها ·

مقدار الصاع

الأرز البلدي = 2.150 كجم

تمر = 1.350 كجم

زبيب = 1.50 كجم

عدس بجبة = 2.600 كجم

قمح = 2.176 كجم

مكرونة ، لوبيا ، عدس أصفر = 2 كجم

والحكمة من ذلك أمرين:

1- ان النقود كانت نادرة عند العرب.

2- تغير القدرة الشرائية للنقود من وقت لآخر والصاع يشبع عائلة ليوم طعاماً في الغالب.

رابعا/ ما حكم إخراج القيمة؟

للفقهاء قولان بهذه المسألة:

القول الأول: ذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله إلى أن زكاة الفطر إنما تخرج من الطعام الغالب عند أهل البلد.

لحديث ابن عمر قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد الحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة)

رواه البخاري ومسلم.
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنا نعطيهما في زمان النبي صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب فلما جاء معاوية وجاءت السمراء -أي القمح الشامي- قال: أرى مداً من هذه يعدل مدين) رواه البخاري.

القول الثاني : وذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى أنه يجزئ إخراج القيمة بدلاً عن الطعام ، ونقل هذا القول أيضا عن جماعة مِن السلَف من كبار الصحابة؛ كأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وابن مسعود، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، وغيرهم، رضي الله عنهم، وهو مذهب جماعة من التابعين، كما أنه قول طائفة من العلماء يُعْتَدُّ بهم، منهم: الحسن البصري؛ حيث روي عنه أنه قال: "لا بأس أن تعطي الدراهم في صدقة الفطر"، وأبو إسحاق السبيعي؛ فعن زهير قال: سمعت أبا إسحاق يقول: "أدركتُهم وهم يعطون في صدقة الفطر الدراهم بقيمة الطعام"، وعمر بن عبد العزيز؛ فعن وَكِيعٍ عن قُرّة قال: جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز في صدقة الفطر: "نصف صاع عن كل إنسان أو قيمته نصف درهم".[18]

وهو أيضًا مذهب الثوري، وبه قال إسحاق بن راهويه، وأبو ثور، إلا أنهما قيدا ذلك بالضرورة.[19]

كما أن القول بإجزاء إخراج القيمة في زكاة الفطر روايةٌ مُخَرَّجة عن الإمام أحمد نَصَّ عليها الإمام المرداوي.[20]

وأجاز القيمة أيضًا الثوري، وأشهب، والقاسم من المالكية، وقول للإمام ابن تيمية حيث قال في مجموع الفتاوى : رحمه الله-: [21]

الأظهر في هذا أن إخراج القيمة لغير الحاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع منه ، ولهذا قدر النبي صلى الله عليه وسلم الجبران بشاتين او عشرين درهماً ولم يعدل إلى القيمة.

---

[18] روى هذه الآثار الإمام أبو بكر بن أبي شَيبة في "المصَنَّف" (2/ 398، ط. مكتبة الرشد)

[19] ذكره الإمام النووي في "المجموع شرح المهذب" (6/ 112، ط. دار الفكر).

[20] في "الإنصاف" (3/ 182، ط. دار إحياء التراث العربي).

[21] ينظر مجموع الفتاوى (ج 25، 82 ، 83)

ولأنه متى جوز إخراج القيمة مطلقاً فقد يعمد المالك إلى أنواع رديئة وقد يقع في التقويم ضرر، ولأن الزكاة مبناها على المواساة ، وهذا معتبر في قدر المال وجنسه ، وأما إخراج القيمة للحاجة أو المصلحة أو العدل فلا بأس به.

ـ مثل أن يبيع ثمر بستان أو زرعه بدراهم فهنا إخراج عُشر الدراهم يجزئه ولا يكلفه أن يشترى تمراً أو حنطة ، إذا كان قد ساوى الفقراء بنفسه ، ونص على جواز ذلك أحمد

ـ ومثل من يجب عليه شاه في خمس من الإبل وليس عنده من يبيعه شاه ، فإخراج القيمة هنا كاف ،ولا يكلف السفر إلى مدينة أخرى ليشتري شاه.

ـ أو أن يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه إعطاء القيمة لأنها أنفع فيعطيهم إياها ، أو يرى الساعي (عامل الزكاة) إنها انفع للفقراء.

ـ ما نقل عن معاذ أنه كان يقول لأهل اليمن : " ائتونى بخميص أو لبيس (نوعان من الثياب) أيسر عليكم وخير لمن في المدينة من المهاجرين والأنصار ا. هـ. كلامه

وهذا كان في زكاة زرعهم ، وهذا ينطبق على زكاة الفطر وهذا الحديث ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم

وهذا هو القول الراجح إن شاء الله لما يلي:
أولاً: إن الأصل في الصدقة المال لقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً}. والمال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة وأطلق على ما يقتنى من الأعيان مجازاً وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم المنصوص عليه إنما هو للتيسير ورفع الحرج لا لتقييد الواجب وحصر المقصود.

ثانياً: إن أخذ القيمة في الزكاة ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة فمن ذلك ما ورد عن طاووس قال معاذ باليمن: ائتوني بعرض ثياب آخذه منكم مكان الذرة والشعير فإنه أهون عليكم وخير للمهاجرين بالمدينة. رواه يحيى بن آدم في كتاب الخراج.

وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه فقال: باب العرض في الزكاة وذكر الأثر عن معاذ ونصه [وقال طاووس: قال معاذ رضي الله عنه لأهل اليمن ائتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة] واحتجاج البخاري بهذا يدل على قوة الخبر عنده كما قال الحافظ بن حجر في فتح

الباري 4/ 54.
ونقل الحافظ عن ابن رشيد قال: وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم لكن قاده إلى ذلك الدليل.
وفعل معاذ مع إقرار النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك يدل على جوازه ومشروعيته.
ثالثاً: إن المقصود من صدقة الفطر إغناء الفقراء وسد حاجتهم وهذا المقصود يتحقق بالنقود أكثر من تحققه بالأعيان وخاصة في زماننا هذا لأن نفع النقود للفقراء أكثر بكثير من نفع القمح أو الأرز لهم، فالمقصد هو أن يشعر الفقير بفرحة العيد مثل الغني، والفقير اليوم يحتاج أن يشتري لأولاده الملابس الجديدة وهدايا العيد، ولا يصح فيها اليوم غير المال، وقد رأينا عشرات المرات المساكين يبيعون الحبوب لنفس التجار الذين اشترى منهم الأغنياء تلك الأصناف بثمن أقل، فهل شرعت زكاة الفطر لإغناء التجار على حساب الفقراء، وإضاعة وقت الفقير في عملية التبادل والمقايضة؟ وبوسع الفقير أن يشتري حبوبا بالمال دون خسارة، ولا يسعه أن يحصل على المال إن أخذ حبوبا إلا بالخسارة.

خامساً: قال الدكتور يوسف القرضاوي: [أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرض زكاة الفطر من الأطعمة السائدة في بيئته وعصره إنما اراد بذلك التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم فقد كانت النقود الفضية أو الذهبية عزيزة (نادرة أو قليلة)عند العرب وأكثر الناس لا يكاد يوجد عنده منها إلا القليل أو لا يوجد عنده منها شيء وكان الفقراء والمساكين في حاجة إلى الطعام من البر أو التمر أو الزبيب أو الأقط، لهذا كان إخراج الطعام أيسر على المعطي وأنفع للآخذ ولقصد التيسير أجاز لأصحاب الإبل والغنم أن يخرجوا (الأقط) وهو اللبن المجفف المنزوع زبده فكل إنسان يخرج من الميسور لديه. ثم إن القدرة الشرائية للنقود تتغير من زمن لآخر ومن بلد لآخر ومن مال لآخر فلو قدر الواجب في زكاة الفطر بالنقود لكان قابلاً للارتفاع والانخفاض حسب قدرة النقود على حين يمثل الصاع من الطعام إشباع حاجة بشرية محددة لا تختلف فإذا جعل الصاع هو الأصل في التقدير فإن هذا أقرب إلى العدل وأبعد عن التقلب]

سادسا: سئل الشيخ ناصر الألباني: هل يجوز إخراج قيمة صدقة الفطر بدلاً من عينها؟

فأجاب- رحمه الله- قائلاً: (هذا لا شك يجاب عنه حسب الظروف والبيئة، فهناك بينات متأثرة بالمدنية والحضارة، والناس لا يطحنون بأيديهم، فإذا أعطى المتصدق أحد الفقراء قمحًا أو شعيرًا فإنه لا يحتاجه، وسيلجأ إلى بيعه، ثم بعد ذلك يأخذ المال ويشتري ما يحتاجه من طعام وشراب يوم العيد، فحينذاك نقول إذا تمسكت بإخراج الأعيان التي ورد النص بزكاة الفطر منها نكون قد آذينا الفقير وسببنا له الضرر مرتين، مرة حين باع هذه الأنواع فهو سيخسر فيها، ثم خسر إذا أراد أن يشتري شيئًا آخر، المهم أنه يتأذى وهذه مسألة بالنسبة لزكاة الفطر وليست مسألة من العبادات التي لا يدري الحكمة منها ولا يُعرف وجه المصلحة التي رمى الشارع إليها، فنقول هكذا ورد الشرع، فليس علينا إلا التسليم كسائر العبادات، بينما هنا أمور مفهومة الحكمة والمعنى... فلا شك أن الشارع أراد بها مصلحة الفقير، ومصلحة الفقير هنا في مثل هذه البيئات تتضرر إذا تمسكت بإخراج أعيان، والصواب ما عليه الأحناف من جواز إخراج القيمة في مثل هذه البيئة. [22]

خامسا/ لمن تعطى زكاة الفطر؟

اختلف العلماء في مصرف زكاة الفطر علي قولين :

الأول: أن مصرفها هو مصارف الزكاة الثمانية ، وهو مذهب جمهور العلماء خلافا للمالكية .

وذلك لقوله تعالي: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾**﴾ **[التوبة: 60]**

فقالوا سماها النبي زكاة وهي فريضة واجبة فتصرف في مصارف الفريضة قال النووي في المجموع : والمشهور في مذهبنا أنه يجب صرف الفطرة إلي الأصناف الذين يصرف إليهم زكاة المال .

وجوزها مالك وأبو حنيفة وأحمد وابن المنذر إلي واحد فقط قالوا: ويجوز صرف فطره جماعة إلي مسكين واحد .

---

[22] كتاب الحاوي في فتاوى الألباني جـ1 ص284.

القول الثاني: أنها تصرف للمحتاجين (الفقراء والمساكين فقط)

وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عباس :
" فرض رسول الله صلي الله عليه وسلم زكاة الفطر طهره للصائم عن اللغو والرفث وطعمه للمساكين" .

وقد علق الشوكاني على حديث ابن عباس فقال : وفيه دليل علي أن الفطرة تصرف في المساكين دون غيرهم من مصارف الزكاة .

وهذا مذهب المالكية واختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم حيث قال في زاد المعاد: (ردا على من قال بصرفها للأصناف الثمانية)

" وكان من هديه تخصيص المساكين بهذه الصدقة ، ولم يكن يقسمها على الأصناف الثمانية قبضة قبضة، ولا أمر بذلك ، ولا فعله أحد من أصحابه ولا من بعدهم ، بل أحد القولين عندنا أنه لا يجوز إخراجها إلا على المساكين خاصة.

من لا تصرف لهم صدقة الفطر:

لا يجوز دفعها إلى:

1- كافر معادٍ الإسلام.

2- ولا مرتد.

3- ولا لفاسق يتحدى المسلمين بفسقه.

4- ولا غني بماله أو كسبه.

5- ولا متبطل قادر على الكسب ويجد العمل ولا يعمل.

6- ولا لمن تلزمه نفقته من والد وولد وزوجة.

****

الخطبة الحادية والعشرون

في وداع رمضان

عناصر الخطبة:

أولا/ لكل شيء إذا ما تم نقصان.

ثانيا/ بشرى للصائمين.

ثالثا/ ربنا تقبل منا.

رابعا/ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

خامسا / كثرة النوافل علامة حب العبد لله.

سادسا/ احذروا من العجب والغرور.

الخطبة الحادية والعشرون

في وداع رمضان

عناصر الخطبة:

أولا/ لكل شيء إذا ما تم نقصان.

ثانيا/ بشرى للصائمين.

ثالثا/ ربنا تقبل منا.

رابعا/ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

خامسا / كثرة النوافل علامة حب العبد لله.

سادسا/ احذروا من العجب والغرور.

أولا/ لكل شيء إذا ما تم نقصان

ها هو الشهر الكريم لم يبق منه إلا سويعات ويرحل، وسبحان من يغير ولا يتغير

لكل شيء إذا ما تم نقصان.... فلا يغر بطيب العيش إنسان

نزل جبريل الأمين عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فانك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس "

فيا شهر الصيام فدتك نفسي ..... تمهل في الرحيـــل والانتقال

فما أدري إذا ما الحـول ولىّ ..... وعدت بقابل في غيـــر حال

أتلقـــاني مع الأحيـــــاء حيا ..... أم أنـك تلقني في اللـحد بالِي

وقال الحسن : " يا ابن آدم، إنما هي أيام إذا مضى يومك ينقصك. "

وقيل في المعنى شعرا:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى نقص من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإنما الربح والخسران في العمل

وقال بعض الحكماء : "عجبت لمن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على نقصان عمره".
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ويل لمن كانت الدنيا همه، والخطايا عمله، كيفما يقدم غدا بقدر ما تحرثون تحصدون. "

ثانيا/ بشرى للصائمين:

إنَّ بلوغ رمضان لنعمةٌ عظمى ، لا يقْدُرُها حق قدرِها إلا الموفَّقون، فلقد كنّا بالأمس القريبِ نتشوق للقائه، ثم – ولله الحمد – عشنا في نفحاته لحظات مرّت مرور الطيف ولمعت لمعان البرق.
فخرج المسلم منها بصفحة مشرِقة بيضاء ناصعةٍ ، مبرأةً من سيئات الأعمال، قد استلهم الصائم الصادق المحتسب من مدرسة رمضان قوَّة الإرادة والعزيمة على كل خير، وتقوى الله في كل حين، تقويما للسلوك ، وتزكية للنفوس، وتنقيةً للسرائر وإصلاحاً للضمائر، وتمسّكاً بالخيرات والفضائل، وبُعداً عن القبائح والرذائل.
فغدا الصوم لنفسه حصناً حصيناً من الذنوب والمآثم، وحميً مباحاً للمحاسن والمكارم، فصفتْ روحه ، ورقَّ قلبه، وصلحتْ نفسه، وتهذَّبتْ أخلاقه.

هذا في الدنيا أما في الآخرة فقد قال: **(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي ربي منعته الطعام فشفّعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفّعني فيه، قال : فيشفعان) رواه أحمد وصححه الألباني.**

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.)
وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه عن النبي قال : (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)

ثالثا/ ربنا تقبل منا

روى الترمذي عن عبد الرحمن بن سعيد أن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله عن هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: 60] فقلت : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يُقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات).

قال ابن عمر رضي الله عنه : لو أعلم أن الله تقبل مني ركعتين لتمنيت الموت بعدها قال تعالى : **(إنما يتقبل الله من المتقين).**

كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده .

وعن علي رضي الله عنه قال : كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل.

رابعا/ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

إيه أيتها النفس ؟!

كنت منذ أيام... في صلاة ، وقيام ، وتلاوة ، وصيام ، وذكر ، ودعاء ، وصدقه ، وإحسان ،وصلة أرحام!

ذقنا حلاوة ا لإيمان وعرفنا حقيقه الصيام ، وذقنا لذّه الدمعة ، وحلاوة المناجاة في الأسحار!!

نتذكر بعد رمضان أنا كنا نُصلي صلاة من جُعلت قرةُ عينه في الصلاة ، وكنا نصوم صيام من ذاق حلاوته وعرف طعمه ، وكنا ننفق نفقه من لا يخشى الفقر ، وكنا .. وكنا.. مما كنا نفعله في هذا الشهر المبارك الذي سيرحل عنا بعد قليل!

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين كذا يجب أن يكون العبد ... مستمر على طاعة الله ، ثابت على شرعه ، مستقيم على دينه ، لا يروغ روغان الثعلب ، يعبد الله في شهر دون شهر ، أو في مكان دون آخر ، كلا وألف كلا.

بل يعلم أن ربّ رمضان هو ربّ بقية الشهور والأيام ، قال تعالى : ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ** ﴾ **[هود: 112]**

خامسا / كثرة النوافل علامة حب العبد لله

النافلة كلمة بها من الروعة ما بها وتحتوي من المعاني الكثير، ومهما قيل في تفسيرها لغة فإنها على كل حال تتضمن معنى الزيادة؛ وهي تعني في الشرع الزيادة في العبادة على مقدار الفريضة، من جنس تلك الفريضة.

وهنا يجدر التنبيه إلى أن بعض الناس يحسبون أن النوافل محصورة في الصلاة؛ والصواب أن لكل عبادة فروضها ونوافلها؛ فكما أنّ للصلاة نوافلها، فكذلك للزكاة نوافلها، وللصوم نوافله، وللحج نوافله.

ومن عظمة الإسلام أنه أمر على سبيل الوجوب بالحد الأدنى الذي لا بد منه، وهو مقدار الفرض من كل عبادة، ثم شجع على النوافل، وترك الباب مفتوحا للاستزادة منها من غير أن يضع حدا، أو يقدر مقدارا؛ فالباب مفتوح للتنافس، فأين الطامحون؟

فما أشد غفلة الذي يزهد بالنوافل ويقتصر على الفرائض!
إنه يزهد بالخير العميم الذي وعد الله عباده الذين يتقربون إليه بالنوافل؛
وينسى أنه لا يخلو من تقصير في واجب، أو وقوع في معصية، وأنه بحاجة إلى هذه النوافل التي تجبر نقصه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ **[هود: 114]**

والنوافل فيها من المعاني والدلالات العظيمة ما لا يدركه إلا من فتح الله عين بصيرته، منها:

1- أن النوافل أولا سور منيع، وسياج يحمي الفرائض من تسرب الضعف إليها؛ فمن حافظ على النوافل كان على الفرائض أكثر محافظة، ومن تهاون بها كانت الخطوة التالية إذا تمكن الكسل من المرء أن يفرط بالفرائض، والعياذ بالله.
فالشيطان يشجع المرء أولا على ترك النافلة، محتجا بأنها ليست مفروضة، فإذا نجح في ذلك خطا خطوة أخرى مع العبد الذي انخدع به وخضع لإيحاءاته.

2- والنوافل جوابر؛ يجبر بها يوم القيامة ما قد يكون في الفرائض من نقص أو خلل غير مبطل. أرأيت الإنسان إذا كسر عضو من أعضائه كيف توضع له الجبيرة ليعود العضو كما كان؟!
وكذلك النوافل تعوض النقص وتصلح الخلل؛ فقد جاء في الحديث الذي **رواه الطبراني في الأوسط أن أبا هريرة قال: "سمعت رسول الله**

صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن أتمها كتبت له تامة، وإن كان قد انتقصها قيل: انظروا هل لعبدي من نافلة تكملون بها فريضته؟ ثم تؤخذ الأعمال بعد ذلك".

3- النوافل دليل العبودية الحقة لله تعالى؛ لأن أي فعل لا بد له من دافع يدفع إليه. ومن المعلوم أن الإنسان يميل بطبعه إلى الراحة، فما الذي يجعل جنبه يتجافى عن مضجعه؟ وما الذي يبعثه من فراشه ليقف في ليل الشتاء البارد متذللا خاشعا بين يدي مولاه؟ إنه الشوق إلى مرضاة الله، والراحة التي يجدها في الركون إليه، وما يمده الله به من الأنوار.

4- والنوافل علامة على أن العبد يرغب بالتقرب إلى الله سبحانه ويبتغي الزلفى لديه عز وجل، وهذا ينقله إلى مرتبة رفيعة؛ إنها مرتبة المحبوب. فلا يكفي أن تكون محبا، فكم من محب ليس بمحبوب!
والأهم والأرقى أن تكون محبوبا، قال تعالى: ﴿ **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ **[المائدة: 54]**

وقد جعل الله تعالى النوافل سببا لبلوغ مرتبة الحب؛ ففي الحديث القدسي الذي **رواه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه".**

5- ومن أسرار النوافل أنها باب واسع مفتوح للربح وجني الأجر والثواب من غير حدود وقيود:
ومن العجيب أن بعض الناس لا يشبعون من الربح الدنيوي، ولكنهم ربما زهدوا في الربح الأخروي، غير أن العاقل يعمل لآخرته كأنه يموت غدا، ويتزود لسفر طويل لا بد منه، والنوافل من خير الزاد وأفضل العتاد.

سادسا/ احذروا من العجب والغرور

الزموا الخضوع والانكسار للعزيز الغفار، وإياكم والعجب والغرور بعد رمضان! ربما حدثتكم أنفسكم أن لديكم رصيد كبير من الحسنات أو أن ذنوبكم قد غُفرت فرجعتم كيوم ولدتكم أمهاتكم.
فما زال الشيطان يغريكم والنفس تلهيكم حتى تكثروا من المعاصي والذنوب.

ربما تعجبكم أنفسكم فيما قدمتموه خلال رمضان؛ فإياكم ثم إياكم والعجب فإن الله عز وجل يقول : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: 6] فلا تَمُنّ على الله بما قدمت وعملت، واحذر من مفسدات العمل الخفية من (النفاق، والرياء، والعجب).

اللهم لك الحمد على أن بلغتنا شهر رمضان ،

اللهم تقبل منا الصيام والقيام ،

وأحسن لنا الختام ،

وأعده علينا أعواماً عديدة وأزمنة مديدة ،

واجعله شاهداً لنا لا علينا ،

اللهم اجعلنا فيه من عتقائك من النار ،

واجعلنا فيه من المقبولين الفائزين.

اللهم آمين.

****

الخطبة الثانية والعشرون

ماذا تعلمنا من رمضان ؟

عناصر الخطبة:

أولا / سهولة القيام بالكثير من الطاعات.

ثانيا / التخلق بالأخلاق الفاضلة

ثالثا / القدرة على ترك العادات السيئة

رابعا / أن نستشعر آلام الفقراء والمحتاجين

خامسا / استشعرنا حلاوة القرب من الله

سادسا /التجارة مع الله دائما رابحة

الخطبة الثانية والعشرون

ماذا تعلمنا من رمضان ؟

بداية أهنئكم بحلول عيد الفطر المبارك ، والحمد لله أن بلغنا رمضان وأعاننا فيه على الصيام والقيام ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتبنا عنده من المقبولين الفائزين وأن يثبتنا على صراطه المستقيم اللهم آمين.

ماذا تعلمنا من رمضان ؟

كان رمضان معسكرا ربانيا دام شهر كاملا تعلمنا فيه الكثير من الدروس وتخلقنا فيه بالعديد من الأخلاق والصفات فماذا تعلمنا من رمضان ؟

عناصر الخطبة:

أولا / سهولة القيام بالكثير من الطاعات.

ثانيا / التخلق بالأخلاق الفاضلة

ثالثا / القدرة على ترك العادات السيئة

رابعا / أن نستشعر آلام الفقراء والمحتاجين

خامسا / استشعرنا حلاوة القرب من الله سبحانه وتعالى

سادسا /التجارة مع الله دائما رابحة

أولا / سهولة القيام بالكثير من الطاعات.

فلا توجد مشكلة أبدا في صيام التطوع فقد صمنا شهرا كاملا ، ومر الشهر سهلا يسيرا والحمد لله ، ويمكننا أن نقيم الليل ؛ فقيام الليل ليس بالشيء المستحيل فقط نحتاج أن نرتب أوقاتنا ونغتنم الليل بعد العشاء ببعض الركعات نقيمها بين يدي الله عز وجل.

وتعلمنا أن ختم القرآن ليس شيئا معجزا ولا مستحيلا ، بل ممكن ... فقد كنا نمسك بالمصاحف ونقرأ جزءا أو جزأين فمنا من ختم القرآن مرة، وربما أكثر ، فلا يعقل أن نقبّل المصحف بعد رمضان، ثم نضعه في مكانه بركة

بالبيت لا يمسه أحد حتى رمضان التالي ، فماذا يمنع أن يكون لنا وردا ثابتا من تلاوة القرآن أو حفظه ، أو الانضمام إلى أحد حلقات تحفيظ القرآن وتجويده والتي صارت منتشرة ويسيرة بالمساجد وأون لاين.

ثانيا / التخلق بالأخلاق الفاضلة

وتعلمنا من رمضان التحلي بالأخلاق الفاضلة مثل الصبر وسعة الصدر وعفة اللسان والبعد عن الكذب والغيبة والسب والشتم ، والبعد عن العادات السيئة ...وهذا كله من فضل الله علينا، فكل إنسان منا طوال رمضان إذا أراد فعل شيء مما اعتاده عند الغضب فإنه يتوقف قائلا : أنا صائم ، لا بد من التحلي بالصبر !! فالصيام علم الإنسان كيف يكون صبورا عنده سعة صدر وقدرة على احتواء غيره.

ثالثا / القدرة على ترك العادات السيئة

علمنا رمضان أن الاستغناء عن العادات السيئة ممكن فالصائم غيّر مواعيد أكله وانقطع عنه لصيامه لساعات طويلة ...بدأ في أول أيام رمضان يعاني من ذلك فلما اعتاد الصيام بعد عدة أيام صار الأمر طبيعيا حتى أننا بعد رمضان كلما هممنا بشرب الماء في النهار نتردد لبعض الوقت أسأل نفسي هل ما زلت صائما ؟!

إذن فمن الممكن التخلص من العادات السيئة بكل سهولة لأن الصائم صار عنده إرادة على أن يمسك ويمتنع عن الماء والطعام ، وهل الخير إلا إرادة ، وهل فعل أي شيء إلا إرادة وهل ترك السيئات والمعاصي إلا إرادة ؟ فما يمنعنا من تحقيق هذه الإرادة مستعينين بالله سبحانه وتعالى لمنع العادات السيئة والاقلاع عنها نهائيا.

فتقوية الإرادة والقدرة على الفعل والترك أثر من آثار صيام رمضان.

رابعا / أن نستشعر آلام الفقراء والمحتاجين

لأن إلف النعمة يفقدنا الإحساس بقيمتها، فتعلمنا بالصيام قيمة شربة الماء ولقمة الغذاء وأن ما نتمتع به من نعم حرم منه غيرنا.

ومن الأمور الطيبة قيام بعض الجمعيات الإغاثية بعمل سلة الغذاء لإطعام الفقراء فكما أعزم بعض أصدقائي على الإفطار ما المانع أن أعزم أسرة فقيرة بأن أهديهم ثمن وجبة مشبعة لأسرة فقيرة.

فلا يعرف حال الجياع إلا من حُرم الطعام ، قال يوسف عليه السلام عندما سئل عن سبب صيامه وقد صار عزيز مصر: "إني أخشى أن اشبع فأنسى الجياع "

خامسا / استشعرنا حلاوة القرب من الله سبحانه وتعالى

ترق قلوبنا بالنهار صياما وفي الليل قياما نتلو هداية الله من وحي السماء أو نسمع لإمامنا في التراويح ، واستشعرنا حلاوة الدعاء وكيف نرفع أيادينا ندعو الله ونظهر فقرنا وخشوعنا وانكسارنا بالوقوف على باب نستمطر فضله ورحمته سبحانه وتعالى.

فهل الدعاء لا يكون إلا في رمضان ؟!!

كلا ، فإن الدعاء عبادة في كل وقت وحين ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بدعائه في أكثر من موضع في كتابه الكريم : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: 60]

وفي حديث أبي ذر القدسي الطويل من قول الله تبارك وتعالى : (يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ! كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم... يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)رواه مسلم

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا تمنى أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه عز وجل) رواه ابن حبان

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (سلوا الله كل شيء حتى الشسع ، فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر) أخرجه أبو يعلى وقال الألباني في "السلسلة الضعيفة" :" وهذا سند موقوف جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم ".

والشسع : سير النعل الذي تدخل بين الأصبعين ، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام .

ورأى الحسن البصري رجلا صلى وتعجل في صلاته فقال: أما كان له حاجة عند مولاه ، يقصد الدعاء.

فلا تغفل أخي أبدا هذه العبادة **فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (من لم يسأل الله يغضب عليه)**

سادسا /التجارة مع الله دائما رابحة

حينما ينجح تاجر في تجارته فإنه يقوم بتوسيع تجارته فيكون له فرع واثنين وعشرة ؛ فنجاحنا في رمضان يدفعنا أن نزود تجارتنا مع الله ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]

أي تجارة عرضة للمكسب والخسارة إلا التجارة مع الله فإنها رابحة دائما ، والتجارة في الدنيا لتحقيق ربح مادي ، أما التجارة مع الله فإنك تربح بها الدنيا والآخرة ، فمن علامات القبول استمرار التجارة مع الله بل والتوسع فيها وزيادتها ، فرمضان بداية الهداية وسلوك الطريق إلى الله.

****

الخطبة الثالثة والعشرون

الفتور بعد رمضان

عناصر الخطبة

أولا/ ما هو الفتور؟

ثانيا/ أسباب الفتور.

ثالثا/ علاج الفتور.

الخطبة الثالثة والعشرون

الفتور بعد رمضان

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 99]

وخاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم قائلا : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴿٨﴾﴾ [الشرح: 7-8]

ها نحن قد ودعنا شهر رمضان بأيامه الفاضلة ولياليه العامرة فاز فيه من فاز بالرحمة والغفران والعتق من النيران وخسر فيه من خسر بالذنوب والعصيان.

فلماذا تضعف الهمم بعد رمضان؟ وكيف لمن ذاق حلاوة الطاعات في رمضان أن يتكاسل عنها بعده؟

عناصر الخطبة:[23]

أولا/ ما هو الفتور؟

ثانيا/ أسباب الفتور المؤدي إلى الانقطاع.

ثالثا/ علاج الفتور.

أولا/ ما هو الفتور؟

الفتور هو: الكسل والتراخي بعد الجد والنشاط ، بمعنى أن يقل النشاط عمّا كان في رمضان، وهذا طبيعي بعد رمضان لأننا نقول رمضان موسم الطاعات، ومتجر المتقين، فطبيعي أن يقل النشاط بعده.

---

[23] هذا الموضوع مستفاد من رسالة بعنوان الفتور للدكتور ناصر العمر –حفظه الله– لتحميل الرسالة كاملة: الفتور للدكتور ناصر العمر

فبقاء قلب المؤمن على الدرجة الرفيعة من الإيمان التي يجدها في أعظم العبادات قدرًا ، وأكثرها تأثيرًا ؛ كالصلاة ، والحج ، والصيام وتلاوة القرآن ، وقيام الليل ، أمر متعذر ؛ لانشغال القلب بأعمال الدنيا ، ومعاشه ، وما يعتريه فيها من أفراح وأتراح ، وليس هذا من الرياء أو النفاق في شيء ، وقد وجد هذا أفضل القرون من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم .

روى مسلم في صحيحه : عن حنظلة الأسيدي ، قال : لقيني أبو بكر ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟قال قلت : نافق حنظلة!!

قال : سبحان الله ، ما تقول ؟

قال قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيرا.

قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قلت : نافق حنظلة يا رسول الله!!!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟

قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ، ثلاث مرات) .

والمعنى أن الذي ينقطع للعبادة بكليته لا يفتر عنها هم الملائكة فلو بقيتم على حالكم لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ ولكن ساعة فيها إقبال على الله وساعة فيها انشغال بالدنيا والسعي على المعاش.

فليس الخطر في الفتور ؛الخطر أن ينقطع الإنسان عن الله بعد رمضان، بعد ما كان يصلي يترك الصلاة، بعد ما كان يقرأ القرآن ما عاد يفتح المصحف، بعد ما كان يحرص على الجماعة ما عاد يذهب إلى المسجد، بعدما لبست الحجاب خلعته.

فمن أداه فتوره إلى ترك الفرائض والوقوع في المحرمات ، فهو على خطر عظيم ، وفتوره حينئذ معصية تستوجب الخوف من سوء الخاتمة نسأل الله العافية.
أما من كان فتوره في الفضائل والنوافل، وهو مع ذلك محافظ على الفرائض والواجبات ، مجتنب للكبائر والمحرمات ، ولكن قلَّ نصاب الساعات التي كان يقضيها في العبادة مثلا كقيام الليل ، أو في قراءة القرآن الكريم ، فمِثْلُه يُرجَى له أن تكون فترته عَرضا زائلا ، وآفةً مؤقتة ، تنتهي بعد مدة قصيرة إن شاء الله ، وهذا هو معنى الحديث **عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-أنه قال: " لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن فتر إلى سنتي فقد نجا، وإلا فقد هلك " رواه أحمد**
إذن فالفتور بمعنى أخذ الهدنة ثم استعادة النشاط فهذا لا شيء فيه أما الفتور المؤدي إلى الانقطاع فهذا ما حذر منه العلماء.

وما ورد عن شقيق بن عبد الله رحمه الله قال : (مَرِضَ عبدُ الله بن مسعود ، فعدناهُ ، فجعل يَبكي ، فعوتب، فقال : إني لا أبكي لأجل المرض ، لأني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : المرض كفارة ، وإنما أبكي أنه أصابَني على حال فترة ، ولم يُصِبْني في حال اجتهاد ، لأنه يُكتَب لِلْعبد من الأجر إذا مَرِض ما كان يُكتب له قبل أن يَمرض فَمَنَعَهُ منه المرض).

قال ابن القيم رحمه الله : " فتخلل الفترات للسالكين أمرٌ لازمٌ لا بد منه ، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد ، ولم تُخرجه من فرض ، ولم تدخله في محرَّم ، رُجي له أن يعود خيرا مما كان .

إذن فالفتور بمعنى أخذ الهدنة ثم استعادة النشاط فهذا لا شيء فيه أما الفتور المؤدي إلى الانقطاع فهاكم أسبابه ومن ثم علاجه

ثانيا/ أسباب الفتور المؤدي إلى الانقطاع

1- **عدم تعهد العبد إيمانه من حينٍ لآخر**

من حيث الزيادة أو النقص ، فبدون مراجعة الإنسان نفسه مع حال إيمانه ، تتكالب عليه أسباب الفتور من كل جانب ، ولذا فإنه يجب على المؤمن إذا رأى في إيمانه قصورًا ، أو شعر بشيءٍ من مظاهر الفتور ، أن يتزود من أسباب الإيمان ، وينهل من معينه.
كان عمر يقول لأصحابه : (هلموا نزدد إيمانًا ، فيذكرون الله).

وكان ابن مسعود يقول في دعائه : (اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقها).
وكان معاذ بن جبل يقول للرجل : (اجلس بنا نؤمن ساعة).

2-**الجهل بما أعده الله تعالى للمتقين في الجنة:**

أو نسيانه ، أو عدم مذاكرته بين الحين والآخر ، فإذا ما وقع الإنسان في شيء من هذا ، فتر عن العبادة ، وتكاسل عنها ؛ لأنه فطر على التعلق بالشكر ، وطلب الجائزة على المعروف ، وقد هيأ الله ذلك لعباده إلى حدٍ لا تتصوره أذهانهم ، ولا يخطر على بالهم

قال تعالى: ﴿**هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٩ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۝٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۝٥٤**﴾ **[ص: 49-54]**

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : (**قَالَ اللَّهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) رواه البخاري.**

آخر من يدخل الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فهو يمشي مرة و يكبو مرة و تسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها

فقال : تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين و الآخرين فترفع له شجرة فيقول : أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها و أشرب من مائها

فيقول الله يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ؟

فيقول لا يا رب و يعاهده أن لا يسأله غيرها و ربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها و يشرب من مائها

ثم ترفع له شجرة أخرى هي أحسن من الأولى فيقول : أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها و أستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟ فيقول لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها و ربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه

منها فيستظل بظلها و يشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة و هي أحسن من الأوليين فيقول أي رب أدنني من هذه فلأستظل بظلها و أشرب من مائها لا أسألك غيرها
فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟
قال بلى يا رب أدنني من هذه لا أسألك غيرها و ربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة
فيقول: أي رب أدخلنيها فيقول: يا ابن آدم ما يعريني منك ؟
أيرضيك أن أعطيك الدنيا و مثلها معها ؟
فيقول: أي رب أتستهزئ مني و أنت رب العالمين ؟
فيقول: إني لا أستهزئ منك و لكني على ما أشاء قادر
رواه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه

3- **الانبهار بالدنيا وزينتها**

والاغترار بنعمها الزائلة ، وإن للدنيا من الفتنة العظيمة ما يتغيّر به حال العباد من الثبات إلى الفتور ، ومن القوة إلى الضعف ، من هنا حذّر خالقها سبحانه من الاغترار بها فقال : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ **[لقمان: 33]**

يقول الحسن البصري : والذي نفسي بيده ، لقد أدركت أقوامًا كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه.

4- طول الأمل

وهذا هو قاتل الهمم ، ومفتر القوى ، ويكفي طول الأمل مذمة الله له ، حيث قال في كتابه : ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴿٣﴾﴾ **[الحجر: 3]**

تـزود مـن التقـوى فـإنك لا تدري—— إذا جـن ليـل هـل تعيش إلى الفجر
فكـم مـن صحيح مات من غير علة—- وكـم من سقيم عاش حينا من الدهر
وكـم مـن فتـى يمسي ويصبح آمنا ——وقـد نسـجت أكفانـه وهو لا يدري

5- الرفقة السيئة

فكلما حدثته نفسه بالعودة إلى الثبات ، والعزيمة على الرشد ، فتنته هذه الرفقة بعرض جديد من ألوان الهوى ، وصور الفساد والخنا ، فتراه يتوهم السعادة

في مجالستهم ، والسهر معهم وسوف يوفي الله تعالى المغتر برفقة السوء حسابه ، ويريه كيف تكون الحسرة ، فإن كان المتحسر في الدنيا يعض على إصبع واحد حسرة وندامة ، فلسوف يعض على كلتا يديه فجيعة وقهرًا.
وقد صور الله تعالى هذه الحسرة فقال : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: 27-29]

6- **الانفراد والعزلة**

ففي زمن كثرت فيه المغريات ، وتنوعت فيه وسائل الشهوات ، وسهلت فيه الخلوة بما حرم من المثيرات ، أصبحت العزلة وسيلة إلى الفتور ، وطريقًا إلى الضعف ؛ لأن المسلم حينما ينفرد لا يعرف صوابه من خطئه ، ولا قوته من ضعفه ، فتراه يسير متخبطًا في عمى ، بلا دليل يدل ، ولا حكيم يرشد ،فيجتمع عليه نفسه الأمارة بالسوء والشيطان الداعي إلى الضلالة فيسهل قياده من الشيطان ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

من هنا : جاءت التعليمات النبوية بالأمر بالتمسك بالجماعة ، والتحذير من الفرقة والاختلاف ، لأن الله لا يجمع الأمة على ضلالة ، فمن تمسك بهديها اهتدى ، ومن شق جماعتها ضل وغوى.
يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ)
وأعني بذلك أن تكون لنا صحبة وأخوة في الله نعين بعضنا على طاعة الله فصاحبك من إذا نسيت الله ذكرك وإذا ذكرت الله أعانك والمرء على دين خليله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

7- **الغفلة عن محاسبة النفس**

فترى أحدنا يسير في هذه الدنيا ولم يجعل على نفسه حسيبًا ، فتكثر عثراته ، وتتضاعف زلاته ، لا يعرف ما فعل ، ولا يدرك ماذا قال ، ولا يتراجع عن خطأ ، ولا ينشط لفعل طاعة ، كل تصرفاته مرتجلة ، لا يضع لنفسه أهدافًا ، ولا يسأل نفسه ماذا أنجز في يومه ، وكم قصّر في حق ربه ، وكم ضيّع من حقوق عباده. ...

فهل حاولنا أن نخلو بأنفسنا ساعة نحاسبها عما بدر منها من الأقوال والأفعال ؟ وهل حاولنا يومًا أن نعد سيئاتنا كما نعد حسناتنا ؟
بل هل تأملنا أن طاعتنا قد لا يخلو بعضها من الرياء والسمعة ، كيف القدوم على الله _يا عباد الله _ ونحن لأنفسنا غير محاسبين ، ولحساب الله غير مطيقين ، قال عمر بن الخطاب : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا).

ثالثا/ علاج الفتور

إذا كنا قد عرفنا جملة من أسباب الفتور في العبادة ، ووضعنا أيدينا على الداء ، فقد جاء دور الكلام على الدواء.
إن الدواء الناجع لداء الفتور هو بإيجاز قطع كل الأسباب التي سبق ذكرها ، التي من شأنها أن توقع المسلم في الفتور فيتعهد المسلم إيمانه ويتعرف على ما أعده الله تعالى للمتقين في الجنة ، وعدم الاغترار بالدنيا والركون إليها وطول الأمل مع قلة العمل، واتخاذ الرفقة الصالحة التي تعين على طاعة الله ،ومحاسبة النفس وتزكيتها بحضور دروس العلم ،وأخذ بالتدرج في العمل فخير العمل أدومه وإن قل ،وقليل دائم خير من كثير منقطع.
يقول على بن أبي طالب- رضي الله عنه- يقول: "إن للنفس إقبالا وإدبارا، فإذا أقبلت فخذها بالعزيمة وإذا أدبرت فاقصرها على الفرائض".
ونردد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) رواه مسلم

أسأل الله سبحانه أن يحبب إلينا الإيمان

وأن يزينه في قلوبنا

وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان

وأن يجعلنا من الراشدين

****

الخطبة الرابعة والعشرون

سبع خطوات
للثبات على الطاعة بعد رمضان

عناصر الخطبة:

الخطوة الأولى : ابدأ ختمة جديدة من القرآن.

الخطوة الثانية: صلاة الجماعة في المسجد.

الخطوة الثالثة: عليك بالصحبة الصالحة.

الخطوة الرابعة: عليك بقيام الليل.

الخطوة الخامسة: حافظ على الأذكار.

الخطوة السادسة: صيام الستة من شوال.

الخطوة السابعة: الدعاء بالثبات .

الخطبة الرابعة والعشرون

سبع خطوات

للثبات على الطاعة بعد رمضان

عناصر الخطبة:

الخطوة الأولى : ابدأ ختمة جديدة من القرآن.

الخطوة الثانية: صلاة الجماعة في المسجد.

الخطوة الثالثة: عليك بالصحبة الصالحة.

الخطوة الرابعة: عليك بقيام الليل.

الخطوة الخامسة: حافظ على الأذكار.

الخطوة السادسة: صيام الستة من شوال.

الخطوة السابعة: الدعاء بالثبات .

الخطوة الأولى : ابدأ ختمة جديدة من القرآن:

إذا لم تكن بدأت ختمة فابدأ من الآن، واجعل لنفسك وردا ثابتا يوميا، قد يزيد لكن لا ينقص، على حسب طاعتك وعلى حسب وقتك.

فالقرآن الكريم كلام الله عز وجل ، وتلاوته من أفضل العبادات وأحب القربات ، وكلما أكثر المسلم من تلاوته وقراءته ناله من الأجر العظيم ، والثواب الجزيل.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ) رواه الترمذي

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى مشروعية البدء في ختمة جديدة عند نهاية الختمة الأولى، فيقرأ الفاتحة وفاتحة سورة البقرة ، وممن نص على ذلك الإمام النووي في كتابه التبيان ، والسيوطي في البرهان.

فقد قال النووي في التبيان : " يستحب إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختمة فقد استحبه السلف.

واحتجوا فيه بحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: الحال المرتحل. قال: يا رسول الله، وما الحال المرتحل؟ قال: يضرب من أول القرآن إلى آخره ومن آخره إلى أوله .

قال السيوطي في الإتقان : يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم لحديث الترمذي وغيره . ثم ذكر حديث الترمذي السابق وقال:
وأخرج الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمد ثم قرأ من البقرة إلى أولئك هم المفلحون.

لكن الحديث المذكور ضعيف ضعفه الشيخ الألباني، ومع ضعف الحديث فإن البدء بختمة جديدة والاستمرار بلا انقطاع أمر يأتي في إطار التشجيع على مواصلة تلاوة القرآن.

ما هو الورد فى القرآن؟

تُسمّى التّلاوة اليومية للقرآن "وِرد" ومعنى الوِرد في اللغة هو: المَاء الذي يُورد.. كما في قوله تعالى: **"ولمّا ورَدَ ماء مدينَ"** فَيكُون على ذلك وِرد التّلاوة هو: سُقيا القَلب من القُرآن "

فالورد يعني ما اعتاده الإنسان من ذكر وصلاة أو تلاوة، والورد من القرآن هو القدر الذي يتعود المرء قراءته كل يوم أو كل ليلة.

الخطوة الثانية: صلاة الجماعة في المسجد:

كل يوم حسب قدرتك واستطاعتك، لكن لا تنقطع عن بيت الله يوما من الأيام، داوم على الحضور لصلاة الجماعة.

وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة نذكر بعضها فيما يلي:

1- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) متفق عليه.

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت لها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث : اللهم صل عليه اللهم ارحمه . ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة) متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

3- **براءة من النار وبراءة من النفاق لمن صلَّى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك تكبيرة الإحرام: لحديث أنس – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتِبَ له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق) رواه الترمذي وحسنه الألباني "**
ومعنى قوله "براءة من النار" أي نجاة وخلاص منها، وكتب له "براءة من النفاق" أي يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ويوفقه لعمل أهل الإخلاص، وفي الآخرة يؤمنه مما يعذبه المنافق.

4- أجره كأجر الحاج المحرم: **فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه (لا يخرجه) إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين) . رواه أبو داود وصححه الألباني**

وقوله صلى الله عليه وسلم (فأجره كأجر الحاج المحرم) أي كامل أجره ، بأن يأخذ ثواب الحاج المحرم، أو أنه يأخذ ثوابا على كل خطوة يخطوها ، فالماشي إلى المسجد والحاج كلاهما لهما ثواب على كل خطوة يخطوهما ، وإن اختلف الثواب بينهما

الخطوة الثالثة: عليك بالصحبة الصالحة:

فإنّ صحبة الصالحين الأخيار تُعين على الطاعة، فالصاحب الصالح ينصح صاحبه ويحثّه على فعل الخيرات وينهاه عن المنكرات، وقد يقوم المرء بترك فعلٍ ما حياءً من أصحابه الصالحين، ولكنّ ذلك يكون فيما بعد سببًا لالتزامه بطاعة أو إقلاعه عن ذنبٍ بشكل دائم ومستمر.

والصّحبة الصّالحة هي خير معين على الاستقامة والالتزام، وخير سبيل لدوام التذكير بأوامر الله -تعالى- ونواهيه والرغبة في طاعته، وقد أمر الله -

تعالى- بمصاحبة ومجالسة الأخيار، حيث قال -سبحانه-: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ [الكهف: 28]

إذن فعليك بالصاحب الصالح الذي إذا نسيت الله ذكرك وإذا ذكرت الله أعانك، والشيطان من الواحد أقرب وهو من الاثنين أبعد، وكلما كنت في جماعة تعينك وتأخذ بيدك إلى الخير كنت أقرب إلى الهدى والطاعة بعيدا عن نفسك الأمارة بالسوء والشيطان الذي يوسوس بالمعاصي.

كما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها حيث قال: (مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة)

وحديث: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)

ولذا قال بعضهم: قل لي مَن صاحبك أقول لك من أنت...

فالصاحب ساحب، ومن جالس جانس كما تقول العرب .

وقال بعض السلف: (لا تُصاحِب من لا ينهض بك إلى الله حالُه، ويدلّك على الله مقالُه).

الخطوة الرابعة: عليك بقيام الليل:

قيام الليل وسيلة عظيمة جدا من وسائل الثبات، وسبب كبير لاستشعار حلاوة الايمان، وتذوق الطاعة، وهو من العبادات التي تقرب العبد إلى الله كثيرا، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل.

وقد أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: **(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[الإسراء، 79]** وهذا الأمر وإن كان خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن عامة المسلمين يدخلون فيه بحكم أنهم مطالبون بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم.

وبين سبحانه أن المحافظين على قيامه هم المحسنون المستحقون لخيره ورحمته فقال : **(إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون) [الذاريات 17،18]**

ومن عناية النبي صلى الله عليه وسلم بقيام الليل أنه قام حتى تفطرت قدماه، وقد كان يجتهد في القيام اجتهاداً عظيماً، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخر؟ قال: **(أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكُوراً)** متفق عليه.

وعن المغيرة قال: (قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **(أفلا أكون عبداً شكوراً)** متفق عليه.

وقال سلمان الفارسي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكن إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم) حسنه الألباني**

وقال سهل بن سعد : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس) أخرجه الحاكم وحسنه الألباني.

وقراءة القرآن في قيام الليل غنيمة عظيمة؛ **لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.**

المقنطرين: أي ممن كتب له قنطار من الأجر

وقال يحيى بن معاذ: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بتفكر، وخلاء البطن، وقيام اللّيل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقيل للحسن البصري: ما بال المتهجدين باللّيل من أحسن النّاس وجوهاً؟ قال: لأنّهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره.

وقال سعيد بن المسيب -رحمه الله-: إنّ الرجل ليُصلّي باللّيل، فيجعل الله في وجهه نوراً يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط، فيقول: إنّي لأحب هذا الرجل.

الخطوة الخامسة: حافظ على الأذكار:

أذكار الصباح والمساء حافظ عليها، لكن أنا لا أحفظها؟

من الممكن ونحن معنا الآن الهواتف الذكية، استعمل تطبيق حصن المسلم من الممكن ان تقوم باستعماله يوميا ومع كثرة التكرار تحفظها، أو تكون عندك على أي موقع من المواقع كاليوتيوب وغيره هناك إخوة ومشايخ كثر سجلوا الاذكار اسمعها باستمرار وردد معهم ستحفظها.

والآيات والأحاديث في فضل الذكر كثيرة نذكر بعضها على سبيل المثال:

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا)- [الأحزاب41/42]

والأمر بالذكر هنا ليس معناه مجرد الذكر بل أن نذكر الله سبحانه وتعالى ذكرا كثيرا ، والفارق بين المؤمن والمنافق أن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا كما قال تعالى -**(ولا يذكرون الله إلا قليلا)- [النساء/142] أما المؤمن فإنه يذكر الله كثيرا(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا)- [الأحزاب41/42]**

من أحب شيئا أكثر من ذكره:

والعلماء يقولون : "من أحب شيئا أكثر من ذكره "

-سبحان الله العظيم- فالألسنة تعبر عما في القلوب ، كما قال التابعي الجليل يحيى بن معاذ : "القلوب كالقدور والألسنة مغارفها "

القدور آنية الطعام واللسان كالمغرفة فهو يغرف معبرا عما في القلب ، نسأل الله أن يطهر قلوبنا، وأن يطيب ألسنتنا وأن يجعلها دائما لاهجة بذكره -سبحانه وتعالى-

وكان الحسن البصري كثيرا ما يقول في كلامه -سبحان الله ، يعني يربط بين جملة وجملة بقوله: سبحان الله.

وهذا يعبر عما يكون في القلب من إجلال الله -سبحانه وتعالى-

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول (أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه) رواه البخاري

ومما ورد في فضل الذكر قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت) اللهم اجعلنا من الذين تحيا قلوبهم بذكرك.

والحياة والموت هنا حياة القلب وموته ، فالذكر بالنسبة للإنسان مثل الماء للنبات ، فكما أن النبات يحيا بالماء كذلك ، فالقلب يحيا بالذكر.

الخطوة السادسة: صيام الستة من شوال:

من فضل الله على عباده تتابع مواسم الخيرات ، ومضاعفة الحسنات ، ومما منَّ الله به على عباده بعد انقضاء شهر الصيام والقيام ، ورتب عليه عظيم الأجر والثواب صيام ست أيام من شوال التي ثبت في فضائلها العديد من الأحاديث منها **ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال : (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر).**

وقد ذكر أهل العلم عدة فوائد ومعانٍ لصيام هذه الأيام الست :(من كلام ابن رجب الحنبلي)منها:

1- أن العبد يستكمل بصيامها أجر صيام الدهر كله ،وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان يعدل عشرة أشهر ، وهذه الست تعدل شهرين ،وقد ثبت ذلك في حديث ثوبان المتقدم عند ابن ماجة وثبت أيضاً في حديث ذكره أبو الشيخ في الثواب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : **(جعل الله الحسنة بعشر أمثالها الشهر بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بعد الشهر تمام السنة).**

2- أن صيام النفل قبل وبعد الفريضة يكمل به ما يحصل في الفرض من خلل ونقص ، فإن الفرائض تجبر وتكمل بالنوافل يوم القيامة ، كما ثبت ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم- من وجوه متعددة.

3- أن معاودة الصيام بعد رمضان من علامات القبول ، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعضهم : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى.

4- أن معاودة الصيام بعد الفطر فيه شكر لله جل وعلا على نعمته بإتمام صيام رمضان ومغفرة الذنوب والعتق من النار ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يشكروه على هذه النعم العظيمة فقال سبحانه : **{ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون }(البقرة 185)**

الخطوة السابعة: الدعاء بالثبات :

أن تدعو الله أن يثبتك على طاعته، ومن أفضل الأدعية في هذا المقام ما ورد في الكتاب العزيز، وما صحّ من سُنة إمام المتوكلين، وسيد الخاشعين

المتضرعين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ومن ذلك: قوله – تعالى – **:{ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب} [آل عمران: 8]**

وصحّ عنه – عليه السلام – **من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما -"اللهم مصّرف القلوب، صرَّف قلوبنا على طاعتك" أخرجه مسلم.**

وأخرج كذلك من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول : "اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"

وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)

وقال النبي لمعاذ والله إني لأحبك فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

****

الخطبة الخامسة والعشرون

خطبة عيد الفطر

عناصر الخطبة:

أولا/ العيد لمن؟

ثانيا/ الفرح بالعيد عبادة

ثالثا/ كن ربانيا ولا تكن رمضانيا .

الخطبة الخامسة والعشرون

خطبة عيد الفطر

عناصر الخطبة:

أولا/ العيد لمن؟

ثانيا/ الفرح بالعيد عبادة

ثالثا/ كن ربانيا ولا تكن رمضانيا .

أولا/ العيد لمن؟

ها نحن قد ودعنا شهر رمضان بأيامه الفاضلة ولياليه العامرة فاز فيه من فاز بالرحمة والغفران والعتق من النيران وخسر فيه من خسر بالذنوب والعصيان، فيا ليت شعري من المقبول فنهنيه ومن المحروم فنعزيه!!

وها نحن أكملنا العدة ثلاثين يوما وكبرنا فرحة وشكرا لله فهو صاحب الفضل والمنة **(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا)** فالعيد لمن أطاع الله والحسرة على من عصاه.

يقول الحسن : كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيـــد

هذا يوم عيد الفطر يوم الفرحة الأولى للصائمين، فقد علمنا أن للصائم فرحتين يفْرَحُهما:**" إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه"**

لمثل هذا اليوم فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ولا تنسوا فضل الله عليكم في هذا اليوم الأغر الذي تكبِّرون الله فيه على ما هداكم وتشكرونه على ما حباكم، فقد أتممتم عبادة صومكم بالأمس.

فشكرتم ربكم في هذا اليوم، ولكن اعلموا إخوة الإسلام أنه ليس العيد لمن لبس الجديد، بل هو لمن طاعاته لمولاه تزيد.

ليس العيد لمن لبس الثوب الجديد وقلبه على أخيه المسلم أسود، إنما العيد لمن اتقى مظالم العباد.

إنما العيد لمن عفا عمَّن هفا وأحسن إلى من أساء وأصلح بين الأنام.

نعم، لك أن تلبس الثوب الجديد ويا حبذا لو جَمَّلْتَه بالتقوى، فإن التقوى خير زاد، والتقوى خير لباس قال تعالى: **(وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ)**

بالأمس كنتَ من الصائمين، واليوم أنت من الشاكرين، وما أحسن أن يتزود الشاكر بالتقوى قال تعالى: **(وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى).**

إخوة الإسلام:

أفشوا في هذا اليوم السلام، وأطعموا الطعام، وذكِّروا أبنائكم بأيام الله، وربُّوهم على تعاليم الإسلام، ونشئوهم على تقوى الله، حتى يكونوا لكم قُرَّة عين في الدنيا، ومصدر أمن وسعادة في الآخرة، واعلموا أن أولادكم لكم مقلدون، فكونوا لهم خير قدوة وأفضل أسوة، فها هو ذا عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد يرى أحد أبنائه في يوم العيد، وقد لبس قميصاً خَلَقاً، أي بالياً وقديماً، فبكى عمر.

فقال له الولد: ما يبكيك يا أبت؟

فقال: أخشى أن ينكسر قلبك في يوم العيد إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلِق فقال: يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدَمَهُ الله رضاه أو عقَّ أمَه وأباه وإني لأرجو أن يكون الله راضياً عني برضاك، فبكى عمر رضي الله عنه وضَمهُ إليه وقبَّله بين عينيه، ودعا له فكان أزهد الناس بعده.

أيها المسلمون:

لقد كان السابقون يعتبرون كل يوم يمر في طاعة الله عيداً، وأن أفضل الأعياد عندهم لحظةُ القرب من رب العالمين.

وكان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده وهؤلاء الذين **{ يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة }**

وعن علي رضي الله عنه قال : كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : { **إنما يتقبل الله من المتقين** }

وعن فضالة بن عبيد قال : لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلى من الدنيا وما فيها لأن الله يقول { **إنما يتقبل الله من المتقين** }

وعلينا أن نكثر الاستغفار ، لأن الاستغفار يجبر الخلل من الصيام، كما قال عمر بن عبد العزيز (الغيبة والنميمة تخرق الصيام ، والاستغفار يرقعه ، فمن استطاع منكم أن يأتي بصيام مرقع فليفعل.

ثانيا/ الفرح بالعيد عبادة

للعيد فرحة ، تفرح فيه النفوس ، وتبتهج فيه القلوب ، ويتزاور فيه الناس ، وتتقارب فيه الأرحام ، شرع لنا فيه الفرح والسرور ، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بخالقهم ومولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثواب أعمالهم بفضله ومغفرته، كما قال تعالى: قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ لكن يخطأ الكثير في كيفية الفرح في هذا العيد.

فليس العيد كما يظن كثير من الناس أوقاتاً ضائعة في اللهو واللعب والغفلة، بل شُرع العيد لإقامة ذكر الله وإظهار نعمته على عباده، والثناء عليه سبحانه بها، وشكره عليها، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال سبحانه: (وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

فمن الناس من يفرح بالمعاصي ، فتجده ينكب على المعاصي وكأنه فرح بخروج رمضان وكأنه كان ثقيلا عليه ، فهؤلاء هم الغافلون ، وإنما العيد لمن يفرح بحدود المباحات دون أن يتعدى ذلك إلى المحرمات.

قال بعض السلف: (ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه .)

وقال الحسن: (كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد، وكل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد).

فيامن اجتهد في رمضان ، إياك إياك أن تعود إلى المعاصي بعد أن جاهدت نفسك وتغلبت عليها ثم بعد ذلك تعود إلى ما نهاك الله ، قال تعالى :﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا** ﴾ [النحل: 92]

ومن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرته لذنوبه، أن يصوم بعد رمضان ستاً من شوال، فيكون كمن صام السنة كلها، لقول النبي : { **من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر** } **[رواه مسلم].**

ثالثا/ كن ربانيا ولا تكن رمضانيا:

سيكون رمضانيًّا من يتحرَّج من المعصية حرجًا من وجود رمضان، فإذا ذهب زال الحرج وتجرأ على المعصية وتجرأ على الله، وكأنه يخشى رمضان ولا يخشى ربه!

كيف نكون ربانيين

أولاً: الفهم الصحيح لشهر رمضان ورسالته، والاستفادة من شحنة الإيمان العالية التي يمدنا بها لتساعدنا على أنفسنا وعلى الشيطان.

ثانيًا: الصحبة الصالحة والتعاهد مع صديق أو أكثر على أن تستمر الطاعة بعد رمضان، وإن كان مقبولاً أن تقل الطاعة بنسبة 20% عن رمضان؛ لما يتمتع به الشهر الفضيل من روحانيات تلقائية من الصعب أن تتكرر في شهر غيره

ثالثًا: الدعاء بالثبات والهداية فقد كان النبي يدعو: **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك)**

تقبل الله منا ومنكم وكل عام وأنتم بخير

****

الخطبة السادسة والعشرون

ما هي علامات

قبول العمل الصالح؟

عناصر الخطبة:

أولا / ربنا تقبل منا.

ثانيا/ مواصلة الطاعات.

ثالثا/ عبادات السر.

الخطبة السادسة والعشرون

ما هي علامات قبول العمل الصالح؟

انقضى شهر رمضان المبارك وكان شهر فيه خير وبركة، فالحمد لله أن بلغنا الله رمضان، والحمد لله أن وفقنا وأعاننا فيه على الصيام والقيام.

نسأله – سبحانه وتعالى- أن يتقبله منا، وأن يجعل أعمالنا الصالحة كلها خالصة لوجهه الكريم.

وبعد رمضان يأتينا السؤال:

ما هي علامات قبول العمل الصالح؟

هذا هو موضوعنا في هذه الخطبة إن شاء الله.

عناصر الخطبة:

أولا / ربنا تقبل منا

ثانيا/ مواصلة الطاعات

ثالثا/ عبادات السر

أولا / ربنا تقبل منا

المسلم حينما يؤدي عملا لله- عز وجل- فالشرف والعز له أن يتقبل الله منه، **قال تعالى: (إنما يتقبل الله من المتقين) [المائدة 27]**

ولما سألت عائشة رضي الله عنها النبي- صلى الله عليه وسلم- عن هذِهِ الآيةِ: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قالت عائشةُ: أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ قالَ لا يا بنتَ الصِّدِّيق، ولَكِنَّهمُ الَّذينَ يصومونَ ويصلُّونَ ويتصدَّقونَ، وَهُم يخافونَ ألا تُقبَلَ منهُم أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)

كما قلنا في بداية الشهر حينما يهادينا ملك من الملوك بهدية فهذا شرف لنا أن يرشحنا لهذه الهدية وأن نقبلها هذا شرف لنا، لكن إذا حدث العكس أن واحدا منا شخص عادي يهدي الملك فلان هدية، فالشرف لي إن قبلها فالملك لا يحتاج إلى جوائز ولا إلى هدايا ولا إلى مناصب رفيعة ولا شهادات فهو الملك، فهنا حينما أقوم بطاعة من الطاعات فشرف لي أن قبلها مني ملك الملوك- جل جلاله-

ولذلك نلاحظ أن الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حينما كان يرفع القواعد من البيت مع ولده إسماعيل وهذا عمل عظيم وشرف كبير كانا يقولا: **(ربنا تقبل إنك أنت السميع العليم)**

فالمسلم بعد هذا الشهر الكريم وما وفقه الله فيه من عمل صالح يرجو من الله القبول، فلا يصيبه عجب بعمله فيقول أنا اكتفيت، أو أنا بذلت أقصى ما في وسعي في رمضان لله، إنما يرجو من الله القبول.

وقد اغتر إبليس بنفسه حتى بلغ به العجب إلى أن رد الأمر على الله، نسأل الله عافيته.

ثانيا/ مواصلة الطاعات

فرمضان كان مدرسة لنتعلم فيها الكثير من الطاعات، وكان فيه خير عظيم، صيام بالنهار وصلاة تراويح، ودروس وخواطر، ودعاء وصدقة وصلة الرحم وتلاوة القرآن والكلمة الطيبة والبذل والعطاء.... يعني طاعات وطاعات وطاعات.

فكنا نتربى في هذه الأيام والليالي على معنى العمل الصالح والطاعات الكثيرة.

أي نعم لن نكون كرمضان لكن سنداوم لن ننقطع، الفتور شيء طبيعي شيء صحي ليس شيئا مرضيا، لما شخص يبذل جهدا كبيرا في عمل حتى يتمه، فإذا أتمه أخذ قسطا من الراحة فلا بأس بهذا.

كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم-: (إنَّ لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شرَّةٌ فَتْرَةٌ، فمنْ كانْ فترتُه إلى سنتِي فقدِ اهتدى، ومنْ كانتْ إلى غيرِ ذلكَ فقدْ هلكَ)

(لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ) يعني حدة ونشاط.

(ولكل شرة فترة) فتور يعني كسل وتراخ، شيء من الراحة، فالمسلم ينشط في العبادة أولا، ثم تسكن شرته وتفتر عزيمته؛ لذا أمر بهذا:

"فمن كان فترته"، أي: فمن كانت فترة خموله وضعفه.

"إلى سنتي فقد اهتدى"، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هي الاقتصاد والتوسط، مع المداومة والإخلاص لله، وعدم الرياء والسمعة.

"ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك"؛ لأن من سلك غير هديه صلى الله عليه وسلم فهو من الهالكين.

وأريد أن أقول لإخواني إن الكثير منا يحلق في المثالية ويريد أن يدرك كل شيء أو لا شيء، يعني ما زال عالقا في اذهاننا أن من علامات قبول رمضان أن أصلي أحد عشر ركعة كل ليلة وأن أصوم الاثنين والخميس وأن اقرأ جزءا من القرآن ...هذا كان في موسم من مواسم الطاعة ومن الطبيعي جدا أن تنشط وأن تبذل أقصى ما في وسعك، لكن هنا تعال إلى قول النبي **(خير العمل أدومه وإن قل)**

كنت تستطيع في رمضان أن تصلي أحد عشر ركعة خلف الإمام وتجدها سهلة خفيفة لماذا؟

لأن الطاعة في الجماعة تخف، لكن أنت مع نفسك، داوم على ما تلتزم به، يعني بعد ركعتي سنة العشاء هل تستطيع أن تداوم على ركعتي قيام ليل؟

الرسول سهلها لنا جدا فقال: (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين) عشر آيات يعني بسورتي الفلق والناس.

ما المانع أن تقرأ ربعا من القرآن يوميا؟

إذا كانت لي ختمة او ختمتين في رمضان فلتكن لي ختمات بعد رمضان، كل شهر كل شهرين يعني كل ثلاثة أشهر، اقرأ ما تيسر اسمع القرآن، يتعلق قلبي بكتاب الله- عز وجل.-

صلاة الجماعة، انا اعلم أن الإخوة يشتغلون بالنهار صلاتي الظهر والعصر من الصعوبة أن يكن هنا بالمسجد ما عدا نهاية الاسبوع لكن ممكن أحدد لنفسي ثلاث صلوات المغرب والعشاء والفجر إن شاء الله في جماعة.

وعندنا أمور من البر والخير كثيرة من الممكن أن نفعلها، لكن الواحد يضع العقدة في المنشار كما نقول، ويقول: إما أن أفعل كل شيء وإما لا شيء، فيترك كل شيء، كلا، الرسول نهانا عن هذه المثالية المضيعة للأعمال.

ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد.

وقال: (خير العمل أدومه وان قل) ، وقالت عائشة: (كان عمل رسول الله ديمة) يعني دائما

فهكذا إخواني نأخذ الأمور بالتدرج، فإذا فعلت ذلك فأنت- بإذن الله- على الطريق الصحيح.

ولذلك كان سلفنا الصالح يقولون: إن من علامات قبول الحسنة تجدد الحسنة بعدها، ومن شؤم المعصية تجدد المعصية بعدها.

وكانوا يقولون: " ما من حسنة إلا ولها أخوات، وما من سيئة إلا ولها أخوات"

فنحن بفضل الله بعد هذه الحسنات والطاعات في رمضان نواصل بفضل الله الطاعات، لا أتنازل عن الفرائض لأنها هي الشيء الأكيد المفروض على، ثم أبذل ما في وسعي من الحسن أو النوافل رغبة في رحمة الله وفضله ومثوبته- سبحانه وتعالى-

وقد سن لنا رسول الله سنة بعدية وهي: صيام الست من شوال، **قال: (من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر)**

ثالثا/ عبادات السر

عبادات السر معناها أن يكون لك حال مع الله في بيتك وفي خلوتك...فتصلي ركعتين في ظلمة الليل حيث لا يراك أحد إلا الله....تتصدق صدقة مخفية حيث لا يعلمها ولا يعلم أنك تصدقت إلا الله.... تغيث الملهوف تعين المحتاج

تفعل هذه الأعمال المخبوءة التي لا يطلع عليها أحد إلا الله فتربي في نفسك معنى الاخلاص، فتعمل لله لمرضاة الله وتستحضر قول الله تعالى : **(وكان الله شاكرا عليما)[النساء 147]**

بعض الناس يقول : أنا أفعل لفلان كذا لأنه فعلا معي كذا، وإذا لم يفعل إذن لا يستحق، سأفعل مع زوجتي كذا لأنها فعلت كذا، طيب إذا لم تفعل لا تستحق!!!

كلا ليس هذا هو المبدأ، أنت تعامل الله، انت لا تعامل الناس بعمل طيب صالح نظير المكافأة، أنت تعامل الناس كما أمرك الله، وتتلقى من الله، فإن تلقيت ثناء وحمدا من الناس فتلك عاجل بشرى المؤمن، أما إذا تلقيت ذما أو لا مبالاة أو أن وجودك مثل عدمك عند الناس فأنت تعامل الله- سبحانه وتعالى-، لا تتوقف عن فعل الخير هذا مبدأ كثير من الناس الآن، أصل الارحام الذين يصلونني، أساعد صديقي الذي ساعدني، أجامل فلان الذي جاملني، زوجتي لم تفعل إذن أنا لا أفعل، هي بخلت فأنا أبخل..

كلا بل نبذل الإحسان وعمل الخير لله- عز وجل-، فإن كان هناك كلمة طيبة أو رد جميل- جزاك الله خيرا-، وان لم يكن فأنا أريد الأجر خالصا من الله- سبحانه وتعالى-

فينبغي للمسلم الحرص على أن تكون له خبيئة من عمل صالح لا يعلم بها غيره؛ لقول نبي الله صلى الله عليه وسلم : **(من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل).رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.**

والنبي صلى الله عليه وسلم، قال لبلال: حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة؟ قال: ما عملت عملا أرجى عندي، أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

قال العلماء: وفيه دليل أن الله يعظم المجازاة على ما ستر العبد بينه وبين ربه، مما لا يطلع عليه أحد، ولذلك استحب العلماء أن يكون بين العبد وبين ربه خبيئة عمل من الطاعة، يدخرها لنفسه عند ربه، ويدل أنها كانت خبيئة بين بلال وبين ربه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يعرفها حتى سأله عنها.

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول لمن ترسله: "اسمع ما دعوا به لنا؛ حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا ويبقى أجرنا على الله" .

وكان الحسن البصري يقول: اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم.

هذه تربية على بذل الاحسان وفعل المعروف والعبادة في السر.

فهذه أبرز العلامات لقبول العمل الصالح.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك
اللهم تقبل هذا العمل واجعله خالصا لوجهك الكريم

وتقبل منا رمضان واعنا على الطاعة بعده
اللهم آمين

****

الخطبة السابعة والعشرون

يا حنظلة ساعة وساعة

عناصر الخطبة:

أولا/ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها

ثانيا/ احذر الشيطان.

ثالثا/ إياك وهبوط العزيمة .

رابعا/ علامات قبول رمضان.

خامسا/ رمضان نقطة بداية وليس نهاية.

الخطبة السابعة والعشرون
يا حنظلة ساعة وساعة

عناصر الخطبة:

أولا/ نشاط وهمة ثم فتور.

ثانيا/ المثالية في العبادة

ثالثا/ يا حنظلة ساعة وساعة

أولا/ نشاط وهمة ثم فتور.

لقد أكرمنا الله عز وجل ببلوغ شهر رمضان، وأعاننا الله تعالى على الصيام والقيام وأتم الله لنا عدة رمضان ثلاثين يوما، وهذه الأيام والليالي المباركة التي مرت بنا هي حالة رقي إيماني يحرص كل مسلم منا على أن يدوم عليها بعد رمضان، لكن دوام الحال من المحال، وطبيعة الإنسان أن ينشط للعمل ثم يفتر، لكن المؤمن إذا أصابه فتور يكون فتورا بعده تواصل وليس فتور بعده انقطاع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كان فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك)**

(شرة) يعني حدة ونشاط. **(ولكل شرة فترة)** فتور يعني كسل وتراخ، شيء من الراحة.

فالمسلم ينشط في العبادة أولا، ثم تسكن شرته وتفتر عزيمته؛ لذا أمر بهذا: **(فمن كان فترته)**، أي: فمن كانت فترة خموله وضعفه، **(إلى سنتي فقد اهتدى)**، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هي الاقتصاد والتوسط، مع المداومة والإخلاص لله، وعدم الرياء والسمعة، **(ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك)**؛ لأن من سلك غير هديه صلى الله عليه وسلم فهو من الهالكين.

ثانيا/ المثالية في العبادة

وأريد أن أقول لإخواني إن الكثير منا يحلق في المثالية ويريد أن يدرك كل شيء أو لا شيء، يعني ما زال عالقا في أذهاننا أن من علامات قبول

رمضان أن أصلي أحد عشر ركعة كل ليلة وأن أصوم الاثنين والخميس وأن اقرأ جزءا من القرآن ...هذا كان في موسم من مواسم الطاعة ومن الطبيعي جدا أن تنشط وأن تبذل أقصى ما في وسعك، لكن هنا بعد رمضان تعال إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(خير العمل أدومه وإن قل)**

كنت تستطيع في رمضان أن تصلي أحد عشر ركعة خلف الإمام وتجدها سهلة خفيفة لماذا؟

لأن الطاعة في الجماعة تخف، لكن أنت مع نفسك، داوم على ما تلتزم به، يعني بعد ركعتي سنة العشاء هل تستطيع أن تداوم على ركعتي قيام ليل؟

ذهب الضيوف وبقي أصحاب البيت:

في صوره يتداولها الإخوة الآن لصلاة في أحد المساجد يقف الإمام وخلفه حوالي عشرة مصلين فقط، وكتب الناشر معلقا عليها: (ذهب الضيوف وبقي أصحاب البيت) وهذه صورة في مجملها غير صحيحة فليس من حق أحد أن يدعي أن فلانا من الضيوف وهو من أصحاب البيت كلنا نأتي إلى بيوت الله عز وجل راغبين راهبين، وكلنا ضيوف على الله سبحانه وتعالى نأتي إلى المساجد نرجو رحمته، ونخشى عذابه نلبي أمره سبحانه وتعالى، ونبتغي رضاه.

فالذي يقسم الناس هذا التقسيم هو معجب بنفسه متهم لغيره بما لا يطلع عليه أحد إلا الله، ولعلنا نلتمس للناس الأعذار، فالناس في رمضان كانوا يفرغون أنفسهم للعبادة لا شك في ذلك ويبرمجون يومهم على هذه الصلوات سواء الجماعة أو التراويح أو التهجد، لكن في ايام الأعياد طبيعي أن الناس تسافر، أو تتزاور ، أو عندهم عمل أو غير ذلك، لكن لا ينبغي أبدا أن نظن أننا نحن الفائزون وغيرنا هم الخاسرون وقد كنا تجمعنا صلاة واحدة، ولا ينبغي لأحد أن يدعي أنه من أهل المسجد، وآخرون من ضيوفه فكلنا ضيوف على الله عز وجل.

ثالثا/ يا حنظلة ساعة وساعة

الذي أريد أن أقوله إن رمضان كان حالة ارتقاء إيماني وروحاني عالية، لكن دوام هذه الحالة الايمانية العالية غير مستطاع للإنسان وهذا الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لحنظلة؛ **فقد روى مسلم في صحيحه: عن حنظلة الأسيدي، قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت : نافق حنظلة قال : سبحان الله ، ما تقول ؟ قال قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من**

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيرا قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظلة يا رسول الله!!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك ، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ، ثلاث مرات).

والمعنى أن الذي ينقطع للعبادة بكليته لا يفتر عنها هم الملائكة لأن الملائكة هم الذين يداومون على الطاعة بلا انقطاع الملائكة لا يعرفون النوم ولا يحتاجون إلى طعام ولا شراب وليس عندهم زوجات ولا أبناء ولا حياة خاصة، ولا شيء من هذا القبيل، فلو بقيتم على حالكم، أي عبادة متواصلة بالليل والنهار لصافحتكم الملائكة ، بمعنى أنكم صرتم ملائكة ولكن يا حنظلة – وهذا هو الشاهد- ساعة وساعة ، ساعة وساعة، أي ساعة فيها إقبال على الله ، ونشاط وهمة في العبادة وساعة فيها فتور.

خطوط حمراء في العبادة:

هناك خطوط حمراء في العبادة لا تنازل عنها، يعني ما في مسلم يتنازل عن الفرائض، ليس هناك مسلم يقول: سأصلي أربع صلوات من خمسة، هذا الكلام ليس محل نقاش، الفرائض هي الفرائض بلا نقص، لأن هذا إلزام من الله لعباده، المحرمات هي المحرمات لا فصال فيها، الكلام هنا على العبادات التطوعية النوافل، هذا هو الذي نتكلم عنه.

إذا فأنا عندي خطوط حمراء لا تنازل عنها أبدا، وعندي باب أو ميدان للاجتهاد في العبادة لا ألزم نفسي به، وإنما أجتهد فيه ما استطعت، وهو باب النوافل والمستحبات.

ما هو الورد الذي أحافظ عليه من القرآن؟

في رمضان ختمت القرآن مرة واثنين أو ثلاثة، طيب وبعد رمضان؟ نقبّل المصحف ونضعه في مكانه، لماذا لا تجعل لك وردا؟ ولو كل شهرين أو ثلاثة أشهر أو أربعة شهرا تختم ختمة، ما المانع؟ لماذا نقطع صلتنا بالقرآن الكريم؟

الآن الهواتف الذكية إذا فتحت تطبيق القرآن يفتح لك الصفحة التي توقفت عندها، وأنا دائما اتخذ شعارا وهو: **(فاقرءوا ما تيسر من القرآن)**، عندي ثلاث دقائق انتظر إقامة الصلاة افتح المصحف، انتظر شيئا في مواصلة في عيادة طبية، في أي مكان، افتح المصحف، لو قرأت صفحة أو صفحتين فأنا الفائز، **(فاقرءوا ما تيسر من القرآن)**

فلا يجب علي – كما يظن البعض- حتى أقرأ القرآن أن أجلس واقرأ جزءا كاملا فهذه الصورة قد لا تتيسر للكثير، لكن يتيسر لي في هذه الدقائق أن أقرأ ما تيسر من القرآن، فإذا بي أجد أني في نهاية اليوم قرأت حزبا وأنا لا أشعر، قرأت حزبا- سبحان الله –إذا لم تقرأ فاسمع، اسمع القرآن.

قيام الليل:

قيام الليل يبدأ من المغرب إلى الفجر، وورد في قوله تعالى: **(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)**، قال أنس بن مالك في تفسيرها يصلون بين المغرب والعشاء.

لا أقول لك استيقظ قبل الفجر بساعة الآن مع تأخر وقت العشاء ودخول الفجر مبكرا، فالقيام في فصل الصيف صعبا، إنما أقول لك من الممكن أن تتنفل بين المغرب والعشاء، صلاة قيام الليل نعم، والنبي سهلها علينا قال: **(من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين)**، واظب على ركعتين بعد سنة العشاء بعشر آيات، سورتا الفلق والناس أحد عشر أية، الأمر سهل يا إخواني، لكن المهم المواظبة فخير العمل أدومه وان قل.

الأمر ليس مستحيلا لكنه ممكن:

بعضنا يبغي أن يكون في أعلى القمة في العبادة، هذه لن تأتي مرة واحدة، يا أخي ليس هناك من يقفز من الشهادة الابتدائية إلى الدكتوراه، إنما يبدأ يتدرج واحدة واحدة، فإذا اعتادت نفسه العبادة طلبت الزيادة.

في رمضان كان هناك إماما يصلي بنا كانت هناك جماعة تشجع، كان هناك إيمانيات عالية ثم بعد ذلك يجد الواحد نفسه لا يصلي حتى ركعتين بعد العشاء، نقول لك هذا طبيعي.

أنت كنت تتعلم كيف تقيم الليل وأن الأمر سهل يسير، ليس مستحيلا لكنه ممكن، ممكن تقرأ جزءا ليس مستحيلا تصلي قيام ليل ليس مستحيلا، لكن داوم فخير العمل أدومه وإن قل، وكما يحكى عن النبي أنه كان عمله ديمة، يعني دائما، صلوات ربي وسلامه عليه.

إذا يا إخواني لا بد وأن تجعل لنفسك حدا لا تتنازل عنه :

- ورد قرآني .
- قيام ليل.
- محافظة على أذكار الصباح والمساء.
- صدقة أسبوعية أو يومية أو شهرية
- لا تقطع أي عبادة كنت تكون بها في رمضان، فرمضان بداية للهداية وليس نهاية للعبادة.

رابعا/ واجعلنا للمتقين إماما

وبعض الناس جعل العبادة هي شيء واحد فقط البعض يرى أن الصيام هو أعلى العبادات وما دونه ليس من العبادات انظر ما هي العبادة التي فتح الله عليك بها؟

في قول الله تعالى: ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ **[الفرقان: 74]** ليس المقصود بها أن تكون إمام في قبلة الصلاة فقط ؛ هذا نوع من أنواع الإمامة، لكن ممكن أن تكون إماما في:

1- كفالة اليتيم، وإطعام المسكين.
2- أو إماما في الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله عز وجل.
3- أو إماما في الصلح بين الناس ؛ فهناك من فتح الله عليه في عبادة الإصلاح بين المتخاصمين، يجلس ساعتين وثلاثة وأربعة، يصلح بين اثنين متخاصمين هذه عبادة من العبادات
4- أو إماما في قضاء حاجات الناس.
5- أو إماما في صيام التطوع: فهناك من فتح الله عليه في الصيام اللهم تقبل يصوم رمضان والستة من شوال والأيام البيض وعرفة وعاشوراء وشعبان ما شاء الله .... لكن لو عندنا شخص يضعف عن الصيام لأنه مريض فالصيام يضره، وربما صام رمضان بالكاد، أو ربما لم يستطع صيام جميع الأيام فهذا يفطر، ويبحث عن عبادة أخرى.

6- أو إماما في الصدقة: هناك من فتح الله عليه في عبادة الصدقة يتصدق يمينا وشمالا ويعطي وينفق أغناه الله ووسع الله عليه فهو لا يقصر في النفقة

7- أو إماما في القرآن: فهناك من فتح الله عليه في القرآن يحفظه ويتلوه يتدبره، ويفسره ويعلمه وكان عبد الله بن مسعود يقول: إنه لا يكثر من صيام النافلة وقال: لأنه يشغلني عن تلاوة القرآن.

إذن فانظر ما هي العبادة التي فتح الله عليك بها فإن ُسد باب من أبواب العبادة فقد فتح الله لك أبوابا أخرى.

فإذا فتح لك باب عبادة ورأيت نفسك فيه فاستمر في هذا الباب عسى أن يكون هذا الباب هو الموصل إلى مرضاة الله عز وجل.

خامسا/ قل آمنت بالله ثم استقم:

وجماع هذا الكلام كله في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو في صحيح الامام مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال لرسول الله: قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: قل آمنت بالله ثم استقم.

آمنت بالله واستقم على هذا الايمان والاستقامة معناها أن تسلك الطريق إلى الله بلا عوج ولا زيغ ولا انحراف، والطريق إلى الله وسط لا غلو وتجاوز ولا تقصير وتفريط.

فالمؤمن لله يسعى ولله يمضي وهو مستمر على ذلك ، يرتبط بالله في كل شيء يرتبط بالله في كل أقداره في كل أوامره في كل نواهيه يرجع الأمور كلها لله يعيش حياته لا يخاف من مستقبله ولا يحزن على ماضيه يبشر بالجنة كما قال الله عز وجل ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ **[فصلت: 30]**

ونخلص من هذا أن الاستقامة التزام المؤمن بفعل الطاعات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة، وهو ما يسميه البعض الالتزام ويقال: مسلم ملتزم والأصح مستقيم.

(ثم استقم) فرتب الاستقامة على الإيمان ، فالاستقامة ثمرة ضرورية للإيمان الصادق.

وكان الحسن إذا قرأ قوله تعالى: **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)** قال: (اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة).

ومن معاني الاستقامة وخصائصها الوسطية والاعتدال بأن يتبع المؤمن الطريق الوسط ويلزم طريق أهل السنة في كل أبواب الدين من غير إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء ، وينبغي للمؤمن أن يدرك أنه إذا ورد الأمر من الله كان للشيطان فيه طرفان الزيادة والنقصان فليحذر كلا الطرفين وليسلك الوسط بينهما.

قال بعض السلف: (ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وتقصير وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيها ظفر).

سادسا/ جبر النقص بالاستغفار والتوبة

والمسلم معرض للخطأ والتقصير والنفس تضعف والشيطان يتسلط ، ولذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحرص على لزوم الاستقامة على حسب القدرة والتوفيق فإن تعذر ذلك فليحرص على المقاربة من حال الاستقامة فقال: **(إن الدين يسر ولن يشاد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) متفق عليه.**

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها). رواه الترمذي.

ولما أثنى الله على المتقين ذكر أنه قد يقع منهم وقوع الفاحشة وظلم أنفسهم فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: 135]

ولكن حال أهل الاستقامة عدم الإصرار على الذنوب والإنابة والتوبة والرجوع إلى الله وفعل الحسنات إذا حصل منهم تقصير وتفريط.

****

الخطبة الثامنة والعشرون

هل ضعف العبادة

من علامات النفاق؟

عناصر الخطبة:

أولا/ الواقعية في الإسلام.

ثانيا/ لو بقيتم على حالكم لصافحتكم الملائكة.

ثالثا/ خطوط حمراء في العبادة.

رابعا/ الشيطان يزهدك في العبادة.

خامسا/ حافظ على علاقتك بالله.

الخطبة الثامنة والعشرون

هل ضعف العبادة

من علامات النفاق؟

لقد أكرمنا الله تعالى بشهر رمضان، وكنا في حالة إيمانية راقية، نسمات طيبة وطاعات متجددة وروحانيات عالية، وإقبال على الله- عز وجل-، ونشاط في العبادة، ولو سألت أي واحد منكم هل تتمنى أن تكون السنة كلها رمضان؟ لقال نعم، بهذه الحالة الإيمانية، أحب أن ألقى الله- عز وجل.-

عناصر الخطبة:

أولا/ الواقعية في الإسلام.

ثانيا/ لو بقيتم على حالكم لصافحتكم الملائكة.

ثالثا/ خطوط حمراء في العبادة.

رابعا/ الشيطان يزهدك في العبادة.

خامسا/ حافظ على علاقتك بالله.

أولا/ الواقعية في الإسلام

ومع هذه الروح وهذه الأمنيات فإنه ينبغي أن نوضح أمرا، وهو أن ديننا دين واقعي، لا يحلق عاليا في آفاق المثالية، ولا يبتعد عن الواقع الذي نعيشه ونحياه، فلا أقول مستحيل لكن أقول صعب على الإنسان الذي خلق في هذه الدنيا أن يداوم على حالة إيمانية واحدة طوال السنة كما كان في رمضان، والله- عز وجل- الذي خلق وهو أعلم بمن خلق هو الذي قال ذلك، قال: **﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أنكم كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 187]** علم الله- عز وجل- أن النفس تغلب الإنسان، وأنه قد يفعل شيئا لا يستطيع له دفعا إلا بشدة وصعوبة.

وقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مرضى﴾ [المزمل: 20]

وقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66]،

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]

ثانيا/ لو بقيتم على حالكم لصافحتكم الملائكة

فالله- عز وجل- لم يخلقنا ملائكة لا نعرف إلا طاعته، فنحن لسنا بمعصومين ولسنا عندنا القدرة على نشاط دائم في العبادة طوال العام كحالتنا في رمضان، وهذا دأبه- صلى الله عليه وسلم- **كما يروى ابن عباس (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أجودَ الناسِ بالخيرِ، وكان أجودَ ما يكون في شهرِ رمضانَ)** إذن في رمضان كان الرسول يزيد من الجود والإنفاق.

وعائشة رضي الله عنها تقول: (كان النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشر الأخيرة من رمضان شد مئزره وأيقظ أهله وأحيا ليله) وهذا إشارة إلى أنه كان يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها.

إذن هذا شيء طبيعي لأن البعض يتهم نفسه بالنفاق أنه بعد رمضان ما فعل شيئا، كنت في رمضان صيام وصلاة وقرآن وذكر وكذا وكذا بعد رمضان مر أسبوع الآن وأنا أقل بكثير مما كنت عليه ومما كنت أطمح!!

نقول لك: هكذا كان نبينا- صلى الله عليه وسلم- كان يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره، ثم بعد ذلك يعود إلى وضعه الأصلي،

وهذه المسألة أرقت حنظلة- رضي الله عنه- وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة، يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات.

(لو بقيتم على حالكم لصافحتكم الملائكة) فالذي يدوم على حالة العبادة بأقصى جهد وبأقصى قوة لا ينقطع هم الملائكة وأنتم لستم ملائكة، فالملائكة لا تنام، الملائكة لا تأكل لا تشرب، الملائكة ليس فيهم ذكور ولا إناث ولا

زواج ولا أولاد ولا معاش ولا كل هذه الفتن التي نتعرض لها، فقال لو بقيتم على حالكم لصافحتكم الملائكة، وبما أنكم لستم ملائكة لن تداوموا على هذه الحالة الإيمانية الراقية.

(ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وساعة، ساعة وساعة) أي ساعة فيها إقبال على الله، وهمة في العبادة ورقي في الطاعة، وساعة تنشغل فيها بمعاشك وحياتك وتجارتك وعملك أو دراستك وأولادك هذا لا يعيبك كمسلم ولا ينقص من مكانتك عند الله، وليس نفاقا ولا ضعف إيمان ولا ما شابه ذلك.

وليس المقصود بساعة وساعة أن تعبد الله ساعة، ثم تعصيه ساعة أخرى، وإنما المقصود: ساعة تصلي فيها بين يدي الله، وساعة أخرى تقضي فيها أمورك الدنيوية وِفْق ما أحله الله عز وجل.

وقال ابن عثيمين :"يعني ساعة للرب عز وجل، وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم".

لكل عمل شرة

وبين لنا رسول الله في حديث آخر هذه الحالة الطبيعية لأي مسلم فقال: **(إنَّ لكلِّ عملٍ شِرَّةٌ، ولكلِّ شرَّةٌ فَتْرَةٌ، فمنْ كانْ فترتُه إلى سنتِي فقدِ اهتدى، ومنْ كانتْ إلى غيرِ ذلكَ فقدْ هلكَ)**

لكل عمل شرة: يعني حدة ونشاطا.

ولكل شرة فترة: بعد النشاط يأتي الفتور، يأتي وقت الراحة، قال فمن كانت فترته إلى سنة فقد أفلح، ومن كانت فطرته إلى غير ذلك فقد هلك لأن مَن سلَكَ غيرَ هَدْيِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فهو مِن الهالكينَ.

إذا يا إخواني هذه حالة طبيعية لأي مسلم، في رمضان في نشاط وهمة في العبادة، وبعد رمضان يقل هذا النشاط، إذا ما هو الحل؟

الحل هو أنك بعد رمضان لا شك أنك اكتسبت عادات طيبة، وتعودت على عبادات عظيمة جدا، فخير العمل أدومه وإن قل.

ثالثا/ خطوط حمراء في العبادة

هناك خطوط حمراء لا تنازل عنها، فلا تنازل عن الفرائض، الفرائض هذا كلام مفروغ منه، يعني ليس هناك مسلم يقول: سأصلي أربع صلوات من خمسة، هذا ليس كلام محل نقاش الفرائض هي الفرائض بلا نقص، لأن هذا

إلزام من الله لعباده، المحرمات هي المحرمات لا فصال فيها، الكلام هنا على العبادات التطوعية النوافل، هذا هو الذي نتكلم عنه، إذا فأنا عندي خطوط حمراء لا تنازل عنها أبدا، وعندي باب أو ميدان للاجتهاد في العبادة ألزم نفسي به.

ما هو الورد الذي أحافظ عليه من القرآن؟

في رمضان ختمت القرآن مرة واثنين أو ثلاثة، طيب وبعد رمضان؟

نقبل المصحف ونضعه في مكانه، لماذا لا تجعل لك وردا؟ ولو كل شهرين أو ثلاثة أشهر أو أربعة شهرا تختم ختمة، ما المانع؟

لماذا نقطع صلتنا بالقرآن الكريم؟

الآن الهواتف الذكية إذا فتحت تطبيق القرآن يفتح لك الصفحة التي توقفت عندها، ما في أشكال، وأنا دائما اتخذ شعارا وهو(فاقرءوا ما تيسر من القرآن)، عندي ثلاث دقائق انتظر إقامة الصلاة افتح المصحف، انتظر شيئا في مواصلة في عيادة طبية، في أي مكان، افتح المصحف، لو قرأت صفحة أنا الفائز، **(فاقرءوا ما تيسر من القرآن)**

إذا لم تقرأ فاسمع، اسمع القرآن، وهكذا كثير من العبادات.

قيام الليل، قيام الليل يبدأ من المغرب إلى الفجر، وورد في قوله تعالى: **(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)**، قال أنس بن مالك في تفسيرها يصلون بين المغرب والعشاء.

والنبي سهلها علينا قال: **(من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين)**، واظب على ركعتين بعد سنة العشاء بعشر آيات، سورتا الفلق والناس أحد عشر أية، الأمر سهل يا إخواني، لكن المهم المواظبة فخير العمل أدومه وان قل.

الأمر ليس مستحيلا لكنه ممكن:

بعضنا يبغي أنه يكون في أعلى القمة في العبادة، هذه لن تأتي مرة واحدة، يا أخي ليس هناك من يقفز من الشهادة الابتدائية إلى الدكتوراه، إنما يبدأ يتدرج واحدة واحدة، فإذا اعتادت نفسه العبادة طلبت الزيادة.

في رمضان كان هناك إماما يصلي بنا كانت هناك جماعة تشجع، كان هناك إيمانيات عالية ثم بعد ذلك يجد الواحد نفسه لا يصلي حتى ركعتين بعد العشاء، نقول لك هذا طبيعي.

أنت كنت تتعلم كيف تقيم الليل وأن الأمر سهل يسير، ليس مستحيلا لكنه ممكن، ممكن تقرأ جزءا ليس مستحيلا تصلي قيام ليل ليس مستحيلا، لكن داوم فخير العمل أدومه وإن قل، وكما يحكى عن النبي أنه كان عمله ديمة، يعني دائما، صلوات ربي وسلامه عليه.

إذا يا إخواني لا بد وأن تجعل لنفسك حدا لا تتنازل عنه في ورد قرآني في قيام ليل في محافظة على أذكار الصباح والمساء في صدقة أسبوعية أو يومية أو شهرية لا تقطع أي عبادة كنت تكون بها في رمضان، فرمضان بداية للهداية وليس نهاية للعبادة.

رابعا/ الشيطان يزهدك في العبادة

الشيطان يدخل لك من هذا المدخل، ويقول لك طوال شهر رمضان تصلي الفجر أول ليلة العيد راح عليك الفجر، أنت أصلا فاشل، الذي كنت تفعله في رمضان ولا شيء، راح عليك الفجر، فهذا من علامات الشقاء، وأن الله لم يتقبل عباداتك في رمضان... أنت الآن في أسبوع واحد لم تصل إلا مرتين بالمسجد، ثم يوسوس لك: الأفضل أنك تصلي في البيت، صلاة الفجر في المسجد صعبة جدا، موضوع أنك تقيم الليل وعندك عمل عشر ساعات في اليوم وتبذل مجهودا ... في رمضان القادم- إن شاء الله- صل قيام الليل.

هل أنت عندك وقت أصلا تلتفت لشيء غير عملك غير أنك تستريح من عناء اليوم وأيضا تقرأ قرآن؟؟!!!

فالشيطان مهمته أن يحبطك أن ييأسك أن يزهدك في العبادة، فإذا جاءت شهوة أو حان وقت شيء من الأشياء التي فيها اللغو وجدت في نفسك همة وإقبالا وتزيينا من الشيطان.

نقول كلا، لا بد وأن تحافظ على علاقتك بالله لا تنقطع أبدا.

خامسا/ حافظ على علاقتك بالله

هناك مسألة دقيقة جدا انتبهوا لها:

حافظ على علاقتك بالله، بقاء العلاقة بين العبد وربّه، بمعنى: أن يطيعه العبد فيُؤجر، ويذنب فيستغفر، وينعم عليه فيشكر، ويقتّر عليه فيدعوه ويطلب منه، ويضيّق أكثر فيلجأ ويضطر، وهكذا، إذا أمرك بأمر تطيعه، وإذا عصيت الله استغفره وتب إليه، العلاقة لا تنقطع بالله أبدا.

في الحديث القدسي: (إن عبدا أذنب ذنبا – فقال: رب أذنبت فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا، فقال: رب أذنبت آخر، فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبا، قال: قال: رب أذنبت – آخر، فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا، فليعمل ما شاء.) رواه البخاري

إذن أنا إذا وقعت في المعصية لا أنقطع عن الله بل أتوب إليه واستغفره وأتعبد له بعبادة التوبة والاستغفار، فكما يحب الله المحسنين من عباده فإنه يحب أن يعفو عن المسيئين جل جلاله.

والنبي قال: (ما منْ عبدٍ مؤمنٍ إلا ولهُ ذنبٌ، يعتادُه الفينةُ بعدَ الفينةِ، أو ذنبٌ هوَ مقيمٌ عليهِ لا يفارقُهُ، حتى يفارقَ الدنيا، إنَّ المؤمنَ خلقَ مُفَتَّنًا، توابًا، نسيًّا، إذا ذُكِرَ ذَكَرَ)

مفتنا: عرضة للفتن، بالخير والشر فتنة المال النساء الأولاد الحياة المعاش، كل هذا فتن.

فالدنيا دار فتن، دار فتن، لكن مع هذه الفتن لا تقطع صلتك بالله، فعبادتك وأنت بعد المعصية عبادة التوبة والاستغفار.

توابا: تقع في الفتنة فتكون في الطريق في أمان الله عندك هدف تسير إليه، زلت قدمك، أصابك أي أمر جعلك تقع، ماذا تفعل؟

هل تقعد في مكانك تندب حظك العسر؟

أبدا، ستقوم، وستنفض التراب عن ثيابك وتكمل في طريقك، هكذا المسلم، يتعرض لفتن لعثرات يتعرض لزلات لكنه ينفض التراب عن نفسه ويقوم ويكمل في طريقه إلى الله- عز وجل-

نسيا: كأبينا آدم، هذه الموعظة لها مفعول، بعد أيام ستنسى، تحتاج إلى موعظة أخرى وثالثة ورابعة، فإذا نسيت تتذكر، أنا وصلت إلى قناعة أن مجال المنبر ليس مجالا للتعليم فقط، إنما الهدف الأول منه التذكير بالله، تزكية الأنفس ترقية الإيمان، كلما هبطت بطارية الإيمان تأتي الجمعة لتقوم بعمل شحن لهذه البطارية، إعادة شحن لهذه البطارية حتى تقوى على مواجهة الحياة، **(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض)**، لماذا أمر الله أن تتوقف الدنيا ساعة الجمعة؟

(فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) لأن سماع الخطبة تنقية وتزكية للنفس مرة أخرى عملية تطهير إعادة تزكية تنفعك طوال الأسبوع.

ومن الناس من عنده مقدرة أن يحضر دروسا أو يسمع دروسا، وآخر بالكاد يصلي الجمعة، فهذا حظه من الموعظة والتذكرة، فالجمع تذكرة، تتلاشى بها سلبيات الحياة، فتن الحياة، نقص الإيمان، ضعف الإيمان، فالمؤمن كما وصفه النبي خلق مفتتا، توابا نسيا، ولكنه إذا ذكر تذكر اللهم اجعلنا من الذين تنفعهم الذكرى.

إذن يا إخواني لكل وقت عبادة، لا تقطع علاقتك بالله أبدا، في حال الأوامر أنت طائع لله، وفي حال المعصية أنت تائب إلى الله، وفي حال النعم أنت شاكر حامد لله- عز وجل-، لا تقطع صلتك بالله، صلتك بالله لا تنقطع حتى الممات، حتى وإن أحسست أنك بعدت عن الله- عز وجل- فاسلك وسائل وأسباب القرب والعودة، إذا استوحشت من طريق فاستعن بالله.

ولم أجد عونا على هذا الأمر خيرا من **دعوة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- التي علمها لمعاذ بن جبل لما قال له يا معاذ والله أني لأحبك، فلا تدع أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)**

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا هداة مهتدين

لا ضالين ولا مضلين اللهم آمين

****

الخطبة التاسعة والعشرون

الفرح بطاعة الله
وعلامات قبول العمل الصالح

عناصر الخطبة:

أولا /الفرح بطاعة الله.

ثانيا/ حب الطاعة وكراهية المعصية

ثالثا/ المداومة على العمل الصالح

رابعا/ التدرج في العبادة

خامسا/ استشعار حلاوة الإيمان والطاعة

سادسا/ الجمع بين العمل الصالح والخوف من عدم القبول

الخطبة التاسعة والعشرون

الفرح بطاعة الله

وعلامات قبول العمل الصالح

عناصر الخطبة:

أولا /الفرح بطاعة الله.

ثانيا/ حب الطاعة وكراهية المعصية

ثالثا/ المداومة على العمل الصالح

رابعا/ التدرج في العبادة

خامسا/ استشعار حلاوة الإيمان والطاعة

سادسا/ الجمع بين العمل الصالح والخوف من عدم القبول

أولا /الفرح بطاعة الله.

يفرح الناس في هذه الدنيا لأسباب كثيرة، فمنهم من يفرح إذا ترقى في وظيفته وعمله، ومنهم من يفرح إذا جاءته زيادة في راتبه أو ربح في تجارته، ومنهم من يفرح إذا رزق بمولود.

وكل هذه أسباب مشروعة للفرح إذا لم تؤد إلى كبر أو بطر، لكن أعظم أسباب الفرح عند الصالحين حين يوفقون في أمر من أمور الآخرة ويزدادون قربا من الله تعالى بزيادة في علم أو عمل صالح.

قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" [سورة يونس57-58.]

قال العلامة السعدي رحمه الله تعليقاً على هذه الآية: "فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين لا نسبة بينها وبين جميع ما في الدنيا مما هو مضمحلٌ زائلٌ

عن قريب ، وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته ؛ لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها وشكرها لله تعالى ، وقوتها ، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما ، وهذا فرحٌ محمود؛ بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل فإن هذا مذموم كما قال تعالى عن قوم قارون عندما قالوا له:(لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)".أ.هـ

هذا هو الفرح الحقيقي

فالفرح الحقيقي هو الفرح بطاعة الله وبفضله ، فالفرح بالطاعة، ومواسم العبادة كقدوم رمضان، والحج ، والفرح بيوم عرفة، والفرح بالأضحية، والفرح بختم القرآن، والفرح بالتوفيق للصدقة، هذا هو الفرح الحقيقي فعلا ، فالمؤمن الحق ما بين فرح بطاعة وأمنية بقبولها، فيفرح إذا جاء موسمها ويرجو ربه أن يقبلها منه إذا قام بها.

فكما فرحوا في الدنيا بطاعة الله تعالى سيفرحون إن شاء الله بثوابها يوم لا ينفع مال ولا بنون، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن فرح الصائمين بثواب صيامهم: **"للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.**

وهذا الفرح أعني فرح المؤمن بالطاعة من علامات الإيمان الصحيح ، **وفي الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم -: (إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك، فأنت مؤمن) حديث صحيح: رواه أحمد.**

والمتأمل في الشريعة يرى أنها ربطت الفرح بالطاعات، فكان عيد الفطر بعد الفراغ من صيام رمضان وقيامه، وكان عيد الأضحى عقب أداء مناسك الحج.

ثانيا/ حب الطاعة وكراهية المعصية

قال تعالى : ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ [الحجرات: 7]

فمن تحلى بسكينة الإيمان ألقى الله في قلبه كراهية المعاصي والذنوب، فإن الإيمان حينما يعمر القلب يطرد منه التعلق بالمعاصي والآثام.
والمؤمن دومًا يرى المعصية خزيًا في الدنيا وذلة، يراها كآبة وضيق صدر، يراها تبعده عن الله تعالى، بخلاف قليل الإيمان؛ فإنه يرى المعصية متعة ومكسبًا له.

والطاعة تورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح كما أن المعاصي تورث ظلمة تظهر في الوجه والجوارح.

كما قال ابن عباس (إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق.

وروي عن ذي النون المصري ؛ أنه قيل: له متى أحب ربي؟
قال: إذا كان ما يبغضه أمر عندك من الصبر.
يعني: إذا كانت المعاصي كريهة عندك؛ كل المعاصي؛ ولو كانت تهواها النفس؛ ولو كانت تميل إليها وتحبها؛ فإن علامة المؤمن أن يكره المعاصي، أن يكره الله إليه الفسوق والمعاصي؛ بحيث إنها تنفر منها نفسه.

وقال بعض السلف : (لو انشرح الصدر بشيء ضاق بضده) يعني لو انشرح الصدر للطاعة ضاق بالمعصية ، ولو انشرح لسماع الغناء الحرام فانه سوف يضيق بتلاوة القران ، ومن أحبت التبرج والسفور ضاقت بالحجاب ، ومن أحب الفضيلة ضاق بالرذيلة .... وهكذا

وقال الشافعي –رحمه الله:-

أحب الصالحين ولست منهم ـــــ عسى أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي ـــــ وإن كنا سواء في البضاعة

الفرح بالمعاصي من سيم النفاق:

ومفهوم المخالفة من كلام **رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك، فأنت مؤمن)** أن من فرح بالمعصية وساءته الطاعة فهذا من علامات النفاق فقد كان المنافقون زمن رسول الله يتثاقلون عن الطاعة وينفرون منها ويتخلفون عنها بالأعذار الكاذبة.

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) التوبة

وقال تعالى : (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)التوبة

تفسير قول الله: (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)[القصص:76]

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : هذه الآية في قصة قارون **(إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)** والمراد بذلك الفرح الذي يصحبه الكبر والبغي على الناس والعدوان والبطر، هذا المنهي عنه، فرح البطر والكبر، أما الفرح بنصر الله وبرحمته ونعمه وإحسانه فهذا مشروع؛ **كما قال الله عز وجل: "قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" (58) سورة يونس.**

فالمؤمن يفرح أن الله هداه إلى الإسلام، وأن الله أعانه على صلاة الجماعة، وأن الله أعانه على بر والديه وصلة أرحامه، وأعانه على فعل الخير هذا مشروع، ينبغي له أن يفرح بذلك، ويسر بذلك، بل يجب عليه أن يفرح بذلك ويغتبط بهذا، ويحمد الله على ذلك.

أما الفرح المذموم فهو الفرح الذي يصحبه الكبر والتعاظم والبطر واحتقار الناس، هذا هو المذموم.

إذن فحق لنا أن نفرح بما أنعم الله علينا من صيام شهر رمضان وقيامه وإدراك ليلة القدر ، وختم القرآن والصدقة والتآخي في الله والصبر على طاعة الله ، لكن يأتي السؤال الهام:

ثالثا/ المداومة على العمل الصالح

وقد أَمَرَ- سُبحَانَهُ نبيه المصطفى بِاستِدَامَةِ العِبَادَةِ حَتَّى يَأتِيَهُ المَوتُ ، **فقَالَ – سُبحَانَهُ-: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 99] وَقَالَ عَن عِيسَى – عَلَيهِ السَّلامُ-: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴿٣١﴾﴾ [مريم: 31]**

وإذا تقبل الله عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعض السلف : "من علامات قبول الطاعة تجدد الطاعة بعدها ، ومن شؤم المعصية تجدد المعصية بعدها "

فإِذَا رَضِيَ اللهَ عَنِ العَبدِ وَفَّقَهُ إِلى عَمَلِ الطَّاعَةِ بَعدَ الطَّاعَةِ وَسَهَّلَ عَلَيهِ فِعلَهَا، وَحفظه مِنَ المَعصِيَةِ وَهَوَّنَ عَلَيهِ تَركَهَا.

وقد وصف الله أهل الجنة بأنهم هم : ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: 23] ولذلك من صام لله أو قام لله واحتسب الأجر حري به أن يقبل على النافلة لا ينقطع.

وسئل النبي عليه الصلاة والسلام: "أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (أدومه وإن قل) رواه مسلم

وقد أمر بذلك – عليه الصلاة والسلام – بعض صحابته الكرام

كما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "يا عبدالله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل"

رابعا/ التدرج في العبادة

الكثير منا يبدأ بعد رمضان وعنده مقاييس مثالية فهو يريد أن يحافظ على كل ما كان يفعله في رمضان من صيام وقيام ، يريد صيام يوم ويوم وصلاة إحدى عشر ركعة قيام والصلاة بجزء من القرآن ، وحتى يستطيع ذلك يسوّف ويسوّف حتى يمر عليه العام إلى رمضان التالي دون أن يصنع شيئا!!!!

وهذا على مبدأ إما كل شيء أو لا شيء ، وهذا التصور خطأ لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله ،والنفس تحتاج إلى مداراة وتدرج حتى تحب نفسك الطاعة وأوقاتها ، ومن الافضل ان يجعل كل منا له برنامجا مناسبا يحاول أن يلتزم به في حياته اليومية ؛ بحيث يحاسب نفسه كلما قصر ويمكن ان يجتهد المرء فيه بحسب استطاعته .

ضع خطة متدرجة حتى تحب العبادة وتترقى فيها وتتحول لسعادة وفرح ولذة ، وثق تماما أن العبادة ليست عقوبة ولا عذاب ، فلا يلزمك أن تصلي حتى تتورم قدماك ولا أن تسجد مثل السلف ولا أن تركع مثلهم حتى يسقط أنفك – أعنى الاطالة – ولا يلزمك أن يقف الطير على ظهرك وأنت ساجد ، وليس فرضا عليك أن تعيش حياتك مرعوب وأنك لما تسمع آيات العذاب يغمى عليك ولا أنك تترك الدنيا ومباحاتها .... هذه مرحلة متقدمة.
لكن حتى تصل لهذه الدرجة عامل نفسك بالمكر والمداراة ، فكثير مثلا لا يقيم الليل لأنه غير جاهز يصلي بجزء وهذا تصوره المثالي عن قيام الليل ولذلك

يظل منتظرا طويلا حتى يكون مستعدا لتنفيذه وبعد ذلك سيقيم الليل ما المانع لو بدأت بالقيام بعشر آيات (سورتي الفلق والناس 11 آية)

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) رواه ابو داود.

وكم يوما سوف أصوم في الأسبوع أو في الشهر ؟

ابدأ بصيام يوم ثم الثلاثة البيض ، صم في الشتاء حيث النهار قصير.
الورد اليومي من القرآن الكريم : ابدأ بصفحة لكن واظب عليها ثم ربع ... وهكذا

خطورة المبالغة في الترغيب والترهيب:
يا للأسف عنى بعض الوعاظ بذكر بعض الأمثلة في الترغيب والترهيب على سبيل المبالغة بروايات أغلبها غير صحيح ، وإن صح فهو مخالف لخير الهدي وأفضله وأتمه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والاشكالية أن الترويج لهذه الطفرات يصعب على الناس دينهم ويوحي إليهم أن هذا الأمر شبه مستحيل فأين نحن من هؤلاء ؟

بل الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم في العبادة، نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف منهم موقفاً شديداً، **كما في قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عبادته: {فكأنهم تقالُّوها، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي ولا أنام، وقال الآخر: أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: لا أتزوج النساء، فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أما أنا فأصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني }.**

وعن ابن عباس قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه". فهذا يدل على سماحة ويسر الشريعة.

ومن ذلك:

1- زعمهم أن عمر بعد أن ولي الخلافة لا ينام نهاراً ولا ليلاً فقيل له في ذلك فقال (إذا نمت نهاراً ضيعت رعيتي وإذا نمت ليلاً ضيعت نفسي

فجعلت النهار لرعيتي وجعلت الليل لربي) وهذا كله كذب ومن المبالغات التي لا تصح فكيف لعمر أن يخالف هدي رسول الله الذي قال (وأقوم وأرقد) وهل يعقل أن عمر ظل طوال فترة الخلافة لا ينام.

2- ومن هذا الباب زعمهم أن أبا حنيفة ظل أربعين سنة يصلى العشاء بوضوء الفجر ، وهذا كذب لا أصل له ولو صح لكان مخالفا أيضا لهدي رسول الله الذي قال (وأقوم وأرقد)

3- ومن المبالغات قولهم في الترغيب في تلاوة القرآن في رمضان :كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة وفي كل شهر ثلاثين ختمة ، وأبو حنيفة كان له ختمة بالليل وختمة بالنهار وختمة داخل الصلاة وختمة خارجها

4- فهذه الآثار مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يلتفت إليها كثيراً لنهيه عليه السلام عبدالله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، **يقول عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرَأ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ قُلْتُ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً حَتَّى قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي سَبْع وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . رواه البخاري.**

وقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ { لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ } رَوَاهُ أَبُو دَاوُد

فأعدلُ شيءٍ وأحسنُه عدمُ ختمِه في أقلَّ من ثلاث.. وكلما زادت سرعتُك في القراءة.. قلَّ تدبرُك له.

وللمقارنة: مصحف الشيخ الشريم -والمسجلُ من صلاة التراويح- استغرق أكثر من ست عشرة ساعة مع أنه يقرأ حدرًا(بسرعة) ولكي يختم مرتين بهذه السرعة.. يحتاج ثلاثًا وثلاثين ساعة تقريبًا.. واليومُ أربعٌ وعشرون ساعةً! لكن مع الصلوات والواجبات الأخرى أنَّى يمكن ختمُه مرتين إلا إذا كانت القراءةُ هذًّا كَهَذِّ الشِّعر! وختمُه مرةً واحدة في اليوم أيضًا صعبٌ مع التدبر إن لم يكن مستحيلًا.

ولا يصح الاستدلال بالبركة ، فالبركة حقا إنما تكون مع من قرأ القرآن بتدبر وفقهٍ وأكرر خير الهدي هدي رسول الله.

خامسا/ استشعار حلاوة الإيمان والطاعة

من علامات قبول الأعمال الصالحة تذوق حلاوة الإيمان ، وفي الحديث:
(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه)[رواه البخاري]

فحلاوة الإيمان شيء يذاق ويحس به المؤمن؛ لأنه غذاء القلوب، وعلامة على صحة القلب، هذا نتيجة الصلة بالله، هذا ثواب معجل في الدنيا.

إن لذة الطاعة لا تعادلها لذة وحلاوة الإيمان لا تعادلها حلاوة وعز الطاعة لا يعادله عز ، كما أن مرارة المعصية لا تعادلها مرارة وشؤم الذنب لا يعادله شؤم ، وذل المعصية لا يعادله ذل.
وحب الطاعة هو أن تحب طاعة الله تعالى وتستمتع بها، وتشعر بالطمأنينة والهدوء فيها؛ كالنبي صلى الله عليه وسلم، حينما قال: **(وجعلت قرة عيني في الصلاة) وكان يقول لبلال: (أقم الصلاة يا بلال، أرحنا بها)**

والمسلم عندما يذوق حلاوة الإيمان ،تراه ينشط للطاعة ويسارع بالخيرات ، وينشرح صدره لها ، يرفع شعار **(وعجلت إليك رب لترضى)** فلا تجده كسولا ولا مكرها على طاعة ولا يتعلق بالأماني الكاذبة فلسان حاله (إذا عرف الآمر سهلت الأوامر).

وحلاوة الإيمان لا تباع ولا تستجدى ، يقول أحدهم من شدة سروره بتلك النعمة : لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه – يعني من النعيم – لجالدونا (لقاتلونا)عليه بالسيوف.

سادسا/ الجمع بين العمل الصالح والخوف من عدم القبول

سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : " وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " قالت يا رسول الله أو هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات)[رواه الترمذي].

والله وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، أولئك يحسنون ويخافون ألا يقبل منهم، وهؤلاء يسيئون وهم آمنون من مكر الله.

احذر العُجب
والعجب هو الزهو بالنفس ، واستعظام الأعمال والركون إليها ، وإضافتها إلى النفس مع نسيان إضافتها إلى المُنعم سبحانه وتعالى.

جاء في الفتح لابن حجر : قال القرطبي : إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال ، مع نسيان نعمة الله ، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم.

عبادة السر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل".

ليجعل كل منا له خبيئة من عمل صالح لم يطلع عليه بشر!

والخبيئة من العمل هي أن يجعل المرء بينه وبين الله طاعة لا يطلع عليها أحد حتى اهله

إلى أن يلاقي ربه ويجدها في صحيفته فيسر بها بإذن الله تعالى.

وقد حث العلماء والصالحون على عمل الخير في الخفاء، فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: اجعلوا لكم خبيئة من العمل الصالح كما أن لكم خبيئة من العمل السيئ".

والخبيئة من العمل الصالح ،،هو العمل الصالح المختبئ يعني المختفي، والزبير رضي الله عنه هنا ينبهنا إلى أمر نغفل عنه.

وهو المعادلة بين الأفعال رجاء المغفرة؛ فكما ان لكل إنسان عمل سيئ يفعله في السر، فأولى له أن يكون له عمل صالح يفعله في السر أيضا لعل الله سبحانه أن يغفر له الآخر.

****

الخطبة الثلاثون

صيام الست من شوال

عناصر الخطبة:

أولا/ سنة صيام الست من شوال.

ثانيا/ هل يجوز تقديم صيامها على قضاء رمضان؟

ثالثا/ الجمع بين نية القضاء والست من شوال

رابعا/ هل تصام أيام عيد الفطر الثاني والثالث أم أن من الفقه تأخيرها ؟

الخطبة الثلاثون

صيام الست من شوال

من فضل الله على عباده تتابع مواسم الخيرات ، ومضاعفة الحسنات ، فالمؤمن يتقلب في ساعات عمره بين أنواع العبادات والقربات ، فلا يمضي من عمره ساعة إلا ولله فيها وظيفة من وظائف الطاعات ، وما أن يفرغ من عبادة إلا ويشرع في عبادة أخرى ، ولم يجعل الله حدا لطاعة العبد إلا انتهاء عمره وانقضاء أجله يقول جل وعلا : {**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** }(**الحجر 92)**

عناصر الخطبة:

أولا/ سنة صيام الست من شوال.

ثانيا/ هل يجوز تقديم صيامها على قضاء رمضان؟

ثالثا/ الجمع بين نية القضاء والست من شوال

رابعا/ هل تصام أيام عيد الفطر الثاني والثالث أم أن من الفقه تأخيرها ؟

أولا/ سنة صيام الست من شوال.

ومما من الله به على عباده بعد انقضاء شهر الصيام والقيام ، ورتب عليه عظيم الأجر والثواب صيام ست أيام من شوال التي ثبت في فضائلها العديد من الأحاديث منها ما **رواه الإمام مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال : (من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر).**

وفي رواية لابن ماجة عن ثوبان أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال : (من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

وقد ذكر أهل العلم عدة فوائد ومعان لصيام هذه الأيام الست :(من كلام ابن رجب الحنبلي)

1- أن العبد يستكمل بصيامها أجر صيام الدهر كله ،وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان يعدل عشرة أشهر ، وهذه الست تعدل شهرين ،وقد ثبت ذلك في حديث ثوبان المتقدم عند ابن ماجة وثبت أيضا في حديث ذكره أبو الشيخ في الثواب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع : **(جعل الله الحسنة بعشر أمثالها الشهر بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بعد الشهر تمام السنة).**
2- أن صيام النفل قبل وبعد الفريضة يكمل به ما يحصل في الفرض من خلل ونقص ، فإن الفرائض تجبر وتكمل بالنوافل يوم القيامة ، كما ثبت ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم- من وجوه متعددة.
3- أن معاودة الصيام بعد رمضان من علامات القبول ، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعضهم : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى.
4- أن معاودة الصيام بعد الفطر فيه شكر لله جل وعلا على نعمته بإتمام صيام رمضان ومغفرة الذنوب والعتق من النار ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يشكروه على هذه النعم العظيمة فقال سبحانه : **{ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون }(البقرة 185)** فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان ، وإعانته عليه ، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له عقب ذلك.
5- المداومة على فعل الخيرات ، وعدم انقطاع الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في رمضان بانقضاء الشهر ، ولا شك أن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليها صاحبها ،وكان النبي – صلى الله عليه وسلم- إذا عمل عملا أثبته ، **وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمله عليه الصلاة والسلام فقالت : (كان عمله ديمة)** أي دائم.

فعود المؤمن إلى الصيام بعد فطره دليل على مداومته على فعل الخير ، وعدم انقطاعه عن العمل الصالح ، إلى غير ذلك من الفوائد والمعاني العظيمة.

وهذه الست ليس لها وقت محدد من شوال ، بل يصومها المسلم في أي جزء من أجزاء الشهر ، في أوله ، أو في أثنائه أو في آخره ، وله كذلك أن يصومها متتابعة أو مفرقة.

ولكن الأفضل أن يبادر إلى صيامها عقب عيد الفطر مباشرة ، وأن تكون متتابعة – كما نص على ذلك أهل العلم – لأن ذلك أبلغ في تحقيق الإتباع الذي جاء في قوله – صلى الله عليه وسلم – **(ثم أتبعه)** ، كما أنه من المسابقة إلى الخيرات والمسارعة في الطاعات الذي جاءت النصوص بالترغيب فيه والثناء على فاعله ، وهو أيضا من الحزم ، فإن الفرص لا ينبغي أن تفوت ، والمرء لا يدري ما يعرض له من شواغل وقواطع تحول بينه وبين العمل ، فإن أخرها أو فرقها على الشهر حصلت الفضيلة أيضا.

ثانيا/ هل يجوز تقديم صيامها على قضاء رمضان؟

من كان عليه قضاء من رمضان فلا حرج عليه أن يصوم ستا من شوال ثم يؤخر قضاء رمضان، وذلك لحديث أم المؤمنين عائشة الثابت في الصحيح أنها قالت:إن كان يكون علي الصوم من رمضان فلا أقضيه إلا في شعبان، لمكان رسول الله مني .

فقد كانت تصوم الست، وكانت تصوم عرفة، كما ثبت في الموطأ، وكانت تصوم يوم عاشوراء، ولذلك قالوا: إنه يجوز تأخير القضاء.

ومنع بعض العلماء، واحتجوا بأنه كيف يتنفل وعليه الفرض؟

وهذا مردود؛ لأن التنفل مع وجود الخطاب بالفرض فيه تفصيل: فإن كان الوقت واسعا لفعل الفرض والنافلة ساغ إيقاع النفل قبل الفرض بدليل: أنك تصلي راتبة الظهر قبل صلاة الظهر وأنت مخاطب بصلاة الظهر، فإن الإنسان إذا دخل عليه وقت الظهر وزالت الشمس وجب عليه أن يصلي الظهر، ومع ذلك يؤخرها فيصلي الراتبة، ثم يصلي بعدها الظهر، فتنفل قبل فعل الفرض بإذن الشرع، فدل على أن النافلة قد تقع قبل الفرض بإذن الشرع، فلما أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة أن تؤخر القضاء دل على أن الوقت موسع.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : **(من صام رمضان ثم أتبعه)** فهذا خارج مخرج الغالب، والقاعدة: (أن النص إذا خرج مخرج الغالب لم يعتبر مفهومه). فليس لقائل أن يقول: إن من عليه قضاء فلا يصم رمضان.

ولذلك: الذي تميل إليه النفس ويقوى: أنه يصوم الست، ولا حرج أن يقدمها على قضائه من رمضان.

وهذا هو الصحيح، فإن المرأة النفساء قد يمر بها رمضان كله وهي مفطرة، وتريد الفضل، فتصوم الست، ثم تؤخر قضاء رمضان إلى أن يتيسر لها.

ثالثا/ الجمع بين نية القضاء والست من شوال

هذه المسألة تعرف عند أهل العلم بمسألة التشريك (الجمع بين عبادتين بنية واحدة)

يقول الشيخ ابن عثيمين : وحكمه أنه إذا كان في الوسائل أو مما يتداخل صح، وحصل المطلوب من العبادتين، كما لو اغتسل الجنب يوم الجمعة للجمعة ولرفع الجنابة، فإن جنابته ترتفع ويحصل له ثواب غسل الجمعة.

وإن كانت إحدى العبادتين غير مقصودة، والأخرى مقصودة بذاتها صح الجمع ولا يقدح ذلك في العبادة كتحية المسجد مع فرض أو سنة أخرى، فتحية المسجد غير مقصودة بذاتها، وإنما المقصود هو شغل المكان بالصلاة، وقد حصل.

وأما الجمع بين عبادتين مقصودتين بذاتهما كالظهر وراتبته، أو كصيام فرض أداء أو قضاء كفارة كان أو نذرا، مع صيام مستحب كست من شوال فلا يصح التشريك، لأن كل عبادة مستقلة عن الأخرى مقصودة بذاتها لا تندرج تحت العبادة الأخرى.

فصيام شهر رمضان، ومثله قضاؤه مقصود لذاته، وصيام ست من شوال مقصود لذاته لأنهما معا كصيام الدهر، كما صح في الحديث، فلا يصح التداخل والجمع بينهما بنية واحدة.

ومن صام يوم عرفة ، أو يوم عاشوراء ونوى أن يصوم هذا اليوم عن قضاء رمضان حصل له الأجران: أجر يوم عرفة ، وأجر يوم عاشوراء مع أجر

القضاء ، هذا بالنسبة لصوم التطوع المطلق الذي لا يرتبط برمضان ، أما صيام ستة أيام من شوال فإنها مرتبطة برمضان.

نسأل الله أن يعيننا على طاعته ، وأن يوفقنا لمرضاته ، وأن يجعلنا من المقبولين في شهر رمضان إنه جواد كريم.

رابعا/ هل تصام أيام عيد الفطر الثاني والثالث أم أن من الفقه تأخيرها ؟

يقول الفقيه محمد بن محمد المختار الشنقيطي – حفظه الله : الأفضل الذي تطمئن إليه النفس، أن الإنسان يترك أيام العيد للفرح والسرور ، ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أيام منى:(إنها أيام أكل وشرب)، كما جاء في حديث عبد الله بن حذافة: (فلا تصوموها) ، فإذا كانت أيام منى الثلاثة لقربها من يوم العيد أخذت هذا الحكم، فإن أيام الفطر لا تبعد فهي قريبة.

ولذلك تجد الناس يتضايقون إذا زارهم الإنسان في أيام العيد فعرضوا عليه ضيافتهم، وأحبوا أن يصيب من طعامهم فقال: إني صائم، **وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما دعاه الأنصاري لإصابة طعامه ومعه بعض أصحابه، فقام فتنحى عن القوم وقال: إني صائم، أي: نافلة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أخاك قد تكلف لك فأفطر وصم غيره).**

فحينما يدخل الضيف في أيام العيد، خاصة في اليوم الثاني والثالث، فإن الإنسان يأنس ويرتاح إذا رأى ضيفه يصيب من ضيافته، كونه يبادر مباشرة في اليوم الثاني والثالث بالصيام لا يخلو من نظر.

فالأفضل والأكمل أن يطيب الإنسان خواطر الناس، وقد تقع في هذا اليوم الثاني والثالث بعض الولائم، وقد يكون صاحب الوليمة له حق على الإنسان كأعمامه وأخواله، وقد يكون هناك ضيف عليهم فيحبون أن يكون الإنسان موجودا يشاركهم في ضيافتهم.

فمثل هذه الأمور من مراعاة صلة الرحم وإدخال السرور على القرابة لا شك أن فيها فضيلة أفضل من النافلة.

والقاعدة تقول:أنه إذا تعارضت الفضيلتان المتساويتان وكانت إحداهما يمكن تداركها في وقت غير الوقت الذي تزاحم فيه الأخرى، أخرت التي يمكن تداركها.

فضلا عن أن صلة الرحم لا شك أنها من أفضل القربات.

فصيام ست من شوال وسع الشرع فيه على العباد، وجعله مطلقا من شوال كله، فأي يوم من شوال يجزئ ما عدا يوم العيد.

بناء على ذلك فلا وجه لأن يضيق الإنسان على نفسه في صلة رحمه، وإدخال السرور على قرابته ومن يزورهم في يوم العيد، فيؤخر هذه الست إلى ما بعد الأيام القريبة من العيد؛ لأن الناس تحتاجها لإدخال السرور وإكرام الضيف، ولا شك أن مراعاة ذلك لا يخلو الإنسان فيه من حصول الأجر، الذي قد يفوق بعض الطاعات كما لا يخفى.

نسأل الله أن يعيننا على طاعته ،

وأن يوفقنا لمرضاته ،

وأن يجعلنا من المقبولين في شهر رمضان

إنه جواد كريم

****

فهرس الموضوعات

المقدمة	1
تهيئة القلوب لاستقبال رمضان	3
هل السنة الرؤية البصرية أم بالحساب الفلكي؟	9
بادروا بالأعمال الصالحة(الاستعداد لرمضان)	17
عشر نصائح لاستقبال رمضان	23
الأعداء الثلاثة للمؤمن قبل رمضان	32
هل تسلسل كل الشياطين في رمضان؟	41
فضل الصيام والصائمين	47
آداب الصيام	56
ثمرة الصيام الغالية : (لعلكم تتقون)	64
كل عمل ابن آدم له إلا الصوم	71
كيف نصوم رمضان إيمانا واحتسابا؟	80
رمضان شهر تزكية الأنفس	89
الصيام والدعاء(فإني قريب)	97
ما هي الحكمة من الصيام؟	106

الربانية في الصيام	112
المعجزة الخالدة معجزة القرآن	119
تفسير سورة القدر	130
العشر الأواخر وتحري ليلة القدر	136
سنة الاعتكاف في العشر الأواخر	147
زكاة الفطر	160
في وداع رمضان	171
ماذا تعلمنا من رمضان ؟	178
الفتور بعد رمضان	183
سبع خطوات للثبات على الطاعة بعد رمضان	191
خطبة عيد الفطر	201
ما هي علامات قبول العمل الصالح؟	206
يا حنظلة ساعة وساعة	213
هل ضعف العبادة من علامات النفاق؟	220
الفرح بطاعة الله	228
صيام الست من شوال	238